الرّصيد الوطني للأطروحات
يحظر النسخ و التوزيع

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العقيد الحاج لخضر -باتنة
كلية الآداب والعلوم الإنسانيـــــة
قسم اللغة العربية وأدابها

مصالح دعم البيداغوجيا والبحث

القضايا اللغوية والبلاغية في تفسير الثعالبي

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة

في اللغة العربية

إعداد الطالب:
السعيد بوخالفة

إشراف الدكتور:
بلقاسم ليباريـر

أعضاء لجنة المناقشة

1- الأستاذ الدكتور السعيد هادف	رئيسا	جامعة العقيد الحاج لخضر باتنة
2- الأستاذ الدكتور رابح دوب	عضوا مناقشا	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة
3- الدكتور محمد بوعمامة	عضوا مناقشا	جامعة العقيد الحاج لخضر باتنة
4- الدكتور محمد كراكبي	عضوا مناقشا	جامعة باجي مختار عنابة

السنة الجامعية

2003 م -1424هـ

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST



Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

المقـــــدمـــة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب نورا وهدى وعلما، وجعل أول ومضـــة مـــن الوحي أمرا إلى الإنسان أن يقرأ وأن يعلم ما لم يعلم. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، رائد العارفين، وإمام المرسلين ومنار الهداية، وزعيم الهادين إلى صراط مستقيم. وعلـــى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد أتى على الإمام الثعالبي حين من الدهر، ظل فيه كنزا دفينا وركازا مخبـــوءا، بعيدا عن الأضواء، مختفيا في دوائر الظلال، لا يكاد يرسو على شاطئه باحث، أو يـــأنس لأجوائه دارس، أو يرنو إليه قلم.

وذلك بالرغم من علمه المحيط، واتجاهاته الفكرية في مختلف جوانـــب المعرفـــة، وسعة أفقه، ووفرة مؤلفاته التي شملت ألوان الفكر الإسلامي بحدوده المترامية.

وعلى الرغم من البريق اللامع الذي تألقت به شخصيته بوصفه علما مـــن أعـــلام المدرسة السلفية إبان القرن الثامن الهجري.

ولا يزال الأمر كذلك حتى التفت إليه بعض الباحثين ففتحت الطريق إلـــى دراســـة تلك الشخصية الفذة في تاريخ الفكر الإسلامي وفي تاريخ الجزائر.

فكانت أول دراسة أكاديمية ظهرت في الأوساط، تناولت الجانب الصوفي في فكـــر الثعالبي للدكتور عبد الرزاق قسوم، ثنيت بدراسة أخرى تعرضت إلى منهجه في التفسير، وهي عبارة عن رسالة ماجستير للباحث رمضان يخلف (جامعة الأمير عبد القادر للعلـــوم الإسلامية بقسنطينة ــ الجزائر).

واليوم تتبع هذه الحلقة بدراسة أخرى تتناول في بحثها لونا آخر في جوانـــب هـــذه الشخصية وترود القارئ الكريم إلى "القضايا اللغوية والبلاغية في تفسير الثعالبي".

وإن سبب اختيارنا لهذا الرجل كمادة للبحث، إنما يعود إلى واقـــع أساســـي وهـــو حرصنا على التعريف ببعض المجهولين من أعلام وطننا وأمتنا عسانا نسهم فـــي إثـــراء الفكر الثقافي لها، ولم يكن دربنا سهلا بل اكتنفته صعاب وعقبات تتمثل في كون معظـــم آثاره مازالت مخطوطة، مما ضيع على الباحثين والدارسين فرصة الاطلاع علـــى أهـــم جوانبه وهو الجانب الثقافي.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وقد اقتضت طبيعة الموضوع وخصوصياته أن يكون في قسمين تسبقهما مقدمة وتقفوهما خاتمة شرحت فيها أهم ما توصل إليه البحث من نتائج.

أما مدخل الدراسة فخصصته لحياة عبد الرحمن الثعالبي وآثاره. أشرت فيه إلى نبذة مختصرة عن حياته وجعلتها في الهامش.

وأما فيما تعلق بآثاره فقد أوضحت فيه أن حياة الثعالبي مليئة بالتأليف فترك لنا زخما من المؤلفات، منها ما هو مطبوع، ومنها ما هو مخطوط ينتظر أن تمتد إليه يد الدارسين والباحثين تتكشف من خلالها ما لهذا الرجل من جهد في ميدان العلم والمعرفة.

ولعل أعظم ما صنفه من الكتب تفسيره "الجواهر الحسان"، ولما كانت مهمتي في هذا الكتاب تنحصر في جهود الثعالبي اللغوية والبلاغية، أصبح لزاما علي الكشف عما لهذه الجهود من قيمة وتأثير. وقد قسمت البحث إلى قسمين:

أولا: القسم النظري: الثعالبي في "الجواهر الحسان" فقد أشرت فيه إلى أن علم التفسير في غنى عن أن يشاد بجلالته، وشدة اعتناء الأمة به، ولكن مما تحمل الإشارة إليه في هذا المحل: أن هذا الموضوع الجليل يتطلب من المؤلف فيه مواهب ومؤهلات: منها السليقة العربية والذوق الأدبي الصحيح الذي يتأتى معه فهم جمال القرآن وبلاغته المعجزة.

ونظرا لطبيعة المادة المدروسة في هذا القسم فقد قسمته إلى فصلين.

الفصل الأول: أدوات الثعالبي في "الجواهر الحسان"، تطرقت فيه للأسس التي استعان بها في تفسير آيات الذكر الحكيم، وموقفه من التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي.

وأما **الفصل الثاني** فقد جعلته لمصادره التي استعان بها في تحقيق ما ذهب إليه من منهج، مع الإشارة إلى الوسائل التي استخدمها في توثيق مادته، ووسائل تفسيرها.

ثانيا– القسم التطبيقي: الدراسة اللغوية والبلاغية في "الجواهر الحسان" وقد اقتضت طبيعة المادة التي يسجلها أن يقسم إلى عنصرين:

أولا– قضايا اللغة. إذ يعد تفسير "الجواهر الحسان" من كتب التفسير التي تناولت قضايا لغوية في مستويات مختلفة، من صوت، وصرف، ونحو ودلالة، فضلا عما أشار إليه من قضايا ومعارف عامة.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وقد اقتضت هذه الموضوعات أن أتناولها في فصلين:

الفصل الأول: المستوى الصوتي والتراكيب.

الفصل الثاني: مستوى الدلالة والمعجم.

أولا- الظواهر الصوتية. وتناولت فيه:

أ-الإبدال:

1 ــ الإبدال بين الحركات: وقد بينت فيه تناوب الحركات في الصيغ، وما ينشأ عن ذلك من تغير في المعاني، أو طلبا للخفة في النطق أو تحقيقا للانسجام الصوتي.

2 ــ الإبدال بين الحروف: وقد أشرت فيه إلى بعض التغيرات الصوتية التي تطرأ على الكلمة نتيجة التبدلات الصوتية التي تحدث في حروفها، وذلك لقربها مخرجا أو لاشتراكها في بعض الصفات.

ولما كانت الهمزة من الحروف التي لا تستقر على حال، ارتأيت أن أفردها بفقرة خاصة، وأثبت من خلال النصوص المعروضة أن تحقيق الهمزة كان خاصية من الخصائص البدوية كتميم وما جاورها .أما القبائل المتحضرة فكانت متأنية في النطق في أدائها ولذا لم تكن بها حاجة إلى التماس المزيد من مظاهر الأناة فأهملت همز كلماتها، واستعاضت عن ذلك بوسيلة أخرى ، كالتسهيل والإبدال والحذف.

ب ــ الإدغام:

لقد نالت هذه الظاهرة اهتمام العلماء وتصدوا لها بالدراسة في التراث اللغوي والنحوي والقراءات القرآنية ولم يخرجوا في أثناء معالجتهم لهذه الظاهرة عن إطارها القديم، باستثناء ما أفاده المحدثون في المناهج الغربية، في دراسة موضوع المماثلة والتقريب بين الأصوات، سواء كانت حروفا أو حركات.

ثانيا- القضايا الصرفية:

وقد بحثت فيه موضوعات، المصدر، اسم الفاعل، اسم المفعول، فعل وأفعل، التذكير والتأنيث.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ثالثا- الظواهر النحوية:

وقد أشرت فيه إلى بعض الموضوعات النحوية، التي كان الثعالبي يشير إليها في ثنايا التفسير للإبانة عن المعاني الغامضة، كالإعراب وصلته بالقراءات القرآنية، مبرزا آراءه في الحرف وبعض مواقفه النحوية، كما أشرت إلى بعض أسماء الأفعال والتعدي واللزوم، وحروف الجر ومعانيها.

كما لم يفت الثعالبي الإشارة إلى بعض القضايا النحوية غير التي تمت الإشارة إليها تخص أبوابا متعددة في النحو، هدفه من ذلك الإبانة عن المعاني والوظائف النحوية مثل المصطلحات النحوية التي كانت محل خلاف بين البصريين والكوفيين، وهذه الموضوعات وردت في ثنايا التفسير من أجل توضيح معنى من المعاني.

الفصل الثاني: مستوى الدلالة والمعجم.

أولا- الظواهر الدلالية، وقد أشرت فيه إلى مظاهر التضخم اللغوي من المشترك، والتضاد، والترادف، دون أن أنسى الإشارة إلى ظاهرة الفروق الدلالية بين الألفاظ بسبب تغير الحركة أو الحرف أو الصيغة.

كما لم يأل الثعالبي جهدا في الكشف عن بعض الظواهر اللغوية، بالإضافة إلى ما تم تناوله في المباحث السابقة، وإنما هناك ظواهر لغوية توقف عندها نظرا لقيمتها العلمية كالاشتقاق واللهجات.

ثانيا- المعجم: ولما للمعجم من أهمية في حياة اللغة، وجدت الثعالبي قد ألحق تفسيره بما ورد فيه من الألفاظ الغريبة التي تحتاج إلى توضيح وبيان، حيث شرح غامضها وبين مدلولها وفق منهج معين.

ثانيا- قضايا البلاغة:

إذا كان البيان علما من علوم العربية، فهو كذلك معدود من جملة العلوم الإسلامية، وهي العلوم التي نشأت بتأثير هذا الدين.

وكان له دخل واضح في نشأتها وتطورها وتنوع مباحثها، و يعد البيان من أهم ما اعتمد عليه في خدمة العقيدة الإسلامية. لأنه يعمل على إبراز ما في القرآن الكريم من

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وجوه الجمال التي يمتاز بها، ويبين سر الإعجاز الذي بان به كلام الله وأمتاز به من كلام البشر، سواء من ناحية مقاصده ومعانيه، أو من ناحية أساليب تأديتها والعبارة عنها.

وإن دراستي في هذا القسم تحتوي أبرز الجهود البيانية للمفسر، وهي مرحلة زمنية تمثل نضوج التفسير القرآني في ربوع الأندلس وبلاد المغرب العربي. وهذه الجهود البلاغية يكون محلها:

الفصل الأول: ألوان البيان

تناولت هذا العلم في تفسير "الجواهر الحسان"، وقد لاحظت أن مصطلحات العلوم البلاغية متداخلة عنده، غير أن هذا التقسيم اقتضته الضرورة المنهجية، فكان لزاما علي أن أبدأ بـ:

أولا- فن التشبيه الذي أشار إليه في ثنايا تفسيره، فبدأت بتعريفه، وأشرت إلى تقسيماته المتعارف عنها عند علماء البلاغة من التشبيه المفرد، والمركب.

ثانيا- المجاز: باعتباره أحد القضايا الكبرى التي ثار حولها جدل حاد لم تمح آثاره إلى اليوم، وقسمته إلى المجاز العقلي والمجاز اللغوي، مع الإشارة إلى بعض العلاقات التي تحكم ذلك.

كما تناولت الاستعارة باعتبارها من أنواع المجاز المبنية على التشبيه. كما أنها من طرائق المثل القرآني، والثعالبي في كل ذلك يميل إلى الاختصار، ويتجنب التكرار الذي من شأنه أن يثقل كاهل المتلقي.

ثالثا- الكناية: بوصفها من حقول البلاغة وركن من أركان الفصاحة، وقد نالت عناية العلماء وعرفوا لها مكانتها في الإيضاح والتأثير لورودها في كلام العرب والقرآن الكريم.

الفصل الثاني: علم المعاني والبديع

قدمت له بلمحة موجزة عن مفهومه عند علماء البلاغة، ثم اقتصرت على أساليب الخبر والإنشاء باعتبارهما من أكثر الأساليب التي أثارت اهتمام المفسر، وفرقت بينهما، فبدأت بالأساليب الخبرية وفيها أشرت إلى العطف ، التوكيد ، النفي. أما الأساليب

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الإنشائية فقد تناولت منها الاستفهام، العرض والتحضيض، التمني والترجي، الأمر والنهي، والحذف والتقديم والتأخير.

وأخيرا أشير إلى أن ألوان البديع لا تستوقف الثعالبي إلا نادرا.

وليس الثعالبي بدعا في هذا التوجه، بل هي وجهة البلاغيين المتأخرين الذين يعتبرون البديع مجرد حلية وزينة لا تنقص بلاغة الكلام إن لم يتضمنها، فاختصرت في ذلك على الطباق والمقابلة.

وتجدر الإشارة إلى أن ما ورد في الفصول السابقة لا تكشف عن تصور بلاغي متكامل الأنحاء، فمن غير الممكن الجزم بأن الثعالبي اتبع تقسيمات البلاغيين أو لم يتبعها، فالمادة البلاغية قد تم جمعها عبر التنقيب من تطبيقاته المبثوثة في تفسيره، مما لا يكشف بشكل واضح عن تصوره النظري لتقسيمات المباحث البلاغية.

غير أن المادة المعروضة في الفصول السابقة قد تطرقت إلى أغلب الأقسام التي عرض لها البلاغيون.

وختمت الرسالة بالنتائج التي توصل إليها البحث.

ولتحقيق الأهداف المرسومة في الخطة، أخذت بالمنهج الوصفي التحليلي، الذي يعتمد على دراسة الظواهر اللغوية تحليلا علميا قصد الوصول إلى القواعد التي تتحكم في هذه الظواهر اللغوية.

ولما كانت طبيعة المادة تقتضي الموازنة والتتبع التاريخي في بعض الأحيان تتبعت المنهج التاريخي المقارن لمعرفة الاستعمالات الواردة في لغتنا العربية.

والحديث عن المصادر في هذه الرسالة أقول: إنها قد تنوعت بتنوع المادة المدروسة، وصعوبة البحث في هذه المصادر والمراجع، جعلتني ألاقي بعض الصعوبات. خشية أن أدعي الإحاطة، فإنني أشرت إلى بعض من سبقني آنفا. وقد عمدت في هذه الرسالة إلى ألوان من المصنفات سقتها على النحو التالي:

- كتب التراجم والطبقات: وقد أفدت منها في التعريف بشخصية الثعالبي.
- الرسائل الجامعية: التي تناولت دراسة القضايا اللغوية والبلاغية وفق المنهج اللغوي الحديث.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

- المعاجم باختلاف أنواعها، كالعين، والجمهرة، والتهذيب، والمقاييس، والصحاح واللسان، كما أفدت منها في توثيق بعض النصوص اللهجية مع ضبط نصوصها.
- التفاسير باختلاف توجهاتها ومناهجها، كتفسير المحرر الوجيز لابن عطية، وتفسير الكشاف للزمخشري، ومدارك التنزيل للنسفي، والبحر المحيط لأبي حميان الأندلسي.
- كتب معاني القرآن، كمعاني القرآن للفراء، ومعاني القرآن للزجاج، ومعاني القرآن للأخفش...
- كتب اللغة المتخصصة قديمها وحديثها ككتب النحو والصرف، والأصوات وفقه اللغة والقراءات القرآنية.
- كتب البلاغة المتخصصة قديمة كانت أو حديثة، كأساس البلاغة، ودلائل الإعجاز.
- كانت هذه أهم المصادر والمراجع لتي كانت سندا في إنجاز هذا البحث، وهي كما تقتضيه طبيعة الموضوع قيد الدراسة.

ولا يسعني في ختام هذه المقدمة إلا أن أسجل عظيم شكري للأستاذ الدكتور عبد الكريم عوفي على ما أولانيه من عناية صادقة وتوجيه سديد كان لهما الأثر الكبير في بلوغ البحث ما بلغ إليه.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور بلقاسم ليبارير على تقبله الإشراف على هذا البحث بعد مغادرة المشرف الأول فجزاه الله عني أفضل الجزاء.

ووفاء لأهل الفضل أقدم أسمى عبارات التقدير إلى المجلس العلمي لكلية الآداب جامعة العقيد الحاج لخضر ــ باتنة ــ الذي قبل بتسجيل هذا البحث، وكل أملي أن أكون قد وفقت برسالتي هذه إلى إضافة جديد للمكتبة اللغوية خدمة للقرآن الكريم، وعلى الله قصد السبيل.

السعيد بوخالفة

السبت في: 2003/04/26

الموافق : 27 صفر 1424 هـ

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

مدخـــل

عبد الرحمن الثعالبي: حياته وآثاره

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

1 ــ الثعالبي: حياته(*) وآثاره

آثـــاره: حين ينفلت قلب الإنسان من حاضره إلى ماضيه ويسرح بفكره في أمجـــاد آبائه وأجداده، ويستعرض ما سطروه من صفحات ناصعة في ميادين العلـــم والمعرفـــة، يشاهد أمامه ببصيرته صرحا شامخا، تتلألأ في عليائه مصابيح الهدى وتتفجر في جنباتـــه ينابيع العلم والمعرفة، اشترك في بناءه رجال اكتملت فيهم معالم الرجولة، واجتمعت لهـــم خصال الخير وخلائق الإيمان، واتسعت فيهم ملكات الفهم والفقه وتمكن في قلوبهم حـــب القرآن الكريم فعلموه وعملوا به، ونقبوا عن معانيه ومراميه، ولم يكتموا شـــيئا علمـــوه، فكانوا للناس أئمة يدعونهم للخير، فتركوا لنا تراثا خالدا ننعم به، ونستمد منه ما ينفعنا في ديننا ودنيانا.

وكان من هؤلاء الأئمة الأعلام من نحن بصدد الحديث عنه، وهـــو عبـــد الـــرحمن الثعالبي الذي اعتنى بالتدريس والتأليف، فجال في نواحي كل فن وضرب فيه بسهم، وكان كالقارئ الذي لا يعرف إلا القرآن الكريم، وكالمحدث الذي لا يعرف إلا الحديث، والفقيـــه الذي لا يعرف إلا الفقه.

وقد حفظت لنا الأيام كثيرا من مؤلفاته وبيان ذلك الآتي:

أولاــ المخطوطات:

1 ــ الآداب: نسخة بمكتبة المخطوطات العربية الإسلامية، بالفاتيكان رقم: 1462.

2 ــ الأنوار المضيئة في الجمع بين الحقيقة والشريعة، توجد منه نســـخة بالمكتبـــة الوطنية الجزائرية تحت رقم: 876/5، كما توجد نسخة أخرى بالخزانة الحسنية الربـــاط رقم: 1602 د (أ ــ 17 أ).

(*) هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري، المالكي المذهب. ولد بواد يسّر غير بعيد عن عاصمة الجزائر سنة 785 ه الموافق 1308 م وهو من العلماء الصالحين، المعروفين بالزهد والورع، وســـعة العلـــم، والتبريز في علم الحديث وغلبة الفقه والتصوف عليه. توفي سنة 875 ه عن عمر يناهز التسعين سنة.

ينظر: ترجمته في الضوء اللامع للسخاوي 152/4، ونيل الابتهاج بتطريز الديباج للتنبكتي 173 175، وشجرة النور الزكية لمحمد بن مخلوف 464/1، 465، والأعلام للزركلي 131/2 وهدية العارفين للبغدادي 532، وتعريف الخلـــف برجال السلف للحفناوي 63/1.

وقد تنقل في البلاد طلبا للعلم فقام برحلات كانت له بمثابة مدرسة أمدته بمعالم الحياة فاستعان بهـــا علـــى فهـــم اللغـــة وتصحيح الأخبار، ورد كل قول إلى قائله، اعتمادا على ما عرفه من طبيعة هذه الأماكن، ومن طبـــائع ســـاكنيها: لقـــد تحدث عن رحلاته في كتابه الجامع وهو مخطوط وتوجد منه نسخة بالخزانة الحسنية بالربـــاط تحـــت رقـــم: 3175، وللمزيد من المعلومات ينظر: عبد الرحمن الثعالبي والتصوف للدكتور عبد الرزاق قسوم: 32ــ38.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

3 ــ الأنوار في آيات ومعجزات النبي المختار، نسخة بالخزانة الحسنية بالربـــاط رقم: 583 د (279 ورقة).

4 ــ التقاط الدرر، توجد منه نسخة، بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم .17551

5 ــ جامع الأمهات في أحكام العبادات، توجد منه نسخة بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم .583

6 ــ جامع الخيرات، توجد منه نسخة بالمكتبة الوطنية بباريس رقم 1187.

7 ــ حكاية أحلام، توجد نسخة منه في المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم: .1546

8 ــ الدر الفائق المشتمل على أنواع الخيرات في الأذكار والدعوات، نسخة بالخزانة الحسينية، الرباط رقم 622، ورقم 667د.

9 ــ رؤية سيدي عبد الرحمن الثعالبي: مكتبة المخطوطـــات العربيـــة والإســـلامية بالفاتيكان، رقم: 307/1.[1]

10 ــ روضة الأنوار ونزهة الأخبار، قال الثعالبي: جمعته في سنين كثيـــرة فيـــه بساتين وروضات.

توجد منه نسختان بالمكتبة الوطنية الجزائرية الأولى تحت رقم 536/4 والثانية تحت رقم:.884

11 ــ رياض الأنس في علم الرقائق وسير أهل الحقائق، نسخة بالخزانة الحسينية، الرباط، رقم: 1508 د (أب ــ 58 ب).

ونسخة بالمكتبة الوطنية الجزائرية رقم: 537./2

12 ــ رياض الصالحين وتحفة المتقين، توجد نسخة منه بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم: 883. ونسخة أخرى بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم .592

13 ــ عمدة البيان في معرفة فرائض الأعيان، توجد منها نسخة بالمكتبة الوطنيـــة الجزائرية، الأرقام من 592 إلى 597.

---

(1) رجعنا في إحصاء المخطوطات من آثار الثعالبي إلى الفهارس التالية:

فهرس المخطوطات العربية بالمكتبة الوطنية الجزائرية.

فهرس المخطوطات، المكتبة الوطنية، دار الكتب الوطنية، تونس.

فهرس المخطوطات، الخزانة الحسنية، الرباط.

فهرس المخطوطات، المكتبة الوطنية، باريس.

فهرس المخطوطات العربية والإسلامية بمكتبة الفاتيكان، باللغة الإنجليزية.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

14 ــ قصة النبي إدريس عليه السلام ، المكتبة الوطنية الجزائرية: رقم 408/5.

15 ــ قصيدة مدح الرسول ρ نسخة بالمكتبة الوطنية الجزائرية رقم: 2266.

16 ــ كتاب الأربعين حديثا في الوعظ والرقائق، توجد منه نسخة بالخزانة الحسنية، الرباط، رقم 1602 د.

17 ــ كتاب جامع الهمم في أخبار الأمم، ذكره الثعالبي في فهرسة مؤلفاته ذكر ذلك الحفناوي[1].

18 ــ المختار من الجوامع، توجد منه نسخة بالمكتبة الوطنية الجزائرية رقم 405/3.

ثانيا ــ المطبوعة:

1 ــ "الجواهر الحسان" في تفسير القرآن، تحقيق الدكتور عمار طالبي المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985م.

2 ــ شرح المختار من الجواهر في محاذاة الدرر اللوامع، المطبعة الثعالبية الجزائر 1324هـ.

3 ــ العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة، المطبعة الحميدية المصرية، القاهرة 1317هـ.

4 ــ كتاب المرائي: المطبعة الحميدية، القاهرة 1317هـ.

5 ــ نبذة عن كتاب المسمى بالجامع الكبير، المطبعة الثعالبية، الجزائر 1339هـ.

ولعل أعظم ما صنفه في حياته تفسيره "الجواهر الحسان" وهو ما سيتجلى لنا فيه اتجاهه، وفكره، ومنهجه في استنباط المعاني القرآنية واللطائف البلاغية، والأدوات التي استعان بها في تفسير كتاب الله تعالى.

(1) تعريف الخلف: 69/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

القســـــم النظري

الثعالبي في "الجواهر الحسان"

الفصل الأول

أدوات الثعالبي في "الجواهر الحسان"

منهجه في التفسير:

أ – بين التفسير والتأويل

ب– موقف الثعالبي من التفسير بالمأثور

1 ــ تفسير القرآن بالقرآن.

2 ــ تفسير القرآن بالسنة.

3 ــ تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين

جـــ ــ موقف الثعالبي من التفسير بالرأي

د ــ موقف الثعالبي من النسخ

هـــ ــ موقف الثعالبي من الحروف المقطعة في بداية بعض السور

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الفصل الأول

أدوات الثعالبي في التفسير

استهل المؤلف التفسير بمقدمة موجزة بين فيها الباعث على تأليفه، كما ذكر أهم ما ضمنه، وأشار إلى أنه توخى الاختصار والإيجاز ليسهل على طلب العلم حفظ ما فيه من فوائد.

بعد ذلك شرع في تفسير سورة الفاتحة ثم سورة البقرة حتى نهاية القرآن الكريم.

وفي ضوء مراجعتي لهذا التفسير ودراستي له أمكنني حصر أهم ملامح منهجه فيما يأتي:

أولا– اعتماده على القرآن في التفسير، وهو يفعل ذلك لبيان لفظة مبهمة ورد تفسيرها في موضع آخر ومن الأمثلة على ذلك، ما ذكره عند تفسيره قوله تعالى: {هُنَالِكَ تَبْلُوكُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ}.[1]

قال المفسر: ينكشف لها ما أسلفت فتختبر جزاءها[2] كما قال تعالى: (يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ)[3].

وقد يستعين في بيان وتفسير ألفاظ القرآن الكريم الغريبة بالمقارنة بنظائرها التي وردت في مواضع أخرى نحو قوله تعالى: { فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ}.[4]

قال المفسر: أي ماتوا[5]، كما في قوله تعالى: {فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ} [6].

(1) يونس: 30.

(2) الجواهر الحسان235/2.

(3) الطارق: 9.

(4) البقرة: 55.

(5) الجواهر الحسان: 77/1.

(6) الزمر: 68.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ثانيا– اعتماده على الحديث النبوي والأثر في تفسير القرآن، ويلاحظ كثـــرة ورود الأحاديث المرفوعة والموقوفة، وفيها من غريب الحديث حيث يربط بين اللفظة الغريبـــة ويفسرها بما ورد في الحديث لبيان وتفسير تلك اللفظة نحو قوله تعالى: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ} .[1]

قال المفسر: جنات جمع جنة وهي بستان الشجر والنخل[2]، وروي عن النبـــيρ "إِنَّ ثِيَابَ الجَنَّةِ تَشَقَّق عَنْهَا ثَمَرُ الجَنَّةِ"[3] .

ومنه قوله تعالى: {وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} [4].

قال المفسر: شهداء: جمع شاهد وروي في هذا المعنى حديث صحيح عن النبيρ أن أمته تشهد لكل نبي ناكره قومه[5].

ومن قوله تعالى: {وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ} [6]، قال المفسر: الرضوان مصـــدر مـــن رضي وفي الحديث الصحيح عن النبي ρ "أَنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ إِذَا اسْتَقَرُّوا فِيهَا، وَحَصَـــلَ كُـــلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ وَلاَ أُذنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، قَالَ اللهُ لَهُمْ أَتُرِيدُونَ أَنْ أُعْطِيَ لَكُمْ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ قَالُوا: يَا رَبَّنَا وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُـــولُ اللهُ سُبْحَانَهُ أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ أَبَدًا"[7].

كما يعتمد الثعالبي على أقوال الصحابة والتابعين بذكر أقوالهم في التفسير وأســـباب النزول ومعرفة الناسخ والمنسوخ وأوجه القراءات المأثورة عنهم.

وأبرز الصحابة الذين نقل عنهم ابن عباس[8]، وابن مسعود[9]، وعلـــي ابـــن أبـــي طالب[10]، وغيرهم.

---

(1) البقرة: 25.

(2) الجواهر الحسان: 25/1.

(3) مسند أحمد، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، رقم:6596.

(4) الحج: 78.

(5) رواه الدرامي عن ابن كعب، كتاب فضائل القرآن، رقم: 3232.

(6) آل عمران: 15. وينظر الجواهر الحسان: 300/1.

(7) رواه مسلم في صحيحه، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة، رقم: 2829.

(8) الجواهر الحسان:35/1 ، 39/1، 45/1، 10/2، 13/2، 502/19، و 7/3 ، و 5/4 ، 6.

(9) المصدر نفسه:40/1، 53/1، 321/2، 32/3، 6/4، 10 ، 21.

(10) المصدر نفسه:45/1، 52/1، 121/2، 7/3 .

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ومن التابعين، مجاهد[1]، وقتادة[2]، ... وغيرهما.

ثالثا– عنايته بذكر أوجه القراءات القرآنية، فاهتمام المؤلف بهذا الجانب ظاهر في تفسيره، فهو يعنى بذكر القراءات المختلفة، وفي بعض الأحيان يبين الاختلاف في المعاني باختلاف القراءة[3]، وغالب القراءات التي يوردها سبعية، وأحيانا يورد القراءات العشرية.

أما القراءات الشاذة فلم ترد في هذا التفسير إلا نادرا[4]. وفي الغالب يعزو القراءة إلى أصحابها، كما انه ينقل عن أئمة القراءات واللغة في توثيق النصوص التي يوردها في توجيه القراءة، كالزجاج، وأبي علي الفارسي، والفراء.

رابعا– اهتمامه بذكر أسباب النزول، وهو في ذلك يعتمد على الصحيح الوارد في هذا الشأن، مثل: قوله تعالى: {وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ}.[5] قال المفسر: قال ابن عباس سبب هذه الآية أن النبي ρ أبطأ عنه جبريل عليه السلام مدة فلما جاءه قال يا جبريل قد اشتقت إليك أفلا تزورنا أكبر مما تزرنا فنزلت هذه الآية. وفيه أيضا قوله تعالى: {وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا} [6] قال المفسر: روي أن سبب نزول هذه الآية هو أن رجالا من قريش كانوا يقولون هذا ونحوه، وذكر أن القائل هو أبي بن خلف.

خامسا– عنايته بذكر المسائل الفقهية، فقد تعرض في تفسيره لآيات الأحكام ذاكرا أقوال الفقهاء فيها[7].

وأحيانا يورد أقوال الحنفية والشافعية والمالكية في تلك المسائل مرجحا أقوال المالكية مع ذكر حجج المخالف والرد عليها.

ومن ذلك قوله تعالى: {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ}.[8]

---

(1) 40/1، 54/1، 16/2، 18، 19، 502، 15/4، 21.

(2) الجواهر الحسان /60، 63/1، 10/2، 16، 19، 5/4، 6، 9، 21.

(3) المصدر نفسه: 6/4، 7.

(4) المصدر نفسه: 28//4، 298/1.

(5) مريم: 62، وينظر: الجواهر الحسان: 23/3، 213/1، 271/1.

(6) مريم: 66، ينظر: الجواهر الحسان: 25/3.

(7) ينظر: بعض هذه المسائل في الصفحات التالية: 120/1، 230 و 40/2، 70 و 13/3، 24 و 122/4، 325.

(8) البقرة: 173 .

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

حيث مال المفسر[1]، إلى تضعيف قول من قال: غير باغ على الأمام ولا عاد في سفر، ولأن سفر الطاعة لا يبيح والحبس في الحضر يبيح، ولأن الميتة للمضطر، وعلى الباغي حفظ النفس من الهلاك.

وعند تفسير قوله تعالى: {وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ}،[2] أورد معنى الإتمام ومذاهب العلماء فيه[3].

وكذا عند تفسيره قوله تعالى: {لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ }.[4]

ذكر معنى الإيلاء ومدته وكفارته وأقوال العلماء فيه[5].

وقد أفاد الثعالبي من كتاب أحكام القرآن لابن عربي وقد صرح بذلك في مواضع متفرقة من تفسيره.

سادسا– اهتمامه بالجانب اللغوي والنحوي في تفسير القرآن، فقد عني بشرح الألفاظ الغريبة[6]، وبيان اشتقاقها، مستعينا في ذلك بنظائرها في القرآن الكريم، وبالحديث النبوي والأثر، وبلغة العرب ومن ذلك قوله: في باب تفسير القرآن: هو القرآن، وهو الكتاب، وهو الفرقان وهو الذكر، فالقرآن مصدر من قولك قرأ الرجل إذا تلا يقرأ قرآنا وقراءة، وقال قتادة: القرآن معناه التأليف، قرأ الرجل إذا جمع وألف قولا وبهذا فسر قتادة قول الله تعالى:{ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} [7] أي تأليفه، والقول الأول أقوى إذ القرآن مصدر من قرأ إذا تلا ومنه قول حسان بن ثابت:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به ≅ يقطع الليل تسبيحا وقرآنا[8]

أي: قراءة[9].

وقوله: وأما الكتاب فهو مصدر من كتب إذا جمع[1]، ومنه قول الشاعر:

---

(1) الجواهر الحسان: 160/1.
(2) البقرة: 196.
(3) الجواهر الحسان: 153/1.
(4) البقرة: 226.
(5) الجواهر الحسان: 173/1
(6) ألحق تفسيره بمعجم تناول فيه الألفاظ الغريبة الواردة في تفسيره.
(7) القيامة: 17.
(8) الديوان: 469.
(9) الجواهر الحسان: 34/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

لا تأمنن فزاريا خلوت به ≅ على بعيرك واكتبها بأسيار[2]

أي أجمعها.

أما فيما يتعلق "بسم الله الرحمن الرحيم" فقد ذكر معنى الاسم ووضعه واشتقاقه وأورد الأقوال في ذلك[3].

أما إعراب القرآن الكريم فهو ظاهر في تفسيره وقد عول في ذلك كثيرا على الصفاقسي وأفاد منه إفادة كبيرة، وهو كثير التصريح بالنقل عنه، كما ينقل عن أئمة النحو المتقدمين، مثل سيبويه والفراء، والزجاج وأبو عبيدة وأبو علي الفارسي ... وغيرهم.

وهو في إعرابه للآية يذكر أوجه الاختلاف فيها أحيانا يرجح بين تلك الآراء كما فعل في إعراب "إلا قليلا" في قوله تعالى: {ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا}.[4]

قال الصفاقسي: إلا قليلا منصوب على الاستثناء وهو الأفصح لأنه استثناء من موجب، وروي عن أبي عمرو "إلا قليلا" بالرفع، وجهه ابن عطية على بدل "قليل" من ضمير " توليتم" على أن معنى تولتيم النفي، أي: لم يف بالميثاق إلا قليل، ورد بمنع النحويين البدل من الموجب، لأن البدل يحل محل المبدل منه، فلو قلت:

قام إلا زيد لم يجز لأن إلا لا تدخل في الموجب، وتأويله الايجاب بالنفي يلزم في كل موجب، باعتبار نفي ضده أو نقيضه، فيجوز قام القوم إلا زيد، على تأويل لم يجلسوا إلا زيد، ولم تبن العرب على ذلك كلامها. وإنما أجازوا قام القوم إلا زيد، بالرفع على الصفة، وقد عقد سيبويه في كتابه بابا لذلك[5].

وينتصر المؤلف رحمه الله في النحو للمذهب البصري، وذلك بترجيح أقوالهم.

وقد يذكر بعض المصطلحات الكوفية[6]:

ولقد تأثر في ذلك بالفراء الذي جرى على هذه المصطلحات في كتابه معاني القرآن.

أما استشهاد المؤلف في تفسيره بأشعار العرب وأمثالهم وأقوالهم فقليل قياسا بغيره من المفسرين.

---

(1) الجواهر الحسان: 34/1.

(2) جمهرة أشعار العرب 220.

(3) الجواهر الحسان: 37/1.

(4) البقرة: 83.

(5) الجواهر الحسان: 92/1، 93 وينظر الكتاب: لسيبويه 220/2.

(6) سيأتي الحديث عن هذه المصطلحات في مبحث المصطلحات النحوية.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

سابعا ــ ذكر لطائف تتعلق بالنظم القرآني، وذلك من حيث أسلوبه وبلاغته فأورد من ذلك على سبيل المثال {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} [1] قال المفسر: قدم إياك على الفعل اهتماما وشأن العرب تقديم الأهم[2].

أولا– منهجه في التفسير:

يعد تفسير القرآن الكريم منزلة من ذروة الأبحاث العلمية، في العلوم الإسلامية يتوقف عليه حسن الفهم والتلقي لهداية القرآن، ويحتاج الباحث فيه إلى كثير من العلوم الإسلامية، بل إلى جميع العلوم اللغوية والإسلامية، لكي يكون على دراية بمرامي الآيات، وإعجازها خبير بما يجده في كتب التفسير من الأقاويل المتعددة، مختلفة أو مؤتلفة وما يقع عليه في تفسير كل آية من أنواع الروايات الصحيحة أو الضعيفة مع الإعواز الشديد لتمييزها عن بعضها.

فكانت الحاجة العلمية بصورة عامة ماسة إلى دراسة في التفسير تأخذ على عاتقها تطبيق المنهج العلمي لتفسر كتاب الله تعالى لتكون بين يدي الدارس نموذجا يحذو حذوه في دراسة التفسير على بصيرة بما يصادفه في مصادر هذا الفن ليحسن الأخذ منها، ويتقن عرض معاني القرآن، ويجلو أسرار بلاغته، وإعجازه، وحكمه وأحكامه، وحججه وأمثاله، ومواعظه وآدابه.

هذا وإن وفاء القرآن حقه من الدرس، والإبانة عن أسراره ودرر معانيه، هو أمر جليل أقر به بالقصور عنه أئمة هذا العلم على الرغم مما قدموه من موسوعات زاخرة بأنواع المعارف والدراسات إلا أنه لزاما على أهل العلم، أن يعملوا على تجديد ثوب العلوم بما يوافق كل عصر، قياما بواجب التبليغ وأداء الأمانة وأخذ بأسباب النهضة العلمية.

فليس بمقدور كل واحد استنباط الأحكام من كتاب الله وفهم معانيه، وبذلك كانت الحاجة ماسة إلى تفسير القرآن الكريم التفسير الذي يليق به.

وهكذا شهد تاريخ التفسير ــ منذ عصر مبكر ــ نمطين مختلفين في التفكير عكس اتجاهين متقابلين في التفسير، وظلا متعايشين في كل العصور[1]. أولهما التفسير بالمأثور، وثانيهما التفسير بالرأي.

---

(1) الفاتحة: 5.

(2) الجواهر الحسان: 41/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وقبل أن نفصل القول في ذلك ونقف على ملامح المنهج الذي سلكه الثعالبي في كتابه "الجواهر الحسان"، يجدر بنا أن نعرف التفسير والفرق بينه وبين التأويل.

أ ــ بين التفسير والتأول:

التفسير: هو البيان والكشف والإظهار ومثله الفسر، يقال: فسرت الشيء أفسره تفسيرا وفسرته فسرا بمعنى أبنته، والمزيد من الفعلين أكثر في الاستعمال[2].

فالتفسير كشف المغلق وإيضاح المبهم.

التأويل: ومجمل معناه: مرجع الأمر ومصيره وما تؤول إليه عاقبته، مأخوذ من آل يؤول إلى كذا بمعنى صار إليه. وأولته صيرته إليه، وعلى هذا حملوا قوله تعالى: {**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ**}.[3] أي لا يعلم متى يكون البعث وما يؤول إليه الأمر وعقباه إلا الله[4].

فالمعاني اللغوية السابقة للفظي (التفسير والتأويل) أوحت إلى كثير من اللغويين بالتقارب بينها أو اتحاد معناها، فابن فارس عقد لها بابا بعنوان "معاني ألفاظ العبارات التي يعبر بها عن الأشياء" ثم قال: "ومرجعها إلى ثلاثة وهي المعنى والتفسير والتأويل، وهي وإن اختلفت فإن المقاصد بها متقاربة"[5].

وقال ابن الأعرابي: إنها بمعنى واحد وهو ما رواه الأزهري عن أحمد بن يحي"[6] ويبدو أن الذي يجمعها في تفكير هؤلاء الأئمة هو الغاية من الكلام والهدف المقصود من التركيب إذ الغاية من ذلك هي فهم المعنى وإيصال المراد إلى المخاطب وما يستعمل التفسير والتأويل إلا لذلك، وواضح أن التفسير والتأويل مصدران يعبران عن حدثين لإظهار المعنى والمراد من الكلام فهما مترادفان في أشهر معانيهما اللغوية[7].

فبيان مرجع الأمر ومصيره ما هو إلا تفسير له وكشف لمعناه، فهو القصد الذي يظهر بهما.

ب–التفسير والتأويل في الاصطلاح:

---

(1) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، الدكتور محمد إبراهيم شريف،ص 64،63.

(2) اللسان، ابن منظور (فسر) 1095/2، والبرهان للزركشي: 147/2 .

(3) آل عمران: 7.

(4) الصاحبي، ابن فارس: 193 اللسان: (أول) 131/1، والبرهان: 147/2.

(5) الصاحبي: 193.

(6) تهذيب اللغة للأزهري: (عنى) 213/3، واللسان: (عنى) 910/2.

(7) ينظر: مناهل العرفان للزرقاني: 472/2.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

تباينت آراء العلماء في معناهما الاصطلاحي، فبعضهم يرى أنهما متساويان ولا فرق بينهما، وهذا هو الشائع في كتب الأقدمين[1].

فقد استخدم كل من الزجاج والفراء التفسير في مواضع مختلفة من مؤلفاتهم في التفسير بالمأثور، بينما وجدنا الطبري يستعمل كلمة التأويل باطراد وهي بعض عنوان تفسيره (جامع البيان عن تأويل القرآن).

وبعضهم يرى أنهما متغايرتان، ويختلف هؤلاء في تفسير هذا التغاير وأبرز ما قيل في ذلك، هو أن التفسير يخالف التأويل بالعموم والخصوص، ويجعل التفسير أعم مطلقا، فالتأويل بيان مدلول الكلمة أو التركيب بغير المتبادر لدليل، والتفسير بيان مدلولهما بالمتبادر وغير المتبادر، وأكثر ما يستعمل التأويل في المعاني والكتب الإلهية، والتفسير فيها وفي غيرها وأكثر ما يستعمل في الألفاظ المفردة[2].

فالتزام المفسرين التغاير بينهما غير وارد فهم يستعملونهما كثيرا دون الشعور بهذا التغاير، ولكن جعل التفسير أعم لا يجانب الصواب بل هو الأقرب والزركشي صحح التغاير بين اللفظتين فنقل عن بعض العلماء التعريف الآتي للتأويل وهو: "التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها غير مخالف للكتاب والسنة"[3].

فهذا التعريف يناسب التغاير بينهما والقول بأن التفسير أعم من التأويل الذي يحتاج إلى دليل من سياق أو غيره كما يوحي به هذا التعريف.

وهذا الاتجاه يدعمه قول الليث: " التأول والتأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ولا يصح إلا ببيان غير لفظه"[4]، وقول ابن الأثير: "والمراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ"[5] .

وقد ذكر العلماء للتفسير ألوانا من التعاريف وإن اختلفت لفظا فهي متفقة حول كشف معاني القرآن الكريم وما يحتاج إليه من أحكام أداء ألفاظه وبيان مدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية.

وهو ما ذهب إليه الثعالبي في تفسيره "الجواهر الحسان"[1].

---

(1) مناهل العرفان: 273/2.

(2) مناهل العرفان: 474/2، والبرهان: 149/2.

(3) البرهان: 150/2.

(4) اللسان: (أول)131/1.

(5) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: 80/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وعند النظر في صيغ المفسرين الذين تعرضوا لبيان معنى كتاب الله تعالى نجد أن الخطاب قد يسر، والشقة قد ضاقت، فكل واحد من المفسرين حاول جاهدا بيان الألفاظ والمعاني، وطائفة سمت تفاسيرها بالتفسير وطائفة بالتأويل، والأمر لا يعدو أن يكون اصطلاحات، ولا مشاحة في ذلك إلا أن اللغة والآثار تشهد في عمومها لتساوي التفسير والتأويل من حيث كشف المراد من كتاب الله تعالى وآياته.

أقسام التفسير:

روى الإمام الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: " التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهله، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى ذكره"[2].

كما ذكر حديثا مرويا عن الرسول ρفي معناه، وقال: إن في اسناده نظر لأن الذي رواه هو الكلبي عن أبي صالح، كما ذكره الإمام الزركشي عن عبد الرزاق بن همام الحميري في تفسيره[3].

وبناء على هذا الأثر جعل علماء القرآن أقسام التفسير أربعة هي:

1 ــ مالا يعلمه إلا الله تعالى: وهو ما يتصل بأمور الغيب، مثل الآيات المتضمنة قيام الساعة وأحوال الآخرة ونحوهما فلا مجال للاجتهاد في تفسيره ولا سبيل لمعرفته إلا بالتوقيف من أحد أمور ثلاثة: إما نص من التنزيل أو بيان من النبي ص، أو إجماع الأمة على تأويله، فإذا لم يرد فيه توقيف من هذه الجهات علمنا أنه مما استأثر الله بعلمه.

2 ــ ما لا يعذر أحد بجهله:

وهو ما يبادر إلى الأفهام معناه من النصوص المتضمنة شرائع الإسلام ودلائل التوحيد، وكل لفظ أفاد معنى واحدا جليا يعلم مراد الله تعالى.

3 ــ ما تعرفه العرب في كلامها:

وهو ما يرجع فيه إلى لسان العرب وأساليبها في الخطاب، ومرده إلى أمرين: اللغة والإعراب.

4 ــ تفسير العلماء:

---

(1) الجواهر الحسان: 249/1،و 210/3.

(2) تفسير الطبري: 75/1، 76.

(3) البرهان للزركشي: 164/4، 166، والاتقان للسيوطي: 188/4، 190. ومناهل العرفان: 478/1، 479.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وهو ما يرجع إلى اجتهاد العلماء ويغلب عليه إطلاق التأويل وهو صرف اللفظ إلى ما يؤول إليه ويؤخذ منه بدليل. وهو استنباط الأحكام وبيان المجمل وتخصيص العام.

الأخذ باللغة:

إن بين التفسير وعلوم العربية علاقة وثيقة، يعرفها كل من ألم بتاريخ القرآن وعرض لنشأة تلك العلوم. ومن الذائع أن الدراسات اللغوية والنحوية إنما نشأت خدمة للقرآن الكريم وصونا له، وتيسيرا للغته، وتوضيحا لمعانيه ونشرها في صفوف المسلمين على اختلاف قدراتهم وتنوع مشاربهم ولهجاتهم.[1]

لقد غدت علوم العربية ركنا من أركان التفسير بل ركنا جوهريا لا يقل أهمية عن شرط موافقة القراءة القرآنية لوجه من وجوه العربية، فهو عنصر ضابط يسهم في جلاء معالم القرآن اللغوية والأسلوبية والشرعية.

ولكن الأمر لم يقف عند هذا الحد فقد تطاولت أهمية هذه العلوم لدى كثير من المفسرين وأمست وكدهم بل شغلهم الشاغل في التفسير، فجعلوها مدخلا أساسيا إليه. وذلك انطلاقا من معرفة كبيرة لأصولها وفروعها، وولع شديد بأسرارها، فحشروا في تفاسيرهم معظم معارفهم النحوية واللغوية والبلاغية، وأقحموا كثيرا من مصطلحاتها، وأخضعوا نصوص القرآن الكريم وقراءاته لها وجعلوها مجالا رحبا للتطبيق. حتى إن كثيرا منهم منح الجانب النحوي أهمية خاصة وجعل يعرب القرآن سورة سورة، وآية آية وكلمة كلمة مدفوعا إلى ذلك بغاية التفسير تقربا من الله تعالى وخدمة لكتابه.

ومن الجدير بالذكر أن علاقة التفسير بعلوم العربية قد اتسمت بالتطور والتبدل ولم تكن نمطية ذات منحى واحد كما يحب أن يراها بعض الدارسين، وهي أن هذه العلوم قد نشأت في ظلال القرآن والتفسير وظلت أداة وخادمة، من دون أن يلاحظوا تطور هذه العلاقة وينعموا النظر في تاريخها.

إلا أن المتأمل في تقسيمات العلماء لأنواع التفسير وعلى كثرتها يمكن ان يجعلها قسمين رئيسين.

أولهما: التفسير بالرواية، وقد سماه كثير من العلماء التفسير بالمأثور.

وثانيهما: التفسير بالرأي.

ب ــ موقف الثعالبي من التفسير بالمأثور:

(1) الجواهر الحسان، 20/1 25.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

إذا أردنا أن نحدد اتجاه الإمام الثعالبي في التفسير وجدنا أنفسنا أمام شخصية متعددة الجوانب واسعة المدارك، بعيدة الأغوار جمعت من الأوصاف الخلقية والفكرية، والمعارف الإنسانية ما لا يستطيع الباحث أن يجد لها مفتاحا يتعرف من خلاله إلى تحديد مداخلها. فضلا عن التفسير الذي اتسعت فيه آفاقه وتعددت فيه مواهبه.

وقد سلك فيه مسلكا بين فيه المعاني وعلاقتها بالألفاظ، وربط بعضها ببعض، وذكر ما ورد فيها من آثار، وأبرز ما تحمله من أحكام ودلالات دينية وأدبية.

فهو صاحب الاتجاه الجمعي الذي يعتمد على القرآن والسنة وأقوال الصحابة والتابعين.

وليس معنى ذلك أن الثعالبي لم يأخذ بالأدلة العقلية والأقيسة اللغوية في تفسير الآيات التي لم يرد في تفسيرها قول لم يعتد به من أقوال السلف الصالح، مستعينا بذلك في ترجيح المعنى المراد.

وبذلك يكون رحمه الله تعالى قد جمع في تفسيره بين الحسنيين، فلا هو أهمل الشرع، ولا هو تجاهل العقل في الفهم والاستنباط.

وسوف نرى من خلال منهجه أنه رجل سليم الفطرة مستقيم الطبع وقاف عند حدود الشرع، ليس له مذهب غير مذهب السلف ولا فكر خارج عن حدود القرآن والسنة، وليس بصاحب بدعة يذم بها أو يخشى على كتاب الله منها.

وقد نهج الثعالبي نهج السابقين، جامعا بين الرواية والدراية، محلقا في الكتاب والسنة، وهما أساس الأحكام والإسلام، والمفسر محدث وفقيه ولكنه قلد الأقدمين في ذكر الآية متبوعة بالمعنى اللغوي ثم القرآني إن وجد، أو الحديث النبوي مع أقوال الصحابة، دون أن يغفل آراء وأقوال العلماء في الآية.

وقد بنى منهجه في التفسير بالمأثور حيث اتخذ من القرآن والسنة وأقوال الصحابة والتابعين مرجعا في ذلك.

1 ــ تفسير القرآن بالقرآن:

مما لا يخامرنا فيه شك أن عبد الرحمن الثعالبي أدرك للوهلة الأولى أن أفضل طرق التفسير وأصحها تفسير القرآن بالقرآن، فما أجمل في موضع قد فسر في موضع آخر، وما اختصر في موضع فقد بسط في موضع آخر، وما جاء عاما يبحث له عن مخصص،

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وما كان مطلقا أوجد له مقيدا[1] وتدقيق النظر في آيات القرآن الكريم، واستخراج الحكم من مظانه.

فهو وحدة موضوعية موصولة الحلقات، مترابطة في المعاني والمرامي لا يستطيع المفسر أن يفهم معنى آية حتى ينظر في القرآن كله ليتعرف من نظائرها على المعنى المراد، على وجه تطمئن إليه نفسه ولا سيما في الآيات المتشابهة، فما من مفسر لكتاب الله تعالى يؤخذ بقوله إلا وتراه قد سلك هذا المسلك[2].

فألفاظ القرآن الكريم إما واضحة الدلالة يفهم المراد منها بنفس صيغتها، ولا تحتاج في بيان معناها إلى غيرها مثل المحكم والمفسر والنص والظاهر وأما غير واضحة الدلالة التي لا يتبين المراد بها في صيغتها، بل لابد من الاستعانة في فهمها بقرائن خارجية، فقد يدل اللفظ على معان متعددة أو يمكن حمله على أكثر من وجه، والذي يرجح أحد هذه المعاني، هو الوقوف على مقصد الشارع، ومن أمثلته الخفي والمشكل والمجمل والمتشابه[3].

فقد يرد في القرآن لفظ مبهم في موضع، ثم يأتي بيانه وتفسيره في موضع آخر مثل قوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} [4].فقد فسرت كلمة الظلم في آية أخرى وهي قوله تعالى: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}.[5]

قال المفسر على لسان ابن عطية الظلم بمعنى الشرك[6].

ومنه أيضا قوله تعالى: {وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ(1)وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ(2)النَّجْمُ الثَّاقِبُ}.[7]

قال المفسر: الطارق: الذي يأتي ليلا، ثم فسر الله تعالى هذا الطارق بأنه النجم الثاقب [8].

---

(1) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: 39.

(2) منهج الطبري في التفسير: 44.

(3) أدلة الأحكام في عهد النبوة وعصر الخلفاء: 44، معترك الأقران: 224/2. والأحكام في أصول الأحكام الآمدي: 294/2. المحصول في علم أصول الفقه للرازي: 316/1.

(4) الأنعام: 82.

(5) لقمان: 13.

(6) الجواهر الحسان: 642/1.

(7) الطارق: 2.

(8) الجواهر الحسان: 597/4.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ومنه أيضا قوله تعالى: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}.[1] فقد فسر الأولياء بقوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}.[2] وفي هذا رد على من جعل الولي بأنه يعلم الغيب أو تكون له كرامات أوله قبة على قبره إلى غير ذلك من الاعتقادات الباطلة.

وإنما هم عباد الله يتحابون في الله ويجعل لهم يوم القيامة منابر من نور، فهم في عرصات القيامة لا يخافون ولا يحزنون[3].

وقد يكون الظاهر المتبادر من الآية بحسب الوضع اللغوي غير مراد، وأن المراد غيره، بدليل آية قرآنية أخرى كما في قوله تعالى: {الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ} [4]. فالظاهر المتبادر إلى الذهن من ظاهر اللفظ أن الطلاق كله محصور في مرتين، ولكن الله تعالى بين أن المراد بالمحصور في المرتين خصوص الطلاق الذي يملكه الرجل بعد الرجعة لقوله تعالى: {فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ} [5].

وقد يذكر الله تعالى لفظا عاما في آية ثم يذكره في أخرى موضحا المراد منه والمخصوص كقوله تعالى: {وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ}[6]. فالشعائر غامضة الدلالة، ثم فسرت بآية أخرى: {وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ}[7] أي خير الدنيا والآخرة.

ومن الشواهد التي يمكن الاستدلال بها على المجمل والمبين الواردة في تفسير "الجواهر الحسان".

قوله تعالى: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}[8].

---

(1) يونس: 62.

(2) يونس: 63.

(3) الجواهر الحسان: 245/2 246.

(4) البقرة: 229.

(5) البقرة: 230. الجواهر الحسان: 211/1، 212.

(6) الحج: 32.

(7) الحج: 36، الجواهر الحسان: 123/3، 124.

(8) الفاتحة: 4. الجواهر الحسان: 37/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

قال المفسر: يوم الدين يوم الجزاء من الرب لعباده، وحكى أهل اللغة دنته بفعله دينا بفتح الدال ودينا بكسرها: جزيته وفيه قول الشاعر:

واعلم يقينا أن ملكك زائل ≅ واعلم بأن كما تدين تدان

أي كما تفعل تجازى، ودل عليه قوله تعالى:{ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (17) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (18) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ}[1].

قال المفسر: والدين هنا الحساب، قاله ابن عباس وغيره، وقال قتادة يوم يدين الله لعباده بأفعالهم، وقيل في معنى الدين غير هذا وبذلك حمل المفسر آية الفاتحة المجملة في يوم الدين على المبينة في سورة الانفطار، فوضح يوم الجزاء والحساب حملا للقرآن بعضه على بعض[2].

وفيه أيضا قوله تعالى:{ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى}[3].

قال المفسر: كتب معناه فرض وأثبت، وهو إخبار من الله بذلك، فالقصاص المماثلة في القتل والدية والجراح فيقتل القاتل بمثل الذي قتل به وهو قول مالك، والشافعي، وقد يقتل بالسيف وهو قول أبي حنيفة. وقد استدل بهذه الآية القائلون بأن الحر لا يقتل بالعبد، وهم الجمهور وذهب أبو حنفية وأصحابه بأنه يقتل به إذا كان غير سيده، وأما السيد فلا يقتل بالعبد إجماعا. واستدل أبو حنيفة وصحبه بقوله تعالى: {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا}[4] وقوله أيضا {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ}[5].

فالجمهور يتمسك بآية البقرة فهي مبينة ومفسرة والأخذ بها أولى[6]، بينما يتمسك الكوفيون بآية المائدة وهي مجملة[1].

---

(1) الانفطار: 17، 19 والجواهر الحسان: 576/4.

(2) معترك الأقران: 220/1، والاتقان: 19/2.

(3) البقرة: 178.

(4) المائدة: 32.

(5) المائدة: 45.

(6) البرهان للزركشي: 191/2.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وذهب المفسر إلى أن الرجل يقتل بالمرأة، وهو الحق عند الشوكاني[2]. والذي أخذ به الثعالبي وهو حجة تعضده السنة النبوية المطهرة، عن ابن عباس رضي الله عنه أن هذه الآية محكمة فيها إجمال فسرته آية المائدة، وبذلك فالآخذ بالمبين أوضح[3].

ومن النصوص التي يمكن الاستشهاد بها على العام والخاص[4] الوارد ذكرها في "الجواهر الحسان"، قوله تعالى: {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[5].

قال المفسر: ولفظ الميتة عموم، والمعنى مخصص لأن الحوت لم يدخل قط في هذا العموم، بدليل قوله تعالى في سورة المائدة: {أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ}[6].

فالمراد بالميتة المحرمة في الآية إذن ميتة البر لا البحر، حيث ذهب أهل العلم إلى جواز أكل جميع الحيوانات البحرية حيها وميتها[7].

وقد أضاف الثعالبي أن آيتي البقرة[8]، والمائدة[9]، جمعتا تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير، وأما سورة الأنعام[10] فهي مكية، وهي خاصة في الدم المسفوح، والآية العامة التي وردت في سورة المائدة وهي مدنية وبذلك تقدم الخاص على العام في هذا الموضع، فالعبرة بالخاص سواء تقدم أو تأخر[11].

2 ــ تفسير القرآن بالسنة:

---

(1) فتح القدير: 175/1.

(2) الجواهر الحسان: 165/1، وينظر فتح القدير: 175/1.

(3) الجواهر الحسان: 165/1.

(4) يراد بالعموم استغراق اللفظ لكل ما يصلح له من غير حصر، وفي مقابلته الخصوص، وهو كونه مقصورا على بعض ما يتناوله: ينظر: مفتاح الوصول في علم الأصول لمحمد بن أحمد المالكي: 82.
معترك الأقران: 208/1، والبرهان: 220/2، الأحكام: 127/3.

(5) البقرة: 173، والجواهر الحسان: 160/1.

(6) المائدة: 96. والجواهر الحسان: 584/1.

(7) فتح القدير: 169/1.

(8) البقرة: 173.

(9) المائدة: 3 .

(10) الأنعام: 145. الجواهر الحسان: 676/1.

(11) البرهان: 222/2، والاتقان: 20/2.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

تعد السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، وهي مرحلة تالية للتفسير في منهج التفسير بالمأثور الذي يعتمد كلية على القرآن الكريم في تفسير ذات النص، ثم يتجه إلى السنة النبوية راغبا في البيان والتوضيح، وكما قيل السنة ذكر يشفع وبيان ينفع، والدليل على ذلك قوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}[1].

لذلك قال الشافعي "فجماع ما أبان الله لخلقه في كتابه مما تعبدهم لما مضى من حكمه ــ جل ثناؤه ــ من وجوه، فمنها ما أحكم فرضه بكتاب وبين كيف هو على لسان نبيه مثل عدد الصلاة والزكاة ووقتها، وغير ذلك من فرائضه التي أنزل من كتابه، ومنها ما سن رسول الله مما ليس لله سبحانه فيه نص حكم، وقد فرض الله في كتابه طاعة رسوله والانتهاء إلى حكمه. فمن قبل عن رسول الله فبفرض الله قبل"[2].

فتفسيرهρللقرآن وبيانه له ما هو إلى وحي، غير أنه بلفظ الرسول الذي علمه ربه البيان، وفضله بذلك على البشرية إلى يوم القيامة، وقبول هذا البيان من الرسول بما حوى من أوامر ونواه هو قبول لفروض الله تعالى مراعاة للتيسير على البشر في كون الرسول منهم جنسا، ولغة، ولكنه يوحى إليه من ربه صلاحا للعباد في حياتهم وآخرتهم. قال تعالى: { وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}[3].فقد أسند الله البيان إلى الرسول حين الاختلاف، كما أكد على حقيقة النزول من عنده دون سواه، منعا للشك في الإنزال، وصونا للقرآن من التقليد والتشبيه.

قال الشافعي: "وسنة رسول الله مبينة عن الله معنى ما أراد دليلا على خاصه وعامه، ثم قرن الحكمة بها بكتابه فأتبعها إياه ولم يجعل هذا لأحد من خلقه غير رسوله"[4].

فإن لم يجد المفسر ضالته في نفس القرآن فليعد إلى السنة فإنها شارحة له، وموضحة لما أبهم فيه. روى المقدام بن معد يكرب عن رسول الله قال: " ألا أني قد أوتيت القرآن ومثله..."[5].

---

(1) النحل: 44

(2) الرسالة للشافعي: 49.

(3) النحل: 64 .

(4) الرسالة: 80

(5) أبو داود والسجستاني، السنن 200/4.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ومثله هو السنة النبوية الشريفة، سواء أكانت فعلية، أو قولية أم تقريرية، ويدخل فيها الحديث النبوي على رأي من جعل السنة عاما والحديث خاصا، أو هما مترادفان، فلا خلاف في جعل السنة المصدر الثاني في التشريع والتفسير، وهذه السنة مما يراد بها التشريع، فقد روى الأوزاعي عن حسان بن عطية قال: " كان الوحي ينزل على رسول الله ويحضره جبريل عليه السلام بالسنة التي تفسر ذلك، وقال عن مكحول أيضا القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن، وهذا ثابت عن أحمد بن حنبل أن السنة تفسر القرآن وتوضحه"[1].

فهذه دلالة واضحة لارتباط القرآن الكريم بالسنة النبوية الشريفة روي عن عمران بن حصين أنه سمع من يقول نأخذ ما في القرآن من حلال وحرام ولا غير فقال له: إنك امرؤ أحمق: أتجد في كتاب الله تعالى الظهر أربعا لا يجهر فيها بالقراءة ثم عدد عليه الصلاة والزكاة ونحو هذا ثم قال: أتجد هذا في كتاب الله تعالى مفسرا إن كتاب الله أبهم هذا وإن السنة تفسر ذلك"[2].

وهذا الموقف يتكرر الآن بين المتشككين أو المسلمين الذين لا يحسنون فهم دينهم، وقد فهم هذا الفهم السليم عمران بن حصين في حديث الرسولρ"لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ، فَيَقُولُ لاَ أَدْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللهِ أَتَّبَعْنَاهُ"[3].

وقد فسر الرسولρكثيرا من القرآن، إلا ابن تيمية[4] ومن وافقه يرون أن الرسول بين القرآن كله لفظا ومعنى، والآية تتناول هذا وهذا. ومنه قوله تعالى {وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}[5].

وقال آخرون بخلاف هذا الرأي اعتمادا على حديث نبوي عن عائشة رضي الله عنها قالت: " ما كان رسول الله يفسر شيئا من القرآن إلا آيات بعدد علمه إياهن جبريل"[1]. قال

---

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: 33/1.

(2) الموافقات للشاطبي: 26/4.

(3) الرسالة: 89، قال المحقق أحمد شاكر عن الحديث: صحيح رواه أحمد في المسند 130/4، 131، 132.
ورواه الدرامي 144/1، وأبو داود 328/4، 329، والترمذي 111/2. وقال الترمذي عن أبي رافع مولى الرسول مسندا، وعن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه، حديث حسن رواه ابن ماجه 5/1.

(4) مقدمة في أصول التفسير: 2.

(5) النحل: 64.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ابن جرير " هذا مع ما في الخبر الذي روي عن عائشة من العلة في إسناده، التي لا يجوز معها الاحتجاج به لأحد ممن علم صحيح سند الآثار وفاسدها في الدين، لأن رواية ممن لا يعرف في أهل الآثار وهو جعفر بن محمد الزبيري"[2].

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أنه لا ينبغي أن يفهم من الحديث أنهρ لم يكن يفسر من القرآن إلا القليل من آياته وحروفه، وإلا كان إنزال الذكر على الرسول ليترك للناس بيان ما أنزل إليهم، لا ليبين لهم ما أنزل إليهم، وهذا مناقض لمفهوم الآية من إنزال الذكر، أي السنة ليبين الرسول بها للناس القرآن، ويتحقق بذلك صريح البيان، وبيان الإجمال، وتفصيل المجمل، وإيضاح الدلالات ومعرفة المبهم[3].

وخلاصة القول إن الرسول بين للصحابة وللناس الكثير من المعاني القرآنية والألفاظ الغريبة، التي أرادوا معرفتها وأما ما عرفوه بالسليقة العربية أو فهموه بالممارسة الإيمانية، فلم يسألوا عنه. إلا إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

وإلى ذلك أشار الصديق خان بقوله: فالتفسير الذي ينبغي الاعتداد به والرجوع إليه هو تفسير كتاب الله جل جلاله باللغة العربية حقيقة ومجازا إن لم تثبت في ذلك حقيقة شرعية، فإن ثبتت فهي مقدمة على غيرها، وكذلك إذا ثبت تفسير ذلك من الرسول فهو اقدم من كل شيء، بل حجة متبعة لا يسوغ مخالفتها بشيء آخر"[4].

وكل ذلك بعد تفسير كتاب الله تعالى من كتاب الله نفسه،و أما ما استأثر الله سبحانه لنفسه ولم يطلع الرسول عليه ولم يعطه لأحد كالعلم بالغيب والرزق والأعمار والآجال فلا مجال للسؤال عنه.

ويجب على كل من يتناول القرآن الكريم بالشرح والتفسير أن يتقيد ببعض الضوابط، ومن ذلك النقل السليم والصحيح عن الرسولρوالعودة إلى القرآن الكريم، فلا ينفع رأي لقائل، ولا يشفع علم لصاحبه في تفسير كتاب الله تعالى برأي غير مستند إلى دليل.

---

(1) قال السيوطي في التمييز في علم التفسير: 323، وأما حديث عائشة فهو حديث منكر وإن أوله الطبري، وذلك لأن رواية جعفر بن محمد بن خالد بن الزبير بن العوام القرشي لا يتابع في حديثه، وقال ابن كثير في تفسيره 6/1، والبغوي في تفسيره 15/1، هو منكر الحديث ولا يتابع فيه.

(2) جامع البيان للطبري: 89/1.

(3) منهج صديق خان في تفسير فتح البيان لمحمد الحنطور: 86.

(4) المرجع السابق: 14/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وهذا ما لمسناه عند الصديق خان حين قال: " إلا أنا لم نتعبد بمجرد إحسان الظن على أن نقبل تفسير كل عالم كيفما كان بل إذا لم نجده مستندا إلى الشارع ولا إلى أهل اللغة لم يحل لنا العمل به مع التمسك بحمل صاحبه على السلامة، ونظير ذلك اختلاف العلماء في المسائل العلمية فلو كان إحسان الظن مسوغا للعمل بما ورد عن كل واحد منهم لوجب قبول الأقوال المتناقضة في تفسير أية واحدة أو مسالة علمية فاللازم باطل والملزوم مثله"[1].

ومن خلال تفسير القرآن بالسنة في تفسير "الجواهر الحسان" يتضح منهجه أمامنا، وبذلك يتحقق وصفنا من كونه نقليا صرفا، وسلفيا خالصا. فالمفسر لا يرتضي من الأحاديث إلا ما كان صحيحا، ومخرج في كتب الصحاح وأما ما كان معلولا أو ضعيفا فلا يذكره ولا يستشهد به.

وقد صرح في مقدمة كتابه فقال: " فكتابي هذا محشو بنفائس الحكم، وجواهر السنن الصحيحة، والحسان المأثورة عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم"[2].

ومن النصوص التي يمكن الاستشهاد بها.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [3].

قال الثعالبي: ذهب ابن مسعود وغيره إلى أن السبع المثاني هنا هي السبع الطوال: البقرة، آل عمران والنساء والمائدة والأنعام، و... والأنفال مع براءة، وذهب جماعة ومن بعدهم إلى أن السبع هنا آيات الفاتحة وهو نص حديث أبي بن كعب قال: قال رسول الله: "فاتحة الكتاب هي السبع المثاني"[4].

وبذلك تكون السنة مبينة لمجمل القرآن.

ومنه قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[5].

---

(1) المرجع نفسه: 14/1.

(2) الجواهر الحسان: 9/1.

(3) الحجر: 87، الجواهر الحسان: 410/2، 411.

(4) رواه الترمذي في صحيحه 2/11، وعلق عليه بقوله: حسن صحيح.

(5) يونس: 26، والجواهر الحسان: 234/2.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

قال الثعالبي: قال الجمهور: الحسنى: الجنة، وزيادة النظر إلى وجه الله تعالى وفي صحيح مسلم من حديث صهيب: "فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل"[1].

ومنه أيضا قوله تعالى: {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[2].

قال الثعالبي: ولفظ الميتة عموم، والمعنى مخصص، لأن الحوت لم يدخل قط في هذا العموم.

وعليه فالآية قد حصرت التحريم هنا في عموم الميتة والدم ولحم الخنزير، فالآية عامة في كل ميتة وكل دم وكل لحم خنزير، إلا أن السنة النبوية خصصت هذا العموم فأباحت من الميتة نوعين وهما الجراد والحوت، وأباحت نوعين من الدم الطحال والكبد، وبذلك فالسنة قد خصصت هذه الأنواع ومحللة لها بحديث النبيρ عن ابن عمر قال: قال رسول الله : " أحل لنا ميتتان ودمان، فأما الميتتان فالجراد والحوت، وأما الدمان فالطحال والكبد"[3].

وقد عقب الثعالبي على كلمة الدم بقوله: الدم: يراد به المسفوح، لأن ما خالط اللحم فغير محرم بالإجماع[4].

ومن الملاحظات الجديرة بالإشارة في هذا المجال هي أن الثعالبي كان يعتمد على فهمه للآية الكريمة التي يفسرها، فإن هذا الفهم يلتقي مع ما يطلع عليه في مصادره وقد يختلف معه.

كما أننا وجدنا الثعالبي رحمه الله قد استخدم ثقافته الواسعة في علم الحديث، فأورد في تفسيره كثيرا من أحاديث الرسولρ، وكان منهجه في ذلك قائما على:

1 ــ الالتزام إلى حد بعيد بتخريج الأحاديث وذكر رواتها.

2 ــ الاعتماد على الأحاديث الصحيحة.

3 ــ نسبتها إلى مصادرها ومصنفاتها في علم الحديث.

---

(1) صحيح مسلم،كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنون لربهم في الآخرة رقم:266.

(2) البقرة: 173، ينظر الجواهر الحسان 160/1.

(3) سنن ابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب الكبد والطحال، رقم: 3305 ، 173/2.

(4) الجواهر الحسان : 160/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

4 ــ الانتفاع بقواعد المحدثين وأصولهم في الرواية، الشيء الذي يرفع من قيمة تفسيره. وفائدة هذا المسلك التسهيل والتيسير أمام الباحث إذا هو قصد درجة الحديث، ومعرفة صحته وضعفه، مادام له دراية برجاله وقدرة على مطابقة متنه لنصوص القرآن الكريم.

ومما رواه الثعالبي من سنن في تفسيره يتضح لنا المنهج الذي ارتضاه والقائم على:

1 ــ حرصه على تخريج الأحاديث، سواء تلك التي نقلها عن مصادرها الأصلية، أو نقلها عن مراجع أخرى محذوفة الأسانيد، مع التأكيد على درجتها من الصحة ومن ذلك:

ــ في فضل ما أوتي صلى الله عليه وسلم دون سواه، قال المفسر: عن ابن عباس قال: " بينما جبريل قاعد عند النبيρ سمع نقيضا من فوقه فقاله له: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الأَرْضِ، لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلاَّ اليَوْمَ، وَقَالَ أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ فَاتِحَةُ الكِتَابِ، وَخَوَاتِمُ سُورَةِ البَقَرَة لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهَا إِلاَّ أُعْطِيْتَهُ"[1]. رواه مسلم والنسائي.

وفي قوله تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}[2].

قال المفسر[3]: وترجم البخاري في صحيحه قول النبيρ " يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا".

ولكل وجهة هو موليها: قال المفسر: وروى ابن المبارك في رقائقه بسنده أن النبيρ قال:" من فتح له باب من الخير فلينتهزه فإنه لا يدري متى يغلق عنه".[4]

ــ وفي قوله تعالى: {ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ}[5].

قال المفسر[6]: وروى البخاري ومسلم في صحيحهما عن النبيρ قال: " كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف قال الله إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، إنما يدع شهوته وطعامه من أجلي"[7].

(1) الجواهر الحسان: 44/1.

(2) البقرة: 185.

(3) الجواهر الحسان: 172/1.

(4) الجواهر الحسان: 146/1.

(5) البقرة: 187.

(6) الجواهر الحسان: 180/1.

(7) صحيح البخاري، كتاب الصيام، باب فضل الصيام، رقم: 3820.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ــ وفي قوله تعالى: {وَأَحْسِنُوا}[1]، قال المفسر[2]: قال عكرمة: احسنوا الظن بـــالله عز وجل.

ثم أضاف المفسر فأما حسن الظن بالله سبحانه فقد جاء فيه أحاديث صحيحة منهـــا. ففي صحيح مسلم عن جابر قال سمعت رسول الله ρقبل وفاته بثلاثة أيام يقول: " لاَ يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِالله"[3].

ــ ومما ورد في فضل المصافحة ما رواه مالك في الموطأ عن عطاء الخراســـاني قال: قال رسول الله ρ"تَصَافَحُوا يَذْهَبِ الغلُّ، وَتَهَادُوا تَحَابُّوا وَتَذْهَبَ الشَّحْنَاءُ"[4].

ــ وفي قوله تعالى: {وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[5] ، قال

(1) من قوله تعالى: (واحسنوا إن الله يحب المحسنين) البقرة: 195.

(2) الجواهر الحسان: 184/1.

(3) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله عند الموت، رقم: 5125.

(4) الجواهر الحسنان: 627/1.

(5) الأعراف: 200.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

المفسر[1]: وفي جامع الترمذي عن النبيρقال: "إِنَّ لِلْمُلْكِ لَمة وَلِلشَّيْطَانِ لَمة"[2].

وفي قوله تعالى: {يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ }[3].

قال المفسر[4]: هذا وعد كريم من رب رحيم، وفي الحديث الصحيح: "إذا استقر أهل الجنة في الجنة يقول الله عز وجل لهم: هل رضيتم؟ فيقولون: وكيف لا نرضى يا ربنا، فيقول: إني سأعطيكم أفضل من ذلك رضواني أرض عليكم فلا أسخط عليكم أبدا"[5].

وفي قوله تعالى: {وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ }[6].

قال المفسر[7]: وفي صحيح مسلم عن النبي ρ قال: "إن ثواب الكافر على أفعاله البرة هو في الطعمة يطعمها"[8].

ومما تجدر الإشارة في هذا المقام أن الثعالبي وجدناه يعتمد أحيانا على واسطة في تخريجه للأحاديث النبوية دون الرجوع إلى مظانها الأصلية ومن الأمثلة على ذلك:

قوله تعالى: {يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ}[9]. قال المفسر[10]:وفي الحديث تخرج عنق من النار تكلم بلسان طلق ذلق، لها عينان تبصر بهما، ولها لسان تكلم به، فتقول أني أمرت بمن جعل مع الله إلها آخر، وبكل جبار عنيد، وبمن قتل نفسا بغير نفس، فتنطلق بهم قبل سائر الناس لخمس مائة عام، فتقذفهم في جهنم"[11] خرجه البزار انتهى من الكوكب الدري.

ومنه قوله تعالى: {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ }[12].

---

(1) الجواهر الحسان: 100/2.

(2) رواه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله، باب سورة البقرة، رقم: 2914.

(3) براءة: 21.

(4) الجواهر الحسان: 161/2.

(5) لم أقف عليه.

(6) براءة : 54.

(7) الجواهر الحسان: 178/2.

(8) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب جزاء المؤمن في الدنيا والآخرة، رقم: 5023.

(9) إبراهيم: 17.

(10) الجواهر الحسان: 379/2.

(11) رواه الترمذي في سننه كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة النار رقم: 2497.

(12) إبراهيم: 48، الجواهر الحسان : 393/2.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

قال المفسر: وأخرج مسلم وابن ماجة حديثا عن أبي بكر بن شيبة بإسناد إلى عائشة رضي الله عنها قالت: سئل النبيρ عن قوله تعالى:{يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ } فأين يكون الناس؟ قال: "على الصراط" كما خرجه الترمذي من حديث عائشة قالت يا رسول الله " والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه" فأين يكون المؤمنون يومئذ؟ قال: "على الصراط يا عائشة" قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح، انتهى من التذكرة.

وفي قوله تعالى: {سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ}[1] قال المفسر: السائغ السهل في الشرب اللذيذ، قال رسول الله ρ: " ليس شيء يجزئ مكان الطعام والشراب غير اللبن" رواه داود والترمذي وابن ماجه وقال الترمذي واللفظ له هذا حديث حسن، انتهى من السلاح.

وفي قوله تعالى: {وَعَنَتْ الْوُجُوهُ }[2]، قال المفسر: معناه ذلت وخضعت، والعاني الأسير، ثم قال: وخرج أبو القاسم إسحاق بن إبراهيم بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله ρ"إذا فرغ الله تعالى من القضاء بين خلقه أخرج كتابا من تحت العرش أن رحمتي سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين، قال فيخرج من النار مثل أهل الجنة، أو قال مثلي أهل الجنة، قال وأكبر ظني أنه قال مثلي أهل الجنة مكتوب بين أعينهم عتقاء الله" انتهى من التذكرة.

وفي قوله تعالى:{اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ}[3] قال المفسر: تضمنت هذه الآية شرف النبيρ وعظيم منزلته عند الله تعالى، وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة منها: عن ابن مسعود أن النبيρ قال: " أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة". رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه ولفظهما سواء انتهى من السلاح.

كما وجدنا الثعالبي ناقدا ومصححا لما يرويه ومن ذلك قوله تعالى: { وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ}[4] قال المفسر: أي من لدن آدم إلى يوم القيامة.

---

(1) النمل: 66، الجواهر الحسان: 434/2.

(2) طه: 111، الجواهر الحسان 63/3.

(3) الأحزاب: 56، الجواهر الحسان: 364/3.

(4) الحجر: 24. الجواهر الحسان: 401/2.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

قال ابن العربي في "أحكامه" روى الترمذي وغيره في سبب نزول هذه الآية عن ابن عباس أنه قال: كانت امرأة تصلي خلف رسول الله ρقال ابن عباس: ولا والله ما رأيت مثلها قط، قال فكان بعض المسلمين إذا صلوا تقدموا، وبعضهم يستأخر فإذا سجدوا نظروا إليها من تحت أيديهم، فأنزل الله الآية[1].

فقال الثعالبي والحديث المتقدم إن صح فلابد من تأويله، فإن الصحابة ينزهون عن فعل ما ذكر فيه فيؤول بأن ذلك صدر من بعض المنافقين أو بعض الأعراب الذين قرب عهدهم بالإسلام ولم يرسخ الإيمان في قلوبهم، وأما ابن عباس فإنه كان يومئذ صغيرا بلا شك، هذا إن كانت الآية مدنية، فإن كانت مكية فهو يومئذ في سن الطفولة، وبالجملة فالظاهر ضعف هذا الحديث من وجوه[2].

وإذا كان الثعالبي قد تحرى الحديث الصحيح فيما يتعلق بآيات الأحكام والعقيدة فإنه قد ساير بعض العلماء الذين يتساهلون في الأخذ بالحديث الضعيف فيما تعلق بفضائل الأعمال.

قال الثعالبي: قال ابن عبد البر: أهل العلم بجماعتهم يتساهلون في الفضائل فيروونها عن كل، وإنما يتشددون في أحاديث الأحكام. [3]

3 ــ تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين:

من أسس التفسير بالمأثور الرجوع إلى أقوال الصحابة والتابعين إذا لم يكن للآية تفسير في القرآن أو السنة، ولهذا المنحنى أهميته في التفسير، فقد وقف هؤلاء الصحابة والتابعين على قرائن وأحوال لم تتح لغيرهم، مع تمتعهم بالسليقة العربية الموروثة وتنشئتهم على نطق الفصحى، وأساليب البيان العربية، التي درجوا عليها صغارا وتمكنوا منها كبارا، وقد رأى معظم الصحابة[4] الرسولρوبعضهم غزا معه أو جالسه مما يزيد في أفضليتهم، ويقوي من درجتهم عند الرجوع إلى أقوالهم في التفسير وعدالة الصحابة ثابتة معلومة قال الشاطبي: " جمهور العلماء قدموا الصحابة عند ترجيح الأقاويل فقد جعل طائفة قول أبي بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما حجة ودليلا"[5].

---

(1) سنن الترمذي أبواب التفسير: سورة الحجر، رقم: 3047.

(2) الجواهر الحسان، 401/2 ، 402.

(3) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر: 22/1.

(4) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني: 4/1، 5.

(5) الموافقات: 77/4.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وبعضهم عد قول الخلفاء الأربعة دليلا، وبعضهم يعد قول الصحابة على الإطلاق حجة ودليلا[1].

فعدالة الصحابة لا ينكرها إلا جاحد أو صاحب هوى، أو رأي فاسد. ومن الصحابة من كثرت عنه الروايات والتفاسير مثل ابن مسعود وعلي بن أبي طالب وابن عباس، وأبي بن كعب،و غيرهم، حيث تختلف كمية المروي عنهم بين الكثرة والقلة، كل بحسب ظروفه مثل الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، لانشغالهم بأمور الدولة والفتوحات.

وحكم قول الصحابي في التفسير مختلف فيه، فالنيسابوري يجعله من باب "إن قول الصحابي مرفوع إلى النبيρومسند إليه لأنه من باب الرواية لا الدراية والرأي"[2]. وقد خالفه هذا الرأي ابن الصلاح[3] وغيره من المتأخرين مقصرين هذا الرأي بما فيه سبب نزول أو نحو ذلك مما لا دخل للرأي فيه، وأما ما يتعلق باللغة والأحكام الاجتهادية فليس من قبيل المرفوع وقد صرح بذلك الحاكم نفسه قائلا: " إن أقوال الصحابة من الموقوفات"[4]. فقد خصص في علوم الحديث ما عممه في المستدرك فاعتمد الناس ما قيده في علوم الحديث وتركوا ما أطلقه[5] في المستدرك ومن هنا فتفسير القرآن بأقوال الصحابة مرفوع وموقوف[6].

هذا وقد قسم الزركشي القرآن إلى قسمين: "ما ورد تفسيره بالنقل عمن يعتبر تفسيره مثل النبيρأو الصحابة أو التابعين، والأول يبحث فيه عن صحة السند والثاني ينظر في تفسير الصحابي فإن فسره من حيث اللغة فهم أهل اللسان فلا شك في اعتمادهم، وإن فسره بما شاهده من الأسباب والقرائن فلا شك فيه، وحين تعارض أقوال جماعة من الصحابة إن أمكن الجمع وإلا قدم ابن عباس، فإن تعذر الجمع جاز للمقلد أن يأخذ بما شاء، والثالث وهم رؤوس التابعين إذا لم يرفعوه إلى النبي ولا إلى أحد من الصحابة فحيث جاز التقليد فيما سبق وإلا وجب الاجتهاد"[7].

---

(1) المسودة في أصول الفقه لأحمد بن محمد عبد الغني: 158.

(2) المستدرك: 285/2.

(3) مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث: 128.

(4) معرفة علوم الحديث للحاكم: 20.

(5) التفسير والمفسرون للذهبي: 95/1.

(6) الأحكام للآمدي: 128/2.

(7) البرهان في علوم القرآن للزركشي: 172/2.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

فالثابت الذي نقله الشرع، فهو كواحد من أهل اللغة الموثوق بعربيتهم فإذا خالف ذلك المشهور المستفيض لم تتم الحجة علينا بتفسيره الذي قاله على مقتضى لغة العرب فبالأولى تفاسير من بعدهم من تابعيهم وسائر الأئمة[1].

وأما العودة إلى أقوال التابعين في التفسير، فالمشهور عن أحمد بن حنبل المنع من نقلها[2]، ويخالفه عمل المفسرين في نقل أقوالهم واعتبارها، وبخاصة المشهورين منهم.

وأما رأي الثعالبي في تفسير الصحابة وأقوالهم فلا خلاف عنده عن السابقين: "وكل ما أخذ عن الصحابة فحسن متقدم"[3].

وأما التابعون ومن بعدهم، فإن كان عن طريق الرواية نظرنا في صحتها، سواء كان المروي عنه الشارع أو أهل اللغة، وإن كان بمحض الرأي فليس ذلك بشيء ولا يحل التمسك به، فلا الشك بعالم من علماء الإسلام يقول في القرآن بغير علم، ومنه الحديث الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ρ: " من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار"[4].

فالتابعون ومن بعدهم أقوالهم في الآية الواحدة قد تتباين ألفاظها وعباراتها، يحسبها من لا علم له اختلافا، فيحكيها أقوالا وليس كذلك فإن منهم من يعبر عن الشيء بلازمه أو نظيره، ومنهم من ينص على المعنى بعينه والكل بمعنى واحد من كثير من المواضع[5]. وبذلك قال شعبه ابن الحجاج عن أقوال التابعين في الفروع ليست بحجة فكيف تكون حجة في التفسير"[6].

ولكنهم إذا اجتمعوا على شيء فلا ريبة في حجته، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم، والمعيار إذن لغة القرآن وعموماته أو النقل المسند المرفوع، ويصبح قول التابعين بمثابة معرفة القول للاعتبار لا لحجيته على الناقل وافقه أو خالفه[7].

---

(1) فتح البيان: 14/1.

(2) البرهان: 158/2.

(3) الجواهر الحسان: 22/1.

(4) سنن الترمذي كتاب تفسير القرآن عن رسول الله، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، رقم: 2874.

(5) مقدمة في أصول التفسير: 46.

(6) المرجع نفسه: 47.

(7) الرسالة: 460.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ومن الشواهد على ذلك قوله تعالى: { الم(1)ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ }[1].

قال المفسر[2]: اختلف في الحروف التي في أوائل السور على قولين فقال الشعبي وسفيان الثوري وجماعة من المحدثين هي سر الله في القرآن وهي من المتشابه الذي انفرد الله بعلمه.

ولا يجب أن يتكلم فيها ولكن يؤمن بها وتمر كما جاءت.

وقال الجمهور من العلماء، بل يجب أن يتكلم فيها ونلتمس الفوائد التي من تحتها والمعاني التي تتخرج عليها. واختلفوا في ذلك على اثني عشر قولا[3]. فقال علي وابن عباس رضي الله عنهما، الحروف المقطعة في القرآن هي اسم الله الأعظم، إلا أنا لا نعرف تأليفه منها، وقال ابن عباس أيضا: هي أسماء الله أقسم بها، وقال أيضا: هي حروف تدل على: أنا الله أعلم، أنا الله أرى، وقال قوم هي حساب أبي جاد لتدل على مدة ملة محمد ρ.

فالثابت من ذلك أنه لم يثبت عن الرسولρفي معاني هذه الحروف شيء، فلا جزم ولا تحقيق، فالصحابة مختلفون فيها وكذلك التابعون، وما ثبت عنهم مختلف متناقض، فمن تكلم في بيان معاني هذه الحروف جازما بأن ذلك هو ما أرداه الله عز وجل فقد جانبه الصواب، فإنه إن كان تفسيره لها بما فسرها به راجعا إلى لغة العرب وعلومها فهو كذب بحت فإن العرب لم يتكلموا بشيء من ذلك بل هو رطانة عندهم، ولا ينافي ذلك أنهم يقتصرون على حرف أو حروف من الكلمة التي يريدون النطق بها، ويبقى تفسير بالرأي المذموم أو بالتوقيف عن صاحب الشرع، ثم اختار المفسر رأي من قال: إنها من المكتوب الذي لا يفسر اقتداء بسلف الأمة، مع الاعتراف أن في إنزالها حكمة لله عز وجل يعلمها هو وتغيب[4] عنها. وهذا الرأي فيه من السلامة لكل من أول وفسر، وأراء الصحابة والتابعين موقوفة عليهم، ولا إسناد لها إلى الرسولρإلا إذا صرح الصحابي بذلك.

(1) البقرة:1.

(2) الجواهر الحسان: 1/ 46.

(3) أوردها الطبري منسوبة لأصحابها. ينظر: جامع البيان: 205/1 224.

(4) البرهان: 164/1، وفتح القدير: 29/1، والتفسير الكبير للرازي: 5/2، التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور مقدمة سورة الفاتحة جزء عم: 20. وأحكام القرآن للجصاص: 7/1 15. ولسان العرب: 14/1 16.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ومنه قوله تعالى: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى }[1]. قال المفسر[2]: وذكر الله سبحانه الصلاة الوسطى ثانية، وقد دخلت قبل في عموم قوله: "الصلوات" لأنه أراد تشريفها، واختلف الناس في تعيينها[3]، فقال علي وابن عباس وجماعة من الصحابة: إنها صلاة الصبح، وهو قول مالك وقالت فرقة: إنها الظهر، وقالت فرقة: هي: صلاة العصر، وفي مصحف عائشة وإملاء حفصة، صلاة العصر، وعلى هذا القول جمهور العلماء، وبه أقول، وقال قبيصة بن دويب هي صلاة المغرب، وحكى أبو عمر بن عبد البر عن فرقة أنها صلاة العشاء الآخرة، وقالت فرقة: هي صلاة الجمعة، وقال بعض العلماء: هي الخمس، وقوله: أولا على الصلوات يعم النقل والفرض ثم خص الفرض بالذكر.

فإذا كان الثعالبي في هذا قد أخذ بمذهب الجمهور، وهي صلاة العصر، وعليه فلا يمكن الاعتداد بأقوال الصحابة ولا تقوم بها الحجة في تعيين الصلاة الوسطى وكذلك من بعدهم، كما انه لم يرد ما يعارض أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر ومنه قوله تعالى: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ }[4].

قال المفسر[5]: واختلف في معنى اللمم فقال أبو هريرة وابن عباس والشعبي وغيرهم: اللمم صغار الذنوب التي لا حد فيها ولا وعيد عليها لأن الناس لا يتخلصون من مواقعة هذه الصغائر ولهم مع ذلك الحسنى إذا اجتنبوا الكبائر، وتظاهر العلماء في هذا القول وكثر المائل إليه، وحكي عن ابن المسيب أن اللمم ما خطر على القلب يعني بذلك لمة الشيطان، وقال ابن عباس: معناه إلا ما ألموا به من المعاصي الفلتة والسقطة دون دوام ثم يتوبون منه، وعن الحسن بن أبي الحسن أنه قال في اللمة من الزنا والسرقة وشرب الخمر ثم لا يعود.

فهذه الأقوال موقوفة على أصحابها، والجمهور على أن اللمم صغار الذنوب[6]

---

(1) البقرة: 238

(2) الجواهر الحسان: 266/1.

(3) على ثمانية عشر قولا أوردها الشوكاني، فذكر ما تمسك به كل طائفة، ينظر: نيل الأوطار: 312/1، ومعترك الأقران: 124/1، وأحكام القرآن للجصاص: 155/2.

(4) النجم: 32.

(5) الجواهر الحسان: 311/4.

(6) أحكام القرآن: 295/5، وفتح القدير: 113/5.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الآية 46 من سورة الأعراف 28/2.

وقس على ذلك:

الآية 64 من سورة الأعراف 38/2.

الآية 46 من سورة مريم 18/3.

الآية 59 من سورة مريم 22/3.

الآية رقم 1 من سورة يس 5/4.

الآية رقم 6 من سورة ق 264/4.

الآية رقم 2 من سورة الذاريات 277/4.

ويستفاد من هذا أن موقفه من تفسير القرآن بالقرآن، قد تجلى في اتخاذ ذلك سبيلا لإدراك معاني الألفاظ القرآنية الكريمة، والوقوف على مدلولاتها وأغراضها.

وأما ما يتعلق بتفسير القرآن بالحديث النبوي الشريف، فإننا نجده من خلال تفسيره يقف مواقف متعددة، دلت على اهتمامه وعنايته الفائقة بالتفسير بالمأثور، من أقوال النبيρ، وما أثر عن الصحابة والتابعين رضوان الله عنهم أجمعين. وعند البحث والتقصي، وجدته يسلك سبيل من سبقه من المفسرين أمثال ابن عطية في التفسير بالمأثور، إلا أنه يفيض في ذلك ويسهب أحيانا، كما أنه يتفرد عمن سبقه من المفسرين في الاستشهاد بالحديث وذلك بذكر مصدره من مصنفاته، ورواته ودرجته، على أنه لا يلتزم بذلك دائما، بل نراه أحيانا يسوق الحديث مجردا من ذلك. مكتفيا بقوله: كما قال عليه الصلاة والسلام، أو كما روي عن النبيρ، أو في الحديث.

وأغلب الظن أنه يفعل ذلك بالحديث الذي لم يقف على درجته، أو اكتفى بنقله عن غيره من المفسرين.

أما موقفه في ذلك فقد كان يستشهد بالحديث النبوي مقتصرا في ذلك على بيان معاني الألفاظ، وتوضيح الآيات من غير تعقيب أو اجتهاد أو عرض لأقوال المفسرين.

أما أقوال الصحابة والتابعين فقد يستعرضها دون تعقيب وفي ذلك إعراب لقبوله لهذه الأقوال وموافقته عليها.

وأما ما يتعلق بموقف الثعالبي من الاستشهاد بالمأثور في مجال الأحكام الشرعية، فإننا نراه يفيض ويسهب في ذلك، فقد اعتمد في تفسيره المأثور من الحديث الشريف ومن أقوال الصحابة والتابعين، غير أنه كان يرجح من الأقوال ما يعتمد على الحديث الشريف،

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وهي صبغة عامة طغت على تفسيره.

جـ ــ موقف الثعالبي من التفسير بالرأي:

ترشدنا كتب (معاني القرآن) إلى أنها من كتب التفسير وأنها نوع منه يستقل بخصائص معينة في نشأته، ولونه الذي اتسم به، باعتباره تفسيرا لغويا كان بداية للتفسير من خلال النص يعتمد فيه على طريقة العرب في كلامها وأسلوبها في مخاطبتها.

وهي بهذا الاعتبار كانت البداية لنشأة التفسير بالرأي الذي يعمد مباشرة إلى النص لفهمه.

والمراد بالرأي هنا الاجتهاد، فالتفسير بالرأي عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالتها[1].

فتفسير الطبري يعتبر اتجاها جديدا في تاريخ التفسير إذ تجاوز المأثور إلى غيره وتخطى التفسير المحكي إلى موضوعات أخرى تدخله في جانب منه ــ في كتب التفسير العقلي بالرأي والاجتهاد، وتجعله نقطة تحول في تاريخ التفسير.

هذا وقد أبان الثعالبي عن موقفه من التفسير بالرأي إذ قال: "فصل فيما قيل في الكلام في تفسير القرآن والجرأة عليه ومراتب المفسرين"[2].

فاستهل كلامه بحديث عائشة رضي الله عنها[3].

فإن صح هذا الحديث فإنه يؤكد جواز تفسير القرآن بالاجتهاد والدليل على ذلك قول الشاطبي" إن عدم تفسير الرسولρلقسم كبير من القرآن الكريم يدل قطعا على أنه لم يكلف به أصلا، وهذا يستلزم بالضرورة أن يكون هذا القسم من القرآن الذي لم يبينه الرسولρ متروكا قصدا من قبل المشرع للمجتهدين ليفسروه باجتهادهم"[4].

وهذا ما أثبتته التجارب العلمية حديثا.

---

(1) التفسير والمفسرون: 255/1.

(2) الجواهر الحسان: 20/1.

(3) ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر من كتاب الله تعالى إلا آيا بعدد، علمهن إياه جبريل عليه السلام. وقد علق ابن كثير عن ذلك فقال وأما الحديث الذي رواه ابن جرير عن عائشة فإنه حديث منكر غريب، وفي سنده جعفر بن محمد، قال البخاري لا يتابع في حديث تفسير ابن كثير: 6/1، وعليه ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير: 32.

(4) الموافقات: 421/3.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

فبعد أن ذكر الثعالبي حديث عائشة مال إلى تأويل ابن عطية حيث قال: "ومعنى هذا الحديث في مغيبات القرآن، وتفسير مجمله ونحو هذا مما لا سبيل إلا بتوفيق من الله تعالى، ومن جملة مغيباته ما لم يعلم الله به عباده كوقت قيام الساعة ونحوها"[1].

اتبع ذلك بحديث لابن عباس تناقله العلماء ليستدلوا به على عدم جواز تفسير القرآن بالرأي المجرد دون الرجوع إلى ما قاله أهل العلم.

قال فيه: " ومعنى هذا أن يسأل الرجل عن معنى في كتاب الله فيتسور عليه برأيه دون نظر فيما قاله العلماء، أو اقتضته قوانين العلوم كالنحو والأصول وليس يدخل في هذا الحديث أن يفسر اللغويون لغته، والفقهاء معانيه ويقول كل واحد باجتهاد المبني على قوانين ونظر فإن القائل على هذه الصفة ليس قائلا بمجرد رأيه"[2].

وعليه فقد استعان الثعالبي في تفسيره بالبحر المحيط لأبي حيان، والصفاقسي في جانب اللغة والنحو، وبأحكام القرآن لابن عربي وكتب الفقه المختلفة لبيان الأحكام الفقهية.

والباحث في تفسير "الجواهر الحسان" يدرك للوهلة الأولى أن أثر الاجتهاد فيه ضعيفا قياسا بالمأثور، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أنه عاش في عصر ضعفت فيه ملكة الاجتهاد وغلب عليه طابع النقل والتقليد[3].

ومن أمشاج التفسير بالرأي عند الثعالبي أنه سار على نهج من سبقه من المفسرين الذين استشهدوا بالاجتهاد، كالفخر الرازي وأبي حيان، وابن العربي، إلا انه كان شديد الحرص على التمييز بين ما يجوز فيه الاجتهاد وما لا يجوز فيه بحال من الأحوال.

فحينما يتعرض لمغيبات القرآن أو مجمله لا يسلم بقوله وصحته إلا إذا كان له سند من القرآن الكريم والسنة المطهرة، ويتجلى ذلك من خلال الشواهد التالية:

تفسيره قوله تعالى: {يا أيها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا}[4].

(1) الجواهر الحسان: 20/1 وهو مذهب الطبري وتابعه ابن كثير فقال وهذا التاويل صحيح فإن من القرآن ما يستأثر الله بعلمه ومنه ما يعلمه العلماء، ومنه ما تعلمه العرب من لغاتها ومنه ما لا يعذر أحد بجهله، وقول مروي عن ابن عباس: ابن كثير: 6/1.

(2) الجواهر الحسان: 20/1.

(3) منهج الثعالبي في التفسير: 81.

(4) النساء: 1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

قال المفسر[1]: قال ابن عباس وغيره: خلق الله آدم وحشا في الجنة وحده ثم نام فانتزع الله إحدى أضلاعه القصيرة من شماله، وقيل من يمينه، فخلق منها حواء، ثم قال ويعضد هذا الحديث الصحيح في قولهρ: "إِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ أَعْوَج"[2].

وفي تفسير قوله تعالى: {تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا}[3].

قال المفسر[4]: قال ابن مسعود: إن الجبل ليقول للجبل يا فلان هل مر بك اليوم ذاكر الله تعالى فإن قال نعم تسربه.

وقد علق الثعالبي على قول ابن مسعود بقوله: وما ذكر ابن مسعود لا يقال من جهة الرأي.

ومن الآيات التي لم يتحرج الثعالبي بالقول فيها بالاجتهاد والتي تعد من قبيل التفسير الذي يفهمه العلماء بعلمهم أو الذي تفهمه العرب بلغتها أو ما لا يعذر أحد بجهله.

وقد فسر قول الله تعالى: (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا(124)وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً) [5].

بقوله: دخلت "من" للتبعيض إذ الصالحات على الكمال مما لا يطيقه البشر، ففي هذا رفق بالعباد، لكن في هذا البعض، الفرائض وما أمكن من المندوب إليه، ثم قيد الأمر بالإيمان إذ لا ينفع عمل دونه، والنقير النكتة التي في ظهر النواة ومنه تنبت، ثم أخبر تعالى إخبارا موقفا على أنه لا أحسن دينا "ممن أسلم وجهه لله"[6]، أي أخلص مقصده وتوجيهه إلى الله، وأحسن في أعماله واتبع الحنفية ملة إبراهيم إمام العالم وقدوة الأديان[7].

(1) الجواهر الحسان: 411/1.

(2) رواه البخاري، كتاب باب خلق آدم وذريته، رقم: 3084.

(3) مريم: 91.

(4) الجواهر الحسان: 32/3.

(5) النساء: 123 124.

(6) النساء: 125.

(7) الجواهر الحسان: 496/1 497.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

فالملاحظ أن الثعالبي قد أدلى بدلوه في تفسير هذه الآيات معتمدا على قوانين اللغة لبيان مراد الله تعالى، دون ذكر أقوال المفسرين السابقين اعتقادا منه أن مثل هذه الآيات تدخل ضمن ما تفهمه العرب من كلامها. وقس على ذلك ما ورد في سورة النساء[1].

ومنه قوله تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا}[2].

قال المفسر: إقامة الوجه في تفسير المقصد والقوة على الجد في أعمال الدين، وخص الوجه لأنه جامع لحواس الإنسان ولشرفه، وفطرة الله نصب على المصدر وقيل بفعل مضمر تقديره اتبع أو التزم فطرة الله.

واختلف في الفطرة هاهنا، والذي يعتمد عليه في تفسير هذه اللفظة أنها الخلقة والهيئة في نفس الطفل التي هي معدة ومهيأة لأن يميز مصنوعات الله ويستدل بها على ربه ويعرف بها شرائعه ويؤمن به فكأنه تعالى قال: " أقم وجهك للدين الذي هو الحنيف وهو فطرة الله الذي على الإعداد له فطر البشر لكن تعترضهم العوارض." [3]

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أن التفسير بالرأي كان محل خلاف بين العلماء[4]، فالذين منعوه استدلوا بآثار وأدلة كثيرة إجلالا لكتاب الله وصونا له، وهو رأي ضعيف ويكفيه ضعفا أن عمل جمهور علماء المسلمين على خلافه على مدى التاريخ منذ نزول القرآن إلى اليوم.

والذين أجازوه وهم جمهور علماء المسلمين ــ أجازوه لضرورته وحاجة الحياة وشؤون المسلمين إلى الاجتهاد والاستنباط، ولأن ما توهمه المانعون أدلة ليست مانعة، فالرأي هنا: هو الاجتهاد والنظر في آيات القرآن واستنباط الأحكام منها وتحليلها تحليلا عقليا، وكل ذلك وفق قوانين اللغة وأصول الشريعة، فما وافق ذلك كان مقبولا، وما خالف ذلك فهو مذموم.

وعلى أي حال فإن العلماء متفقون على أنه لا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأي من غير أصل أو اتباع الهوى، والانحراف في العقيدة.

---

(1) النساء: 156، 157. الجواهر الحسان: 512/1 ، 513.

(2) الروم: 30.

(3) الجواهر الحسان: 316/3.

(4) ينظر: ما ورد في ذلك من خلاف، البرهان: 261/2 264، والإتقان: 182/4 185 والتفسير والمفسرون: 255/1 256، والموافقات: 410/3 وما بعدها.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وأما موقفه من التفسير بالرأي فهو موقف المجيزين لهذا النوع من التفسير، وهو يرى ما يراه ابن عطية في هذه المسألة تماما، بل يسوق عباراته في تأويله للأحاديث القاضية بالنهي عن القول في القرآن بالرأي والاجتهاد، وتعليله تحرج الصحابة والتابعين من القول بالرأي.

د ــ موقف الثعالبي من النسخ:

قضية النسخ من القضايا التي شغلت مفكري المسلمين وعلماءهم، وبخاصة أولئك الذين اشتغلوا منهم بعلوم القرآن وأصول الفقه.

وقد دار بحث هؤلاء العلماء وخلافهم حول وقوع النسخ في القرآن الكريم. والصحيح جواز وقوعه سمعا وعقلا[1].

وقد أثبت الثعالبي إجماع السلف على وقوع النسخ في الشريعة[2].

وبما أن النسخ قد وقع في التشريع الإلهي، فإنه قد وقع في كل تشريع وصفي، لأن المقصود من كل تشريع ــ سواء أكان إلهيا أم وضعيا ــ تحقيق مصالح العباد ومصالح العباد تتغير بتغير أحوالهم، والحكم قد يشرع لتحقيق مصالح اقتضتها أسباب، فإذا زالت هذه الأسباب فلا مصلحة في بقاء هذا الحكم.

فضلا أن عدالة التشريع تقتضي التدرج، وعدم مفاجأة المشرع لهم بما يشق عليهم فعله أو تركه، وهذا التدرج يقتضي التعديل والتبديل كما وقع في حكم الخمر[3].

مصدره:

على أن الحكم بالنسخ لا ينبغي أن يصدر عن اجتهاد، وإنما يجب أن يتلقى من صاحب الرسالةρ، فكل دعوى نسخ لم تؤثر عن عصر الرسالة بسند صحيح، هي دعوى لا دليل عليها ولا يجوز أن تقبل بحال.

ويعضد ذلك قول الأستاذ مصطفى زيد: " وكل قول لم يسند إلى رسول الله ρفلا يصح أن يقبل كذلك، ومن استجاز ذلك فقوله يؤول إلى إبطال الشريعة كلها، لأنه لا فرق بين دعوى النسخ في آية أو حديث ما، ودعوى غير النسخ في آية أخرى أو حديث آخر،

(1) البرهان للزركشي: 30/2، و تفسير القرطبي: 63/2.

(2) الجواهر الحسان: 119/1 120.

(3) المحصول في علم أصول الفقه: 222.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

فعلى هذا لا يصح شيء من القرآن والسنة وهذا خروج عن الإسلام، فكل ما يثبت باليقين فلا يبطل بالظنون"[1].

تعدد دعوى النسخ:

بالرغم من هذه الضوابط وذلك التحذير فإن قارئ كتب التفسير وعلوم القرآن يجد كثيرا من دعاوى النسخ، ومن كثرة هذه الدعاوى وجدنا من يفرد لها كتبا خاصة، وقد غلا بعضهم في هذا الباب غلوا كثيرا، حتى قيل في الآية الواحدة إن أولها منسوخ وآخرها ناسخ وهي قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ}[2] يعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذا ناسخ لقوله {عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ}[3].

تفنيد هذه الدعاوى:

إن النسخ في القرآن الكريم ليس بالكثرة التي ظنها البعض وحاول أن يثبتها بطرق مختلفة، ذلك أن الأصل في آياته الإحكام، إلا أن يقوم دليل قاطع وبرهان ساطع على النسخ، فلا مناص آنذاك من الأخذ به.

ومن هنا جاء اهتمام كثير من علماء المسلمين المحققين[4] الذين ناقشوا هذه الدعاوى في إطار ما حددوا من طرائق وشروط لمعرفة الناسخ، وحصروا بذلك ما يصلح لدعوى النسخ فيه بعدد قليل، بل تعاقب آخرون هذا القليل فاثبتوا في طائفة منه القول بالإحكام.

ومن الأمثلة على ذلك ما قام به السيوطي في حصر دعاوى النسخ التي ارتضى القول بها في إحدى وعشرين آية على خلاف من بعضها، ثم استثنى منها آيتي الاستئذان والقسمة، فذكر أن الأصح فيهما أنهما محكمتان، وبذلك صارت الآيات المنسوخة تسع عشرة آية[5].

---

(1) النسخ في القرآن الكريم لمصطفى زيد: 5/1 من المقدمة.

(2) المائدة: 105.

(3) البرهان للزركشي: 33/2.

(4) منهم الزركشي في علوم القرآن، والسيوطي في الاتقان، والزرقاني في مناهل العرفان، كما تعرض لهذه القضية من المحدثين الأستاذ مصطفى زيد في كتابه النسخ في القرآن الكريم كما ناقش كل الدعاوى، ولم يرتض منها إلا ما هو قائم على دليل.

(5) الاتقان: 23/2.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

كما وصل أستاذنا مصطفى زيد إلى أن عدد دعاوى النسخ التي لم تصح قد زاد عددها على مائتين وثمانين دعوى، أدعي النسخ فيها دون أن تتحقق شروطه أو يقوم الدليل الصحيح على ذلك إذ لم تزد وقائع النسخ عنده على بضعة مواضع[1].

والظاهر عندي أن أصحاب هذه الدعوى قد خلطوا في أذهانهم بين ما هو منسوخ وبين ما هو استثناء أو مقيد، أو مخصص.

وما هذه الأخيرة وأمثالها فليست من النسخ في شيء وهذا هو مذهب الإمام الثعالبي حيث قال: والتخصيص في العموم يوهم أنه نسخ، وليس به، لان المتخصص لم يتناوله العموم قط،ولو تناوله العموم لكان نسخا"[2].

والثعالبي ممن يتفقون مع السلف والخلف في قبول النسخ وجواز وقوعه عقلا وسمعا، قال رحمه الله: " والنسخ جائز على الله عقلا"[3].

ولم يخالف في الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم مضيفا إلى معنى قوله تعالى: {نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا}[4] أي نأت بما هو أنفع للناس[5]. فقد يكون هذا النفع في العاجل أو الآجل أو في أحدهما أو بما هو مماثل لها من غير زيادة.

ومن الملاحظات الجديرة بالتسجيل في هذا السياق مخالفة الثعالبي للذين يقولون إن السنة لا تنسخ القرآن مثل الشافعي حيث قال: "الكتاب لا ينسخ بالسنة المتواترة"[6]. وكان الشافعي قد استدل بذلك على مذهبه مثل نسخ القرآن بالسنة.

غير أن الثعالبي قد خالفه في ذلك بقوله: " على أن القرآن ينسخ بالسنة"[7] ويعني بالسنة الناسخة للقرآن الخبر المتواتر القطعي.

ومن النصوص التي ساقها الثعالبي للتدليل على جواز النسخ في القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾[8] قال الثعالبي: هذه الآية ناسخة لآية

(1) النسخ في القرآن الكريم: 805.
(2) الجواهر الحسان: 120/1.
(3) المصدر نفسه: 120/1.
(4) البقرة: 106.
(5) الجواهر الحسان: 121/1.
(6) الرسالة: 136.
(7) الجواهر الحسان: 120/1.
(8) النور: 2.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الحبس باتفاق وحكم المحصنين منسوخ بآية الرجم، والسنة المتواترة على ورود في سورة النساء[1].

ومن قوله تعالى: {لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[2].

قال الثعالبي: اختلف أهل العلم في هذه الآية على أقوال منها:

أنها عامة مخصوصة بكتمان الشهادة، وإن الكاتم للشهادة يحاسب على كتمه سواء أظهر للناس كتمه أم لم يظهر، وهو المروي عن ابن عباس وعكرمة والشعبي ومجاهد، وقد رده الثعالبي لعموم اللفظ.

ورأي آخر أنها محكمة عامة، وهو رأي الطبري وابن عطية الذي يرى بأن الآية محكمة لا نسخ فيها، ومما يدفع أمر النسخ، أن الآية خبر، والأخبار لا يدخلها النسخ[3].

ومن الأمثلة والشواهد التي يمكن الاستدلال بها على أن الثعالبي قد جارى علماء السلف في قبول النسخ قوله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ}[4].

قال المفسر: (وما أنا عليكم بوكيل) منسوخة بآية القتال[5].

ومن قوله تعالى: {وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ}[6].

قال المفسر: وهذا الصبر أيضا منسوخ بالقتال[7].

وفي تعليقه على قوله تعالى: {ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ}[8]

قال: وعيد وتهديد، وما فيه من المهادنة منسوخ بآية السيف[9].

---

(1) الجواهر الحسان: 169/3.

(2) البقرة: 284.

(3) الجواهر الحسان: 288/1.

(4) يونس: 108.

(5) الجواهر الحسان: 263/2.

(6) يونس: 109.

(7) الجواهر الحسان: 264/2.

(8) الحجر: 3.

(9) الجواهر الحسان: 396/2.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وتبعا لذلك يمكن القول بأن الثعالبي بمفهومه هذا للنسخ لا يسارع إلى القبول به في كل ما دخله التقييد أو التخصيص، أو الاستثناء، أو بمجرد أن حكم آية ينافي حكم أخرى في وجه من الوجوه.

فقد وافق أهل السنة على القول بالنسخ في القرآن، فنقل كثيرا من آرائهم، وتبناها ودافع عنها، فهو بذلك قد سلك منهجا معتدلا، لا غلو فيه. وقد لخص لنا موقفه عند تفسير قوله تعالى: {مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا}[1].

ومن هنا يتضح لنا أن الثعالبي يعالج المسائل بصورة موضوعية وفي أدب عال ولا يرضى أن ينال من أحد في جدال علمي إلا بالتي هي أحسن، ثم هو في هذا الإطار الخلقي العالي، لا يتهجم على العلماء، ولا من يناصبه الخلاف وهذه هي سمة العالم الورع الصالح التقي.

هـ ـ موقفه من الحروف المقطعة في بداية بعض السور:

افتتح الله سبحانه وتعالى سورا من القرآن الكريم بحروف هجاء[2] مقطعة إذا تأملناها وجدنا أن عددها نصف حروف المعجم، وهي أربعة عشر حرفا، أما عدد السور التي بدأت بذلك فيبلغ تسعا وعشرين سورة، وكأن في ذلك إشارة إلى عدد حروف الهجاء في اللغة العربية.

وقد أثار هذا النوع من الفواتح دهشة العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، كما أثار جدلا كبيرا بين العلماء والمفسرين، لأنهم رأوا فيه غرابة وعزة غير معهودتين في متعارف القول ومشهور الأساليب، حتى بلغ الخلاف في الرأي على هذه الظاهرة حدا من الكثرة بالغ، ولون من التناقض بين[3].

وقد نتج عن هذا الخلاف اتجاهان رئيسيان:

الأول: يقضي بتفويض السر في ذلك إلى الله ويرى عدم الخوض فيه، ويعده من المتشابه الذي لا يعلم حقيقته إلا الله. ومن القائلين بذلك الخلفاء الراشدون، وعبد الله بن مسعود والشعبي وسفيان الثوري وجماعة من المحدثين[4].

---

(1) البقرة: 106، والجواهر الحسان: 119/1، ينظر: منهج الثعالبي في التفسير: 115 ، 116.

(2) مثل: ألم ق ص طه ... الخ.

(3) إعجاز القرآن للخطابي: 70/1، الاتقان : 112/2، جامع البيان: 208/1.

(4) الجواهر الحسان: 46/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

فقد نقل السمرقندي أنهم قالوا: " الحروف المقطعة من المكتوم الذي لا يفسر"[1]، وقد تابع الشعبي هذا الرأي وقال: " إن لكل كتاب سرا، وإن سر هذا القرآن فواتح السور"[2].

الثاني: فيرى ضرورة تخريجها والبحث عن معانيها ومدلولاتها، وقد تشعبت أراء هذا الفريق حتى بلغت أثنى عشر قولا[3]. لم يرد الثعالبي أن يتعرض لها بالشرح حبا للاختصار وكراهية في التطويل.

ويمكن تلخيص حصيلة ما قالوا به فيما يلي:

1 ــ منهم من يرى أنها أسماء لله تعالى أو هي الاسم الأعظم،ويعزى هذا القول لابن عباس رضي الله عنه، وقد تبعه الكلبي وجعلها مقسما بها وقد أفاض الزمخشري في سردها في موضعها من الإعراب[4].

2 ــ ويرى آخرون أنها أسماء للسور التي صدرت بها، وينسب هذا الرأي إلى زيد بن اسلم[5].

3 ــ وقال آخرون إنها رموز دالة على كلمات هي بعض حروفها، وألم مثلا بعض حروف كلمة هي: أنا الله أعلم، وقد اختار الزجاج هذا الرأي حيث قال: أذهب إلى أن كل حرف منها يؤدي معنى وقد تكلمت العرب بالحروف المقطعة. نظما لها ووضعها بدل الكلمات التي الحروف منها.

وقد استدل على مذهبه بمأثور كلام العرب[6].

قلت لها قفي قالت: قاف.

يعني: وقفت.

كما ذكر ابن جني[7] نصا ورد عن العرب استعملت فيه الحروف المقطعة بدل الكلمات.

---

(1) تفسير القرطبي: 134/2.

(2) الاتقان للسيوطي: 8/2.

(3) الجواهر الحسان: 46/1.

(4) الكشاف للزمخشري: 210/1 .

(5) الصاحبي في فقه اللغة: 95.

(6) معترك الأقران: ج124/1.

(7) الخصائص لابن جني : 30/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

4 ــ وفريق آخر يرى أن هذه الحروف إشارة لورودها أكثر من غيرها في السور التي بدأت بها[1].

5 ــ ونقل زكي مبارك في كتابه[2] أن هذه الحروف هي وحدات صوتية تكون لحنا موسيقيا يراد به تحريك الشعور وإيقاظ الوجدان، كما يكون ذلك في التراتيل الدينية لتهيئة النفوس لتلقى النصائح والإرشادات.

6 ــ أما قطرب والفراء فقد ذهبا إلى أن هذه الحروف إشارة إلى حروف الهجاء أعلم بها الله العرب حين تحداهم بالقرآن، أنه مؤتلف من حروف هي التي منها بناء كلامهم، ليكون عجزهم عن محاكاته أبلغ في الحجة عليهم. إذ لم يخرج عن طريقة كلامهم في أصل التأليف[3].

ولعله من أشهر الآراء وأقواها ذلك الذي يرى بأنها للتحدي والإعجاز، وبيان ذلك أن هذا القرآن الذي حار فيه كفار قريش، وصفوه مرة بالسحر، ومرة أخرى بالكهانة، وعجزوا عن الإتيان بما يماثله، حيث تحداهم وأقام الحجة عليهم، بأنه مؤلف من حروف هي حروف لغتهم ومادتها فأتوا به إن استطعتم.

إذ لو كان بغير لغتهم لما صح به التحدي ولكان لهم عذر في الإعجاز من أوسع طريق.

ويؤكد الزركشي ظاهرة أخرى ألا وهي أن أكثر هذه الفواتح تكرارا الألف واللام والميم، ويعلل ذلك بأنها تمثل معالم المدرج الصوتي. من أقصاه، فوسطه وطرفه، فالألف من أقصى الحلق واللام من وسط الفم، والميم من الشفتين، فرمز بذلك إلى جميع الحروف[4].

ويؤكد ناحية التحدي والإعجاز في هذه الحروف.

أ : إن هذه الحروف قد استهلت بها السور المكية، حتى كان من مميزاتها ولا يستثنى من ذلك سوى سورتي البقرة وآل عمران، وهما من أول ما نزل بالمدينة بعد الهجرة.

---

(1) التفسير العلمي لحروف أوائل السور: 58، كما نشرت مجلة المصور بحثا لعالم مصري أجراه على سور القرآن الكريم كله يؤكد هذا الرأي، حيث زادت هذه الحروف على غيرها.

(2) النثر الفني لزكي مبارك: 320/1.

(3) تفسير القرطبي: 134/1.

(4) البرهان: 66/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ب: إن الحديث فيها يدور حول القرآن الكريم، إما عقب افتتاحية السور أو خلالها، يقول ابن كثير: "كل سورة افتتحت بالحروف فلابد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن الكريم، وبيان إعجازه وعظمته وهذا معلوم بالاستقراء وهو الواقع في تسع وعشرين سورة"[1].

فواقع السور يثبت ذلك ومن الشواهد على ذلك قوله تعالى: في سورة البقرة:{ الم(1)ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ }[2] وفي سورة آل عمران {الم(1)اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ(2)نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ}[3] وفي سورة طه { طه(1)مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى}[4] وفي سورة النمل { طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ}[5] ... الخ[6].

جـ: إن هذا الرأي أبعد ما يكون عن النقد فضلا عن لياقته بجلال القرآن الكريم ووجوه الإعجاز البيان فيه.

د : ومما يقوى هذا الرأي أنه يلتقي مع غيره من الآراء، إذ لا مانع من أن تؤدى هذه الحروف ــ بالإضافة ــ إلى معنى التحدي معنى آخر مما ذكروه كالتنغيم الصوتي والدلالة على ورودها أكثر من غيرها.

أما الأستاذ عبد العزيز إسماعيل[7] فقد أعطاها بعدا علميا حيث نجده وهو يتعرض للحرف (ص) بالشرح والتحليل فيقول: " والصاد رمز القوة والصمود والصبر، وهو الله سبحانه فلا صبر بعد صبره ولا صامد أبد الدهر سواه، ومن الطبيعي أن يكون في هذه الحالة الرمز فوق إدراك البشر، فسبحانه ليس كمثله شيء.

أما على مستوى البشر فهو صبر الأنبياء، والصبر صفة من صفات قوة الإيمان، فكلما كان إيمان المرء أعظم كلما طال صبره.

ولذلك نجد في هذه السورة قصة سيدنا أيوب عليه السلام وهو مثال للصبر، كما نجد أن الأنبياء قد ذكروا في الآيات 45، 46، 47 التالية: قال تعالى: {وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ

(1) التفسير لابن كثير: 68/1.

(2) البقرة: 1.

(3) آل عمران: 1و2.

(4) طه: 2،1.

(5) النمل: 1.

(6) ينظر : سور القصص، الحواميم، الروم.

(7) التفسير العلمي لحروف أوائل السور في القرآن الكريم لعبد العزيز اسماعيل: 58 وما بعدها.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ(45)إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ(46)وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ}[1].

كما وصف سيدنا أيوب بأنه: {إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ}[2] وبعد الأنبياء يذكر المتقين فهم يجدون: {جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ}[3].

ويأتي بعد ذلك الطغاة الذين يصمدون في العناد فهم {يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ}[4].

والناظر في هذه السورة يجد أن حرف (ص) قد تكرر بسخاء دون غيره إذ ورد في الكلمات: مناص، اصبروا، أصحاب، صيحة، فصل، الخصم، الصراط، الصالحات، الأصفاد، الأبصار، قاصرات، يصلونها...الخ.

فهذه الكلمات لم ترد هكذا عبثا، فلا صدفة في القرآن الكريم وإنما اختيرت من سعي وعرض اللغة العربية لهذه الآيات الكريمة لتمثل الصمود والصبر على مستوى الرمز، كما هو ممثل على مستوى الكلمة والجملة والقصة، وهذا من شأنه أن يزيد الآيات عمقا وتأثيرا.

وكما فعل مع الحرف "ص" فعل مع الحرف "ق" وبقية الحروف الأخرى[5]. ومن خلال ما تقدم يمكن القول بأن الثعالبي كان مقتصرا في حشد الآراء التي قيلت في الأحرف المقطعة في بدايات بعض السور وهذا خلافا للطبري[6] الذي سجل أراء كثيرة تعد محصلة لما قيل في هذه الظاهرة.

ويبدو أن الثعالبي اختار في إطار الاتجاه الأول أن الحروف المقطعة من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله تعالى وهو اختيار موفق بدليل أن المتشابه يتبعه من في قلوبهم زيغ، ابتغاء الفتنة.

---

(1) ص: 45، 46، 47.

(2) ص: 44.

(3) ص: 50.

(4) ص: 56.

(5) المرجع السابق: 24، 60.

(6) جامع البيان: 205/1 211.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الفصل الثاني

مصادر الثعالبي في "الجواهر الحسان"

أولا– مصادره من الكتب

ثانيا– مصادره من العلماء

ثالثا– التوثيق اللغوي

رابعا– الضبط

خامسا– التفسير اللغوي

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الفصل الثاني

مصادر الثعالبي في "الجواهر الحسان"

يعد تفسير الجواهر الحسان للثعالبي موسوعة في تفسير القرآن الكريم، فقد تناول فيه صاحبه كل آية من القرآن الكريم، بالشرح والتوضيح وما قاله العلماء في ألفاظها وجملها كل في ميدان اختصاصه.

ومن هنا كان على الثعالبي أن يطوف بالتفاسير والكتب التي يستطيع أن يستفيد منها في كتابه ليوفي كل آية حقها حسب منهجه وطريقته.

ولو حاولنا استقصاء مصادره التي أفاد منها لأعجزنا ذلك، ولقصرنا عن إدراك الغاية، فقد تنوعت مصادره التي استقى منها مادة تفسيره، أو تلك التي أفاد منها في تنفيذ ما قصد إليه من منهج.

وقد أشار إلى ذلك في مقدمة تفسيره بقوله: "فإني جمعت لنفسي ولك في هذا المختصر، ما أرجو أن يقر الله به عيني، وعينك في الدارين فقد ضمنته مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية، وزدته فوائد جمة من غيره من كتب الأئمة وثقاة أعلام هذه الأمة، حسبما رايته ورويته عن الأثبات وذلك قريب من مائة تأليف"[1].

ثم بين الطريقة التي اعتمدها في نقله عمن أخذ: " وكل من نقلت عنه من المفسرين شيئا فمن تأليفه نقلت وعلى لفظ صاحبه عولت"[2].

وكان نقله باللفظ لا بالمعنى خوف الوقوع في الزلل.

هذا وإن كان المفسر قد اعتمد في تفسيره على مصادر متنوعة الاتجاهات، فقد كانت له مواقف محددة حيال هذه المصادر جعلته يأخذ خلاصتها، ويميز الغث من السمين، ويتحاشى ما وقع فيه غيره من حشو وتكرار أو بسط في الكلام من غير طائل، أو تأثر بنزعة كلامية، أو ممن خلط تفاسيرهم أشياء قد تخرجهم عن دائرة التفسير.

---

(1) الجواهر الحسان: 19/1.

(2) المصدر نفسه: 19/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وعلى أية حال فإن تصريح الثعالبي بأسماء الكتب في ثنايا التفسير وذكره لأسماء العلماء الذين ينقل عنهم ساعدنا على معرفة كثير من المصادر التي اعتمد عليها من الكتب والعلماء.

أولا– مصادره من الكتب:

أما مصادره المعتمدة من الكتب فقد عكفت على استقرائها من خلال البحث والتقصي، واستطعت أن أجمعها من مواضع شتى من تفسيره سواء منها ما تعلق بالتفسير، أو الحديث، أو القراءات القرآنية أو اللغة أو التصوف أو الفقه أو السير. وفيما يلي سرد لأسماء أغلب تلك الكتب، مع الإشارة في الهامش إلى مواضعها من التفسير، كما أنه يمكن تقسيمها إلى مجموعات حسب أهميتها.

وفي طليعتها تفسير ابن عطية (ت 542هـ) المسمى بـ (المحرر الوجيز في شرح كتاب الله العزيز) قال الثعالبي: " فقد ضمنته بحمد الله المهم مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية"[1]. كما وضح في موضع آخر من كتابه طريقته في تعامله مع هذا التفسير فقال: "وقد أودعته بحول الله جزيلا من الدرر قد استوعبت فيه بحمد الله مهمات ابن عطية وأسقطت كثيرا من التكرار، وما كان من الشواذ في غاية الوهي وزدت من غيره جواهر ونفائس لا يستغنى عنها، مميزة معزوة لمحالها منقولة بألفاظها وتوخيت في جميع ذلك الصدق والصواب"[2].

ومن التفاسير التي كانت له عونا. تفسير الطبري[3] (ت 310هـ)، واعتمد على تفسير مختصر الطبري لأبي عبد الله النحوي[4]، وتفسير الفخر الرازي[5] (ت660هـ) وتفسير أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعالبي (ت 427هـ) والمسمى الكشف والبيان[6]".

(1) الجواهر الحسان: 3/1، وينظر: المصدر نفسه 48/1، 58، 66، 15/2، 16، 17، و 8/3، 9، 10، و8/4، 9.

(2) المصدر نفسه: 454/4.

(3) المصدر نفسه: 46، 54، 84، 23/2.

(4) المصدر نفسه: 89/1، 148.

(5) المصدر نفسه: 145/1، 147، 8/2، 64، 92، 3/ .

(6) المصدر نفسه: 49/4.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وتفسير[1] أبو العالية، وتفسير الجويني[2] إمام الحرمين (ت478هـ) وتفسير الداودي[3]، وتفسير محمد بن الحسن النقاش الموصلي (ت751هـ)، وتفسير أبي حيان (ت745هـ) البحر المحيط[4].

كما استعان بتفسير الكشاف[5] للزمخشري.

وفي مجال أحكام القرآن فقد نال اهتمام المفسر، حيث وجدناه يأخذ عن أحكام القرآن لابن عربي[6].

وإذا كان الإعراب فرعا للمعنى كما يقول النحاة فإن الثعالبي لجأ إلى كتب إعراب القرآن ومنها، إعراب القرآن لأبي إسحاق[7] برهان الدين إبراهيم بن محمد الصفاقسي (743هـ) ألفه مع أخيه الشمس محمد (ت744هـ) وهو من أعظم كتب الأعاريب اختصراه من البحر المحيط لأبي حيان ومن إعراب أبي البقاء والسمين، وقد رمز لهما الثعالبي في تفسيره بالأحرف (ص) و (م) وقد تردد في تفسيره كثيرا، وإعراب[8] القرآن للنحاس (ت338هـ).

كما أفاد من كتب القراءات ليبين القراءات في القرآن الكريم وتوجيهها ومن ذلك الحجة في علل القراءات السبع[9] لأبي علي الفارسي (ت 377هـ).

وكذلك كتاب الداني لأبي عمر بن عثمان[10] (ت444هـ).

وإذا كان الحديث النبوي الشريف بيانا للقرآن الكريم يوضح مبهمه، ويفصل مجمله ويخصص عامه، ويقيد مطلقه فقد لجأ الثعالبي إلى مظانه من كتب الحديث ينهل

---

(1) المصدر نفسه: 19/1.

(2) المصدر نفسه: 89/1، 148، 79.

(3) المصدر نفسه: 91/1، 89.

(4) الجواهر الحسان: 9/2، 13.

(5) المصدر نفسه: 307/1، 69/2.

(6) المصدر نفسه: 42/1، 161، 163، و 21/2، 103، و 274/3.

(7) المصدر نفسه: 75/1، 91، و 13/2 ، 25، و 13/3، 116، و 146/4، 466.

(8) المصدر نفسه: 22/1، 280/2.

(9) المصدر نفسه: 22/1، 55/2.

(10) المصدر نفسه: 220/1، 340/2.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

منه في تفسيره، ومنها جامع الإمام البخاري[1] ومسلم، وجامع الترمذي[2]، وسلاح المؤمن[3] التذكرة للقرطبي[4]، وكتاب العاقبة[5] لعبد الحق الخراطي البجائي، ومصابيح السنة[6] للبغوي (ت516هـ).

واقتصر في الغالب على نقل الأحاديث الصحاح يقول الثعالبي: " في هذا المختصر جملة صالحة لا توجد في غيره من التفاسير فعليك بتحصيله فتطلع فيه على جواهر نفيسة لا توجد مجموعة في غيره كما هي بحمد الله حاصلة فيه، وكيف لا يكون هذا المختصر فائقا في الحسن، وأحاديثه بحمد الله مختارة أكثرها من أصول الإسلام الستة، البخاري[7] ومسلم[8]، وأبي داود[9] والترمذي[10]، والنسائي[11]، وابن ماجه[12]، فهذه أصول الإسلام، ثم من غيرها كصحيح ابن حيان[13]، وصحيح الحاكم[14].

أعنى المستدرك على الصحيحين، وأبي عوانة وابن خزيمة والدرامي والموطأ. وغيرها من المسانيد المشهورة بين أئمة الحديث حسبما هو معلوم في علم الحديث[15].

وباعتباره مالكي المذهب، فقد استمد المادة الفقهية في تفسيره من أمهات كتب المذهب المالكي كالموطأ[16] للإمام مالك (ت179هـ) والمدونة[17] والعتبية[18] لمحمد

---

(1) المصدر نفسه: 249/1، 112/2.
(2) المصدر نفسه: 20/1، 79/3.
(3) المصدر نفسه: 44/1، 134/2.
(4) المصدر نفسه: 15/1، 56، 74، و 8/2، 14، و 66/3، 83.
(5) المصدر نفسه: 184/1، 88/2، 163/3.
(6) المصدر نفسه: 159/1، 299.
(7) الجواهر الحسان: 77/1، 132، 149، و 143/2، 371/1، 25/2، 220/3.
(8) المصدر نفسه: 41/1، 62، 180، و 140/2، 371/1، 240/3، 113/4.
(9) المصدر نفسه: 162/1، 277، و 216/2.، 41/1، 8/2، 180/3، 220، 320/4.
(10) المصدر نفسه: 153/1، 91، 371، 8/2، 240/3، 260، 167/4.
(11) المصدر نفسه: 189/1، 91، 41، 8/2، 380/3، 120/4.
(12) المصدر نفسه: 142/1، 163، 373، 8/2، 180/3، 202، 520/4.
(13) المصدر نفسه: 174/1، 373، 39/2، 194/3، 295.
(14) المصدر نفسه: 146/1، 175، و 440/2، 320/3، 118/4.
(15) المصدر نفسه: 299/1 ، 138/2، 190، 180/3، 192، 320/4.
(16) المصدر نفسه: 123/1، 161، 218، 120/3، 280/4.
(17) المصدر نفسه: 224/1، و 165/2، 28/3، 119، 112/4.
(18) المصدر نفسه: 143/1، 214، 125/2، 180.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

بن أحمد العتبي الأندلسي (ت 455هـ)، والمختصر[1] لعبد الله بن عبد الحاكم (ت 214هـ).

وأما في مجال التصوف فقد استعان بمجموعة من الكتب، يفهم من خلالها بأنه كان صوفيا سنيا، لا يذهب مذهب الحلول، أو مذهب وحدة الوجود فطريقته طريقة القشيري في رسالته[2]، والغزالي في الإحياء[3]، وعطاء الله السكندري في التنوير[4].

وأما مصادره من كتب اللغة والنحو، فقد استمد الثعالبي مادته من مصادر كثيرة ومتنوعة، فمن ذلك مصادر جمعت بين اللغة والنحو، ولها صلة وثيقة بالنص القرآني مثل كتاب معاني القرآن[5] للفراء (ت207هـ) وكتاب مجاز القرآن[6] لأبي عبيدة.

ومعاني القرآن[7] لأبي إسحاق الزجاج (ت311هـ).

ومن ذلك مصادر لغوية بحتة مثل كتاب "العين"[8] للخليل بن أحمد (ت175هـ) وكتاب الفصيح[9] لأبي العباس أحمد بن يحي ثعلب (ت291هـ) وكتاب المجمل[10] لابن فارس، وكتاب المخصص[11] لابن سيده.

كما اعتمد على مصادر نحوية بحتة، مثل "الكتاب" [12]لسيبويه، والمقتضب[13] للمبرد (ت285هـ)، وكتاب مغنى اللبيب[14] لابن هشام الأنصاري.

---

(1) المصدر نفسه: 120/1، 150، 189/2، 320.

(2) المصدر نفسه: 188/2، 189، 7/3، و 202/4، 239، 245.

(3) المصدر نفسه: 17/1، 101، و 106/4، 158، 167.

(4) المصدر نفسه: 70/1، و 415/4، 220/2، 118/3.

(5) الجواهر الحسان: 44/1، 134، 9/3، 28/2، 250.

(6) المصدر نفسه:147/1، 168، 112/2، 220.

(7) المصدر نفسه: 22/1، 67، 89، 6/3.

(8) المصدر نفسه: 37/1، 103، و 124/3.

(9) المصدر نفسه: 61/1.

(10) المصدر نفسه: 55/2.

(11) المصدر نفسه: 226/2.

(12) المصدر نفسه: 63/1، 72، 105، 107، 116/2.

(13) المصدر نفسه: 37/1، 63.

(14) المصدر نفسه: 250/1، 278، 308، 70/2.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وأما في مجال التاريخ والسير فقد إتكأ الثعالبي في تفسيره على كتاب (سيرة الرسول[1] ρ، لابن هشام وتاريخ بغداد[2].

كما استعان بمجموعة كبيرة من الكتب في مختلف المعارف والعلوم ومنها: سلاح المؤمن[3]، والروض الأنف للسهيلي[4]، الكلم الفارقية والحكم الحقيقية[5].

ورقائق ابن المبارك[6]، ومنتهى الوصول[7] لابن الحاجب، والكوكب[8] الدري لأحمد بن سعيد التجيبي ومعجزات النبي[9] للقطان، والتحبير[10] للقشيري والتمهيد[11] لابن عبد البر، والشفا[12] لعياض والأفصاح[13] لشبيب إبراهيم، والحلية للنووي[14]، والأنوار[15]، والبيان[16] لابن رشد، والمجالسة[17] للدينوري، ولطائف المنن[18] لابن عطاء الله، والواضحة[19] لابن حبيب وبهجة المجالس وأنس[20] المجالس لابن عبد البر، وصفوة الصفوة[21] للجوزي.

---

(1) المصدر نفسه: 93/2، 135.
(2) المصدر نفسه: 42/1، 143/3.
(3) المصدر نفسه: 44/1، 134/2.
(4) المصدر نفسه: 45/1.
(5) المصدر نفسه: 74/1، 104/2، 74/3.
(6) المصدر نفسه: 77/1، 124، 35/3، 142.
(7) المصدر نفسه: 96/1.
(8) المصدر نفسه: 101/1، 281، 137/3.
(9) المصدر نفسه: 111/1.
(10) المصدر نفسه: 122/1، 160، 24/3، 120، 389/1.
(11) الجواهر الحسان: 123/1، 152، و 20/2، 7/2.
(12) المصدر نفسه: 80/2، 126، 37/3، 287/4.
(13) المصدر نفسه: 154/1.
(14) المصدر نفسه: 153/1، 193، و 134/2.
(15) المصدر نفسه: 156/1.
(16) المصدر نفسه: 174/1، 347، و 123/2.
(17) المصدر نفسه: 176/1.
(18) المصدر نفسه: 177/1.
(19) المصدر نفسه: 180/1.
(20) المصدر نفسه: 185/1.
(21) المصدر نفسه: 256/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وفضل العلم لأبي عمر[1] بن عبد البر، والأنموذج للزمخشري[2]، وصفوة التصوف[3] لأبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أنه ينبغي أن تلقى الضوء على منهج الثعالبي في الإفادة من هذه المصادر، لأن ذلك يوضح لنا الطريق نحو فهم تفسيره، كما يوضح لنا إن كان الثعالبي مجرد ناقل من هذه المصادر، أم أنه تعدى ذلك إلى إبراز شخصيته، كعالم له ثقافته وموقفه مما يفسر.

ومن ذلك أنه يأخذ مادة هذه المصادر فيوجهها إلى ما يخدم المعنى الذي فهمه من كتاب الله تعالى، وهذا من شأنه ان يشعر القارئ بأنه يعيش مع الثعالبي لا عمن نقل عنه، فهو يبدأ بتفسير الآية ثم يأتي بما يخدم هذا التفسير من مصادره التي تمت الإشارة إليها.

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} [4] قال الثعالبي: يؤمنون: معناه يصدقون، وقوله (بالغيب) قالت طائفة: معناه: يصدقون إذا غابوا، وخلوا لا كالمنافقين الذين يؤمنون إذا حضروا ويكفرون إذا غابوا، وقال آخرون معناه: يصدقون بما غاب عنهم مما أخبرته به الشرائع، وقوله: **(يقيمون الصلاة)** معناه: يظهرونها ويثبتونها كما يقال: أقيمت السوق، وقال أبو عبد الله النحوي في اختصاره لتفسير الطبري: إقامة الصلاة إتمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع والإقبال عليها، انتهى.

وقال الصفاقسي في اختصاره لتفسير أبي حيان: يقيمون الصلاة من التقويم، ومنه اقمت العود أو الإدامة، ومنه قامت السوق، أو التشمير والنهوض ومنه قام بالأمر[5].

ومنه قوله تعالى: {وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ} [6] يدل على الذكر القلبي يجب أن يكون دائما وأن لا يغفل الإنسان لحظة عن استحضار جلال الله وكبريائه بقدر الطاقة

(1) المصدر نفسه: 180/1، 196، و 18/2، 132، 9/2.

(2) المصدر نفسه: 69/2.

(3) المصدر نفسه: 70/3.

(4) البقرة: 3.

(5) الجواهر الحسان: 46/1.

(6) الأعراف: 205.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

البشرية وتحقيق القول في هذا أن بين الروح والبدن علاقة عجيبة، لأن كل أثر يحصل في البدن يصعد منه نتائج إلى الروح، ألا ترى أن الإنسان إذا تخيل الشيء الحامض ضرس منه، وإذا تخيل حالة مكروهة أو غضب سخن بدنه.

قال ابن العربي في "أحكامه" قوله تعالى: {وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ} أي فيما امرت به وكلفته، وهذا خطاب له عليه السلام، والمراد به جميع أمته[1].

وفيه: (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ)[2] قال الثعالبي: عام في جميع الناس، وإن كان المشار إليه في ذلك الوقت كفار قريش، ويدل على ذلك ما يأتي بعد من الآيات.

قال الصفاقسي: (اقترب) بمعنى الفعل المجرد، وهو قرب، وقيل: اقترب أبلغ للزيادة (وهم في غفلة) الواو للحال، انتهى[3].

ومنه أيضا: (قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ)[4]، قال الثعالبي: وذكر في أسماء الرسل صادق، وصدوق، وشلوم وغير هذا، والله أعلم بصحته واختلف المفسرون في قوله (فَاسْمَعُونِ)[5]، فقال ابن عباس وغيره: خاطب بها قومه أي على جهة المبالغة والتنبيه، وقيل خاطب بها الرسل على جهة الاستشهاد بهم والاستحفاظ للأمر عندهم.

قال ابن عطية: وهنا محذوف تواترت به الأحاديث والروايات، وهو أنهم قتلوه فقيل له عند موته أدخل الجنة فلما أقرّ الله عينه بما رأى من الكرامة قال: {يا ليت قوم يعلمون} [6] قيل أراد الإرشاد والنصح لهم[7].

إن فهم الثعالبي للآية الكريمة قد يلتقي مع ما يطلع عليه في مصادره، وقد يختلف معه، ومن هنا وجدناه يتناول هذه المصادر بالنقد والتمحيص، ومن ذلك ما اشار إليه في تفسير قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} [8]، لما تقدم

(1) الجواهر الحسان: 104/2.
(2) الأنبياء: 1.
(3) الجواهر الحسان: 74/3.
(4) يس: 20.
(5) يس: 25.
(6) يس: 26.
(7) الجواهر الحسان: 9/4.
(8) الأعراف: 33.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

إنكار ما حرمه الكفار بآرائهم أتبعه بذكر ما حرم الله عز وجل،والفواحش في اللغة: ما فحش وشنع، وأصله من القبح في النظر، وهي هنا إنما هي إشارة إلى نص الشرع على تحريمه، فكل ما حرمه الشرع فهو فاحش و (الإثم) لفظ عام في جميع الأفعال والأقوال التي يتعلق بمرتكبها إثم، هذا قول الجمهور، وقال بعض الناس: هو الخمر، وهذا قول مردود لأن هذه السورة مكية، وإنما حرمت الخمر بالمدينة بعد أحد[1].

وقوله سبحانه: {أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} [2]، قال الثعالبي: قالت فرقة المعنى: أعطى كل موجود من مخلوقاته خلقته وصورته، أي أكمل ذلك له واتقنه.

(ثم هدى) أي يسر كل شيء لمنافعه وهذا أحسن ما قيل هنا وأشرف معنى وأعم في الموجودات[3].

ومنه قوله تعالى: {إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا} [4] يعني القرآن، واختلف لما سماه ثقيلا فقال: جماعة من المفسرين لما كان يحل برسول الله ρمن ثقل الجسم حتى أنه كان إذا أوحي إليه وهو على ناقته بركت به، وحتى كادت فخذه أن ترض فخذ زيد ابن ثابت رضي الله عنه، وقيل لثقله على الكفار والمنافقين بإعجازه ووعده ووعيده ونحو ذلك، وقال حذاق العلماء: معناه ثقيل المعاني من الأمر بالطاعات والتكاليف الشرعية من الجهاد ومزاولة الأعمال الصالحات دائما. والصواب عندي أن يقال أما ثقله باعتبار النبيρفهو ما كان يجده من الثقل المحسوس[5].

كما وجدته يرجح قول الطبري في قوله تعالى: {فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ} [6] بعد أن ذكر أقوال العلماء الواردة فيها علق على ذلك بقوله: وما قاله الطبري أبين عندي[7].

ومنه ما ذكر في قوله تعالى: {وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا}

---

(1) الجواهر الحسان: 22/2.

(2) طه: 50

(3) الجواهر الحسان: 48/3.

(4) المزمل: 5.

(5) الجواهر الحسان: 498/4.

(6) يونس: 98.

(7) الجواهر الحسان: 261/2.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

[1] فبعد ذكر التأويلات الواردة في الآية عقب عليها بقوله: ويترجح التأويل الأول بوصف الأرض التي بارك فيها سبحانه[2].

كما لم يخل منهجه من عنصر النقد، حيث وجدناه ينقد كثيرا من الروايات والآثار سندا ومتنا، فقد نقد في مواضع مختلفة من تفسيره جماعة من المفسرين ومنهم ابن عطية الذي اختاره ليكون أساس تفسيره وقاعدة مختصره، ومن ذلك ما وضحه في قوله تعالى: {وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ} [3]، قال الثعالبي: قال ابن عطية: أي إلا قولة واحدة وهي كن. وقد علق الثعالبي على ذلك بقوله: قوله إلا قولة فيه قلق ما وكأنه فهم أن معنى الآية راجع إلى قوله تعالى: {إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون}. وعبارة الثعالبي أي (وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ)[4] أي: إلا رجفة واحدة قال أبو عبيد هي نعت للمعنى دون اللفظ مجازي.

قال الثعالبي: وكلام أبي عبيد عندي حسن[5].

ومن الأقوال التي أوردها في تفسيره والتي تنبئ على عدم مجاراة ابن عطية فيما ذهب إليه كقوله: وقد خصص ابن عطية بدل أن يعمم دون دليل[6].

وقوله: وقال ابن عطية كلمات يجب طرحها ولهذا أعرضت عنها[7]. أو كلامه غير محصل[8] كما وجدنا شخصيته العلمية واضحة بينة عند اختلاف الآراء ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في قوله تعالى: {الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى} [9] قال أبو حيان: صفتان لمناة للتأكيد، قيل وأكدت بهذين الوصفين لعظمتهما عندهم: وقال الزمخشري: و (الْأُخْرَى) ذم وهي المتأخرة الوضعية المقدار وتعقب بأن أخرى مؤنث آخر ولم

(1) يونس: 98.
(2) الجواهر الحسان: 66/2.
(3) القمر: 50.
(4) النحل: 77.
(5) الجواهر الحسان: 327/4.
(6) المصدر نفسه: 192/2.
(7) المصدر نفسه: 360/2.
(8) المصدر نفسه: 177/4، 34/1، 109.
(9) النجم: 20.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

يوضعا للذم ولا للمدح. قال الثعالبي: وفي هذا التعقيب تعسف والظاهر أن الوصفين معا سيقا مساق الذم، هؤلاء الكفار لم يكتفوا بضلالهم في اعتقادهم ما لا يجوز في اللات والعزى إلى أن أضافوا إلى ذلك مناة الثالثة الأخرى الحقيرة وكل أصنامهم حقير[1].

ومن حسنات الثعالبي في تعامله مع هذه المصادر أنه يحدد لنا متى ينتهي النص الذي استدل به وهذه ميزة تحسب للثعالبي لما فيها من توفير للجهد على القارىء والباحث.

ثانيا– مصادره من العلماء:

كما استعان الثعالبي في تفسيره بآراء عدد كبير من العلماء الذين تقدموه وعاصروه، وكان له صلة واضحة بمختلف المعارف والعلوم، وجعل ذلك خدمة لأغراضه التفسيرية.

فقد ذكر توجيهات عدد من المفسرين الرواد، والمحدثين، وآراء مجموعة كبيرة من اللغويين والفقهاء المتكلمين، كما نقل آراء من غير أن يسم أصحابها، والرجال الذين رووا الأقوال والأخبار، ولا يتورع عن الإطالة ولو ابتعد به القول عن المقام التفسيري.

وسأدرج أسماء معظمهم عدا أولئك الذين أشار إلى كتبهم في تفسيره وهم: ابن عباس[2] رضي الله عنه، والسدي[3]، وسعيد بن جبير[4]، ومجاهد[5]، والضحاك[6]،

(1) الجواهر الحسان: 309/4.

(2) المصدر نفسه: 19/1، 35، 89.

(3) المصدر نفسه: 373/1، 398.

(4) المصدر نفسه: 387/1، 119/2.

(5) المصدر نفسه: 19/1، 99، 151، 10/2.

(6) المصدر نفسه: 109/1، 380، 384.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وقتادة[1]، وابن أبي إسحاق[2]، وابن جريح[3]، والسهيلي[4] والكسائي[5]، والمـــازني[6]، والحسن بن أبي الحسن[7]، وابن جني[8]، والقاضي[9] ابن الطيب، وابن الإعرابـــي[10] والشافعي[11]، وأحمد بن حنبل[12]، وأبو حنيفة[13] والجرجاني[14]، والأصمعي[15]، وأبو زيد الأنصاري[16]، والنقـــــــاش[17]، و أبو هاشم يحي بن دينار[18] الرماني، وأبـــو الحسن الشاذلي[19]، وأبو القاسم عبد الرحمن البجائي[20] الصوفي أبو مـــدين البجـــائي التلمساني[21] إلى غير ذلك من العلماء الذين اشتغلوا بالنحو والتفسير والحديث، حيـــث وجدنا الثعالبي ينقل آراءهم وجهودهم، وأفاد منها جميعا وتمثلت هذه الإفادة في شكلين:

نقل حرفي للمسائل والتوجيهات، ومتابعة لصيقة ظلت في نطاق الجزئية والتكرار كما هو الحال بالنسبة لصنيعه لبعض جهود ابن عطية.

وإفادة حقيقية اتصف في تمثل الأراء والمذاهب والاتجاهات النحويـــة كصـــنيعه بجهود الصفاقسي.

---

(1) الجواهر الحسان: 21/1، 93، 109.

(2) المصدر نفسه: 373/1.

(3) المصدر نفسه: 93/1، 385، 393.

(4) المصدر نفسه: 109/1، 212، 114/2، 270/3، 309، 119/4، 350.

(5) المصدر نفسه: 134/1، 348، 117/2، 213، 221/3، 250/4 .

(6) المصدر نفسه: 69/1، 120، 114/2، 218/3، 311، 185/4، 190، 360، 411.

(7) المصدر نفسه: 379/1، 9/2.

(8) المصدر نفسه: 397/1.

(9) المصدر نفسه: 118/1، 60/1، 118/2، 219، 178/3، 350، 113/4، 250.

(10) المصدر نفسه: 118/1 ، 90/2، 180، 118/3، 250/4، 357.

(11) المصدر نفسه: 193/1، 203، 21/2، 117/1، 320/3، 250/4، 277، 375.

(12) المصدر نفسه: 223/1، 220/2، 270، 138/3، 160، 177/4، 180.

(13) المصدر نفسه: 215/1، 277، 112/2، 189، 114/3، 270/4.

(14) المصدر نفسه: 262/1، 350، 360، 19/2، 77، 20/3، 118/4، 137.

(15) المصدر نفسه: 118/1، 230، 78/2، 115/3، 463/4.

(16) المصدر نفسه: 180/1، 113/2، 117/3.

(17) المصدر نفسه: 22/1، 82، 144/2.

(18) المصدر نفسه: 280/9.

(19) المصدر نفسه: 385/2، 118/4، 213/2.

(20) المصدر نفسه: 250/2.

(21) المصدر نفسه: 131/4، 322.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وإفادة الثعالبي من جهود المفسرين والنحاة والمحدثين على حد سواء فكان أثرهم في التفسير جليلا.

وبين هذا وذلك ظلت جهود ابن عطية والصفاقسي وسيبويه والزجاج وأبو حيان وغيرهم، ماثلة دائما وبارزة تحجب ما عداها، ويظهر تأثيرها بحجم الأراء التي أودعها الثعالبي جواهره الحسان: فكان سفرا لها ومعجما حفظ لنا الكثير من الآراء والحقائق التي لولاه لما استطعنا الوصول إليها.

وهذه الكثرة من المصادر التي وقعت في يد الثعالبي تدل دلالة واضحة على غزارة علمه، لأنه استطاع أن يأخذ منها، ويقتبس من نصوصها ما ساعده على إنجاز تفسيره في هذا المستوى الرائع من تلاحم الموضوعات، وتناسق النصوص في ظلال فكر منظم قريب.

ولو ألقينا نظرة فاحصة على هذه المصادر لرأينا بأنها لم تكن على مستوى واحد في النقل منها، والأخذ عنها.

فبعض المصادر نقل الثعالبي منها كثيرا من النصوص والبعض الآخر نقل منه نصا أو نصين، أو ثلاثة تبعا لما يقتضيه الموقف في النقل.

ومن الحقائق التي ينبغي أن أشير إليها أن الثعالبي لم يكن بدعا في هذا النقل الذي قد يجعله محل اتهام، وكأني به قد أحس بذلك، فصدر كتابه الجواهر الحسان بالمقدمة بين فيها أنه وإن نقل أو لخص أو جمع مفرقا، أو اختصر مبسوطا فإنه يجري على سنن من قبله من العلماء. (والذي جمعناه في مؤلفنا هذا مفرق في أصناف كتب العلماء المتقدمين رضي الله عنهم أجمعين. وجزاهم عنا أفضل الجزاء، وإنما لنا فيه اختصار مبسوط، أو بسط مختصر أو شرح مشكل أو جمع متفرق)[1].

(1) ينظر: مقدمة الجواهر الحسان.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ثالثا- التوثيق اللغوي:

يحتل التوثيق في مباحث المفسرين جانبا بارزا في مناهجهم، وأسلوبا شاملا إذ حرصوا على تثبيت نظراتهم، وتأييد توجيهاتهم، بوسائل متعددة، توخوا فيها صحة التفسير، ووضوح الوجه ودقته.

لقد أرادوا أن يظهروا للناس معاني القرآن، ويكشفوا عن وجوه الأدوات فلجأوا إلى الاستعانة بعناصر التركيب اللغوي، وما تضمنه من جوانب نحوية ولغوية واستعانوا بالأخبار والأحداث والقياس والتراكيب المماثلة، من نصوص العربية الأخرى، وبأراء العلماء الآخرين، وحاولوا أن يخرجوا ذلك في ثوب متجانس، عله يقع في النفوس موقع الإقناع والرضى والإمتاع.

ولكن اعتمادهم على هذه الأساليب كان متفاوتا، ويختلف من مفسر إلى آخر، كما يختلف في طبيعته، إذ نستطيع أن نميز فيه بوضوح بين اتجاهين: اتجاه احتجاجي عند المفسرين النحاة المتقدمين واتجاه توضيحي لدى اللاحقين الذي ترسموا خطى الأوائل وتابعوا معظم أقوالهم، ومنهم الثعالبي في تفسيره "الجواهر الحسان" حيث لجأ إلى توثيق المادة اللغوية بجملة من الشواهد، ونظرا لما تكتسيه هذه العملية من أهمية وفائدة وجدنا الثعالبي أولاها عناية، إذ وثق معاني الألفاظ التي تناولها بالشرح والتفسير، بالشواهد من القرآن الكريم وقراءاته والحديث النبوي الشريف، وأقوال العلماء، والفصحاء، ولا غرابة في ذلك فقد ألحق تفسيره بمعجم حوى الألفاظ الغريبة بغية الرجوع إليها عند الحاجة، فجاءت ألفاظه في غالب الأحيان مشروحة وموثقة وللوقوف على المنهج الذي سلكه المفسر في "الجواهر الحسان" وهل كان فيه مجددا أم ناقلا اقتضت الضرورة الرجوع إلى كتب التفسير المختلفة لاستجلاء ذلك، وإليك بيان على هذه الشواهد.

أ ــ التوثيق بالقرآن الكريم وقراءاته:

القرآن الكريم وقراءاته حقيقة واحدة لا يمكن فصلها، والمفسرون كانوا يدركون هذه الحقيقة ببساطة عندما اقدموا على تفسير القرآن الكريم فكان هدفهم بيان النصوص القرآنية بمختلف مستوياتها، والاستعانة على معرفتها بالنصوص الأخرى.

لقد كان القرآن الكريم وقراءاته المادة الرئيسية لهذا الاستدلال مما جعله غاية البحث وأداته في آن واحد، غير أن الأمر لم يقف عند هذا الحد بل تعداه عند النحويين

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

المتقدمين كالفراء، وأبي عبيدة والأخفش إلى الاحتجاج للظواهر اللغوية التي أثارها بوحي النصوص القرآنية، فكانت هذه لنصوص حجة ومصدرا أساسيا من المصادر اللغوية التي اعتمد عليها في صناعة علم العربية[1].

لقد جعل الفراء أسلوب القرآن شغله الشاغل في العرض والتحليل والتنظير، فكان يستعرض الآيات ويورد القراءات ويستطلع وجوهها ويميز الجديد من غيره[2].

وهو في ذلك لا يفرق بين القراءة المشهورة والشاذة[3].

كما اتخذ أبو عبيدة من القرآن حجة دامغة على أوجه الأدوات ولاسيما في الإطار اللغوي الذي يطبع تفسيره، وجعله في مقدمة المصادر[4].

ولم يخرج الأخفش عن هذا المنهج إذ وقف على النص القرآني مبينا قراءاته مستشهدا لها، وكثيرا ما احتج بالقرآن للمسائل النحوية العامة التي عرض لها في ثنايا تفسيره[5].

واتبع الزجاج خطى الأسلاف، فنظر إلى لغة القرآن بعين المحبة والإكبار فكانت الآيات مادة غنية لشرح النصوص، وحجة حاسمة لمادة البحث والمعالجة.

وورث اللاحقون هذا الاتجاه، ولكنهم لم يبلغوا شأو المتقدمين، ولم يجعلوا أسلوب القرآن الكريم مادة للاحتجاج، وإن كانوا يحاولون بين الحين والآخر. ويرغبون في الظهور بمظهر المنظرين، فأصبحت النصوص القرآنية لديهم اقرب إلى الدليل على وجه الآية المفسرة، والنظير الذي يشرح النظير ويقومه.

فالطبري اقتفى أثر الفراء، وسار على نهجه، وأضاف إلى نصوصه ملحقا، بوجوه القراءات وصرح في أكثر من موضع، أن هذا الأسلوب نزل بأفصح كلام العرب إلا أنه كان يدور في فلك الإستدلال والاختيار، وتبين معان الألفاظ في نصوصه المختلفة[6].

---

(1) النحو وكتب التفسير لإبراهيم عبد الله رفيدة: 220/1

(2) معاني القرآن للفراء: 199/1.

(3) المرجع السابق: 479/1.

(4) المجاز لأبي عبيدة: 11/1.

(5) معاني القرآن للأخفش: 293.

(6) الطبري: 136/3.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

أما الزمخشري فقد جعل القرآن وحدة لغوية متكاتفة يشهد بعضها لبعض في كل المواطن والمواقف النحوية منها والدلالية، والجمالية والفكرية، نفيا وإثباتا، فأورد القراءات، كما أورد لكل معنى شبهه ونظيره، في الأصل والفرع، حتى يخيل إلى القارىء أن النصوص عنده جاءت مترابطة، ومن ذلك ما أورده للتدليل على معنى من التبيينية[1] في قوله تعالى: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ} [2]. بقوله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً} [3].

أما أبو حيان فقد جعل بحره محفولا بالقراءات بمختلف مستوياتها إذ ورث الروايات وجمعها وسمى معظم أصحابها، ودافع عن أهمية هذا المصدر، جاعلا إياه حجر الزاوية في المعالجة والمناقشة وتحرير الأحكام والتوجيهات.

ويكفي أن نورد مثالا توضيحيا على ذلك حين قال[4] في معنى "في" للوعاء حقيقة أو مجازا. وزيد للمصاحبة، وللتعليل، وللمقايسة، ولموافقة "على" والياء مثل ذلك: زيد في المسجد {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ} [5]{فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ} [6]{ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ} [7]{ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [8]{ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ} [9]،{ يذْرَؤُكُمْ فِيهِ} [10].

لقد جعل المفسرون آيات القرآن وقراءاته قبلتهم في البحث والتحري، ولكنهم اتخذوا منها في الوقت نفسه دليلا ومرشدا إلى معانيها، وقدموا هذا الدليل على سواه من النصوص المشهورة والشاذة وماثلوا بين الوجوه، وربطوا بين أصحابها من العرب، وأظهروا أحيانا ما تحتمله من وجوه بوحي تعابيرهم الكلامية وطرائقهم.

---

(1) الكشاف: 441/1.
(2) آل عمران: 172.
(3) الفتح: 29.
(4) البحر المحيط: 33/1.
(5) البقرة: 179.
(6) الأعراف: 38.
(7) النور: 14.
(8) يونس: 64.
(9) طه: 71.
(10) الشورى: 11.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ونظرا لما للنص القرآني من فصاحة وبيان لجأ الثعالبي إلى توثيق كلامه مقتفيا أثر أسلافه وفق منهج يقوم على:

أ- ذكر اللفظة ومعناها ثم توثيق ذلك بالقرآن الكريم نحو قوله[1]. النسي في كلام العرب: الشيء الحقير، ومنه قوله تعالى {وَكُنتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا} [2].

ومنه قوله[3]: الحين: المدة الطويلة من الدهر نحو قوله تعالى:{تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ} [4] وفيه أيضا قوله: أتى: معناه قضى، ومنه قوله تعالى: (أتى أمر الله) وفيه أيضا[5] قوله: والصعيد في اللغة وجه الأرض ومنه قوله تعالى:{فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا}[6].

وقوله[7]: العدل بمعنى القسط ومنه قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}[8].

هذا ولم يقتصر الثعالبي على ألفاظ القرآن الكريم، بل تعدى ذلك إلى القراءات القرآنية، المتواترة منها والشاذة وكل ذلك من أجل توثيق جوانب لغوية كتوثيق بناء صيغة معينة، نحو قوله: وقرأ جمهور الناس (جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ)[9] مبنيا للمفعول، وقرء شاذا كفر مبنيا للفاعل[10]. وكما جاء في قوله تعالى: (مدكر)[11] قال

(1) الجواهر الحسان: 11/3، ينظر اللسان (نسى) 621/3.
(2) مريم: 23.
(3) الجواهر الحسان: 71/1، ينظر: اللسان: (حين) 771/1.
(4) إبراهيم: 25.
(5) الجواهر الحسان: 448/1، ينظر اللسان: (صعد) 441/2.
(6) النساء: 43.
(7) الجواهر الحسان: 503/1، ينظر اللسان: (قسط) 85/3.
(8) المائدة: 42.
(9) القمر: 14
(10) الجواهر الحسان: 322/4، ينظر: الحجة في القراءات 320/2.
(11) القمر: 16.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

المفسر[1]: ومدكر أصله مدتكر أبدلوا من التاء دالا ثم أدغموا التاء في الدال وهذه قراءة الناس، قال ابو حاتم رويت عن النبيρبإسناد صحيح ومنه قوله تعالى: {وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ} [2].

قال المفسر[3]: وقرأ بلال بن أبي بردة (تخسروا) بفتح التاء وكسر السين من خسر، ويقال خسر وأخسر بمعنى كجبر وأجبر.

وقد يذكر القراءة من أجل توثيق دلالة أسلوب كما ورد في قوله تعالى: {قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا }[4] قال المفسر[5]: قيل فيه إنه سمي العنب خمرا بالمآل، وقيل هي لغة أزد عمان، يسمون العنب خمرا، وفي قراءة أبي وابن مسعود "أعصر عنبا".

وكذلك قوله تعالى : {وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ} [6] قال المفسر[7]: وقرأ جميع السبعة غير نافع (يمدوهم) من مددت، وقرأ نافع (يمدهم) من أمددت قال الجمهور: هما بمعنى واحد إلا أن المستعمل في المحبوب أمد. والمستعمل في المكروه مدّ. فقراءة الجماعة جارية على المنهاج المستعمل، وأما قراءة نافع فهي مقيد بقوله: (في الغي).

ومن الملاحظات التي يمكن الوقوف عليها في هذا الجانب، أن الثعالبي لم يكن مولعا بتتبع أوجه القراءات إلا ما كان ذا فائدة في كشف معاني النص القرآني، التزاما منه بما أراد في مقدمة تفسير من إيجاز واختصار.

ب- التوثيق بالحديث النبوي الشريف:

(1) الجواهر الحسان: 322/4، ينظر الحجة 182/2.

(2) الرحمن: 9.

(3) الجواهر الحسان: 313/4: ينظر الحجة في علل القراءات السبع للفارسي 220.

(4) يوسف: 36.

(5) الجواهر الحسان: 321/2.

(6) الأعراف: 202.

(7) الجواهر الحسان: 102/2.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

مع أن أحاديث النبيρ تمثل نموذجا من النثر الأدبي الراقي الذي ينبغي أن يوضع في مكانه المناسب من الاستشهاد به في القضايا اللغوية، نجد الخلاف دائرا حوله.

ويبدو أن الرعيل الأول لم يستشهدوا به في اللغة، ولم يستندوا إليه في إثبات ألفاظها[1].

والسبب في ذلك يرجع لرواية الحديث بالمعنى، ولتداول الأعاجم لأحاديث الرسول ρ[2].

والذي ينبغي أن أشير إليه، هو أن هؤلاء القدماء الذين ينسب إليهم رفضهم الاستشهاد بالحديث لم يثيروا هذه المسألة، ولم يناقشوا مبدأ الاستشهاد بالحديث النبوي، وبالتالي لم يصرحوا برفض الاستشهاد به، وإنما هو استنتاج من المتأخرين، الذين لاحظوا خطأ، أن القدامى لم يستشهدوا بالحديث النبوي، فبنوا على ذلك أنهم يرفضون الاستشهاد به[3].

وبالرجوع إلى مؤلفات الأقدمين نجد ما يدحض هذه المقولة، حيث تراهم يستشهدون ويوثقون ألفاظهم بالحديث النبوي الشريف كالخليل[4]، وسيبويه[5]، وابن دريد[6]، وابن فارس[7]، والجوهري[8]، وابن سيده[9].

ومن ذلك يمكن القول بأن المتأخرين قد جانبهم الصواب فيما ذهبوا إليه من رفض القدماء الاستشهاد بالحديث.

ويظهر أن أبا حيان صاحب شيوع هذه الفكرة الخاطئة هو المروج لها والمنادي بها[10].

---

(1) عصور الاحتجاج في النحو العربي: 157، والبحث اللغوي عند العرب: 32.

(2) خزانة الأدب للبغدادي: 5/1.

(3) البحث اللغوي عند العرب لأحمد مختار عمر: 33.

(4) العين للخليل بن أحمد: 70/1، 72.

(5) الكتاب: 74/1، 327، و 32/2، 80، 393، و 268/3، و 116/4.

(6) الجمهرة لابن دريد: 16/1، 18، 31، 33، 44.

(7) مقاييس اللغة لابن فارس: 14/1، 16، 41، 44، 55.

(8) الصحاح للجوهري: 41/1، 44، 50، 51، 53.

(9) المخصص لابن سيده: 22/1، 40، 77، 108، 160.

(10) الاقتراح للسيوطي: 18.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

فقد اهتم به الزمخشري وأورد عددا من النصوص، شرح فيها وجوه القرآن الكريم واستشهد لها، ومن ذلك استشهاده لمعنى التمني في "لو" من قوله تعالى:{وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ } [1] بقوله عليه الصلاة والسلام للمغيرة،" لو نظرت إليها"[2].

ولم يكد الرازي يختلف عنه في ذلك، إذ بين به بعض الوجوه واستدل للأخرى، ولكنه لم يصل به إلى ما وصل سلفه، ومن الأمثلة على ذلك استشهاده لوقوع "انما" للحصر في قوله تعالى: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ } [3] بقوله عليه السلام "إنما الربا في النسيئة"[4].

وتابع الثعالبي هذا النهج لكنه توسع به وأكثر من نقله عن صحيح البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم، واستعان به بل جعله مجال الكلام اللغوي في إطار النص المفسر.

كما جعل من كلام رسول الله ρشواهد على المعاني واتسم منهجه في ذلك بـــ:

ــ ذكر اللفظة ومعناها مع توثيقها بالحديث النبوي الشريف، ومما ورد في تفسيره على سبيل المثال استشهاده لمعنى كلمة حاص في قوله تعالى: (محيصا)[5] قال المفسر[6]: من حاص إذا راغ ونفر. بالحديث النبوي: "فحاصوا حَيْصَةَ حمرِ الوحشِ"[7] أي نفروا.

وفيه أيضا: قوله تعالى {وَعَنَتْ الْوُجُوهُ} [8] قال المفسر[9]: معناه ذلت وخضعت والعاني الأسير: وفي الحديث "هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُم"[10].

---

(1) السجدة: 12.

(2) سنن النسائي: 57/6 (كتاب النكاح) رقم: 2120.

(3) التوبة: 60.

(4) صحيح مسلم: 269 باب الربا رقم: 1113.

(5) من قوله تعالى: (ولا يجدون عنها محيصا) النساء: 121.

(6) الجواهر الحسان: 495/1، ينظر اللسان: (محص) 444/3.

(7) رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي الحديث رقم: 7، 10/1.

(8) طه: 111.

(9) الجواهر الحسان: 63/3، ينظر اللسان: (عنت) 895/2.

(10) رواه الترمذي في سننه حديث رقم: 1163، 467/3، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ومنه قوله تعالى: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ} [1] قال المفسر[2]: الغل:الحقد، ومنه في الحديث قولهρ"الغل على باب الجنة كمبارك الإبل قد نزعه الله من قلوب المؤمنين" والغل، الحقد.

وقد يذكر الحديث من أجل توثيق جانب دلالي، نحو ما جاء في قوله تعالى: {وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [3].

قال المفسر[4]: هذه الآية وصية من الله سبحانه لنبيه تعم أمته، والنزغ: حركة فيها فساد، وقلما تستعمل إلا في فعل الشيطان لأن حركته مسرعة مفسدة، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "لا يشر أحدكم على أخيه بالسلاح، لا ينزغ الشيطان في يده"[5].

وقد تعدى الاستشهاد بالحديث النبوي إلى اقوال الصحابة رضوان الله عليهم، ومن ذلك ما أورده في قوله تعالى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [6].

قال المفسر[7]: والصراط في اللغة: الطريق الواضح، واختلف المفسرون في المعنى الذي استعير له الصراط في هذا الموضع، فقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه" الصراط المستقيم" هنا القرآن.

ومنه قوله تعالى: {وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ} [8].

قال المفسر[9]: ولباس التقوى هو في العبد آية، قال عثمان بن عفان وهو على المنبر: لباس التقوى هو السمت الحسن في الوجه.

---

(1) الأعراف: 43.

(2) الجواهر الحسان: 27/2، ينظر اللسان: (غلل) 1008/2.

(3) الأعراف: 200

(4) الجواهر الحسان: 100/2، ينظر اللسان: (نزغ) 716/3.

(5) رواه الديلمي في الفردوس حديث رقم: 7663، 117/5.

(6) الفاتحة: 6.

(7) الجواهر الحسان: 39/1، ينظر اللسان: (صراط) 430/2

(8) الأعراف: 26.

(9) الجواهر الحسان: 17/2.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

جـ- التوثيق بالشاهد الشعري:

احتل الشعر في كتب المفسرين منزلة هامة، لا تقل كثيرا عن القرآن، حيث بدا لهم مادة غنية وموردا واسعا يرجع إليه في الاحتجاج والتوضيح والتدليل وقد كان لهم في ذلك مذاهب مختلفة تبعا لأسلوب كل منهم، وغايته والمرحلة التي أنشأ فيها تفسيره، إذ كان بعضهم يكثر من الاعتماد عليه، وبعضهم يقتصد والآخر يستأنس به.

فقد جعله الفراء مصدرا أساسيا في بيان المعاني، ومرتكزا في معالجة المسائل اللغوية، فكان يورد شواهد عقب الآيات، وفي أثنائها تقوية لما يقوله ويقرره[1].

كما اتكأ أبو عبيدة على الشعر[2]، وجعله في مقدمة ما يحتج به للغة القرآن، وكان يستظهر منه الشواهد المتعددة، ويعالج بإسهاب بعض مسائله من دون أن يبتعد عن النصر المفسر.

وتصل هذه الشواهد إلى الطبري ويضيف إليها موسعا إطار هذا الأسلوب في معالجته المطولة، حتى كاد يوازي بينه وبين القرآن، إلا أنها لم تكن تخرج عن مجال النص بصورة عامة، فكان يورد الشعر عقب الآية، ثم يشرحه ويقرن ذلك بوجه الآية تمهيدا للحكم فيها[3].

واستعان الزمخشري بهذا الأسلوب، ولكن لم يبلغ به إلى مرتبة القرآن إذ اقتصر في تفسيره على ابيات لتأييد أقواله والاستدلال لما يراه. والزمخشري يكرر أحيانا شواهده في المواضع المتماثلة والمتشابهة ولا ينسب معظمها. وكانت أبياته تكرارا عن السابقين[4]، ولم يبذل أدنى جهد في نسبة ما جعل منها.

ولم يخرج الثعالبي عن هذا الإطار في تفسيره حيث وثق معاني بعض الألفاظ بما حفظ من الشعر العربي. فجاء منهجه متكأ على من سبقه حيث تراه. يذكر اللفظة ومعناها ويعقب عليها بالبيت الشعري ومن ذلك: استشهاد على قوله تعالى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [5].

---

(1) معاني القرآن للفراء: 424/1، 339، 390، 42، و 103/2، 50، 54.

(2) المجاز: 52/1، 91، 36، 58، و 64/2، 186، 157، ... الخ.

(3) الطبري: 81/1، 208، 159/2، 46/7، و 313/7، ... الخ.

(4) الكشاف: 578/1، 415/2، 45/3، 286/4.

(5) الفاتحة: 6.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

قال المفسر[1] الصراط في اللغة: الطريق الواضح، قال جرير:

أمير المؤمنين على صراط ≅ إذا اعوج الموارد مستقيم[2]

ومنه ما ورد في قوله تعالى: { فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ} [3] قال المفسر: وفي قراءة ابن كثير (آتيتم) بمعنى فعلتم ومنه قول زهير[4]:

وما كان من خير أتوه فإنما ≅ توارثه آباء آبائهم قبل

ومنه أيضا قوله: (وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ)[5] .

قال المفسر: وأن تبسل معناه تسلم وتجزى. ومنه قول الشنفرى[6]:

هنالك لا أرجو حياة تسرني ≅ سمير الليالي مبسلا بالجرائر

ومنه ما جاء في قوله تعالى: {الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا} [7]

قال المفسر: يرجون في هذه الآية بمعنى يخافون ومن ذلك قول أبي ذؤيب[8]:

إذا لسعته النمل لم يرج لسعها ≅ وحالفها في بيت نوب عوامل

ومنه قوله تعالى: {وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ} [9]

قال المفسر: والتحية مأخوذة من تمني الحياة للإنسان والدعاء بها، يقال حياة ويحييه ومنه قول زهير بن جناب:

من كل ما نال الفتى ≅ قد نلته إلا التحية

يريد دعاء الناس للملوك بالحياة[10].

---

(1) الجواهر الحسان: 39/1، ينظر اللسان (سرط) 420/2.

(2) الديوان: 118

(3) البقرة: 233، الجواهر الحسان: 219/1.

(4) الديوان: 148.

(5) الأنعام: 70، الجواهر الحسان: 636/1.

(6) الديوان: 189.

(7) يونس: 7، الجواهر الحسان 226/2.

(8) الديوان: 117.

(9) يونس: 10

(10) الجواهر الحسان: 228/2.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وفيه أيضا قال تعالى: {أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ} [1].

قال المفسر: (وأصب) مأخوذ من الصبوة وهي أفعال الصبا ومن ذلك قول دريد بن الصمة[2].

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه ≅ فلما علاه قال للباطل أبعد

وفيه أيضا في قوله تعالى: {وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا } [3] قال المفسر: وحنانا بمعنى تعظيما ومنه قول النابغة[4]:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا ≅ حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وفيه أيضا: قال تعالى: {وَعَنَتِ الْوُجُوهُ} [5].

قال المفسر: معناه ذلت وخضعت قال أمية بن أبي الصلت[6]

مليك على عرض السماء مهيمن ≅ لعزته تعنوا الوجوه وتسجد

ومنه قوله تعالى: {يَجْأَرُونَ} [7] قال المفسر معناه يستغيثون بصياح كصياح البقر، ومنه قول الأعشى[8].

يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤورا

وفيه قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ} [9] الآية.

قال المفسر: (يسخر) معناه يستهزئ وقد يكون ذلك المستهزأ به خير من الساخر، والقوم في كلام العرب واقع على الذكران وهو من أسماء الجمع ومن هذا قول زهير[10]:

---

(1) يوسف: 33، الجواهر الحسان: 320/2.

(2) الديوان: 128.

(3) مريم: 13، الجواهر الحسان: 8/3.

(4) الديوان: 150.

(5) طه: 111، الجواهر الحسان: 63/3.

(6) الديوان: 270.

(7) المؤمنون: 64، الجواهر الحسان: 154/3.

(8) الديوان: 122.

(9) الحجرات: 11، الجواهر الحسان: 257/4.

(10) الديوان: 212

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وما أدري وسوف أخال أدري ≅ أقوم آل حصن أم نساء

ومنه في قوله تعالى: { يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ} [1]

قال المفسر: (يتنازعون) معناه يتعاطون ومنه قول الأخطل[2]:

نازعته طيب الراح الشمول وقد ≅ صاح الدجاج وحانت وقعة الساري

وفيه أيضا قوله تعالى: {أَزِفَتِ الْآزِفَةُ} [3].

قال المفسر: معناه قرب جدا، ومنه قول كعب بن زهير[4]:

بان الشباب وءاها الشيب قد أزفا ≅ ولا أرى الشباب ذهب خلفا

وقد يستشهد بالبيت الشعري لتوثيق دلالة معينة ومن ذلك استشهاده على قوله تعالى: {أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا} [5] قال المفسر[6]: وعاد في كلام العرب على وجهين:

أحدهما عاد الشيء إلى حال قد كان فيها قبل ذلك، وهي على هذا الوجه لا تتعدى فإن عديت فبحرف ومنه قول الشاعر:

ألا ليت الشباب جديد ≅ وعمرا تولى يا بثينة يعود[7]

ومنه قوله تعالى: {وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ} [8].

والوجه الثاني أن تكون بمعنى صار وعاملة عملها ولا تتضمن أن الحال قد كانت متقدمة، ومنه قول الشاعر:

تلك المكارم لاقبعان من لبن ≅ شيبا بماء فعاد أبعد أبوالا[9]

---

(1) الطور: 23، الجواهر الحسان: 296/4.

(2) الديوان: 213.

(3) النجم: 57، الجواهر الحسان: 317/4.

(4) الديوان: 127.

(5) الأعراف: 88.

(6) الجواهر الحسان: 49/2 50 .

(7) الديوان: 128.

(8) الأنعام: 28

(9) جمهرة أشعار العرب 224.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

2 ــ ذكر الأسباب المؤدية إلى قول الشعر: نحو ما جاء في قوله تعالى:{وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا} [1] قال المفسر: الملائكة تسمى جنا لاستتارها، قال الأعشى في ذكر سليمان[2]:

وسخر من جن الملائك تسعة ≅ قياما لديه يعملون لا أجر

وفي قوله تعالى: {فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ} [3] قال المفسر: السواء من كل شيء الوسط.

قال حسان[4] بن ثابت في رثاء النبي ρ.

يا ويح أنصار النبي ورهطه ≅ بعد المغيب في سواء الملحد

3 ــ ذكر أسماء الشعراء:

أغلب الأبيات الواردة في التفسير معزوة لأصحابها، وهم من الشعراء الذين يعتد بحجيتهم، سواء كانوا من الجاهلين كزهير بن ابي سلمى 219/1، أو الشنفرى 636/1، أوالنابغة الذبياني 8/3، أو الأعشى 154/3، وأمثالهم.

أم كانوا من المخضرمين كحسان بن ثابت 123/1.

أم من الإسلاميين كجرير 219/1.

أما فيما يتعلق بالأبيات غير المعزوه فمردها إلى شهرة القائل أم الاعتماد في روايتها على الشيوخ الثقاة[5].

ومما تقدم يمكن ملاحظة الآتي:

لقد أيقن رجال التفسير ومنهم الثعالبي أن الشعر ديوان العرب وأن القرآن نزل بلغته، فانطلقوا إليه يكشفون الوجوه القرآنية، ويعربون به عن مسالكها الخفية، حتى إذا تكاثرت الأمثلة وتضافرت نماذج الأسلوبين راح المتقدمون ينظرون للظواهر اللغوية، ويجعلونه حجة قاطعة في بناء القاعدة، ثم تابع المتأخرون هذا النهج مع اختلاف الحاجة وتغير ظروف التأليف.

---

(1) الصافات 158.

(2) الديوان: 117

(3) الصافات 15–، الجواهر الحسان: 123/1.

(4) الديوان: 128.

(5) البحث اللغوي عند العرب: 40.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

لقد اعتمدوا جميعا على اختلاف مواقعهم أشعار الجاهلين والمخضرمين والاسلاميين والأمويين، وتوسعوا في هذا المصدر فلم يتقيدوا بضوابط العلماء المعروفة في أصحابه، والقبائل التي ينحدرون منها.

أما فيما يتعلق بمسألة نسبة الأشعار إلى قائليها، فقد جاء كثير من أشعارهم غير منسوب، وفي ذلك خروج على ما قرره العلماء، لأن الشاهد غير المنسوب كالمصنوع أو مشكوك في صحته، ويبدو ان الفراء كان صاحب الأثر الأكبر في هذا المجال. وقد سار على منواله كثير من المفسرين ومنهم الثعالبي حيث وجدناه لا ينسب بعض الأبيات إلى أصحابها ولم يبذل جهدا يذكر في نسبة هذه الأبيات إلا أن ذلك يمكن أن يشفع له لأنه مشغول بالتفسير والمعالجة ولغة القرآن التي أغرم بها. وهو يعتمد في كثير من هذا الشعر على ما أنشده إياه بعض العلماء.

د ــ التوثيق بأقوال العرب:

لقد كان لأقوال العرب عند المفسرين شأن لا يقل عن الشعر، بل هما أسلوبان متكاملان، لا غنى لأحدهما عن الآخر، إلى أن اعتمادهم على النثر لم يكن في مستوى الشعر ومادته، وقد تميز في تفاسيرهم بنسبة بعضه إلى أصحابه، ولا سيما في الأبنية والأحكام، وبتوضيح مسالكه وقوالبه فضلا عن النصوص المروية، ويجعله في معظم الأحيان شاهدا إضافيا على النصوص بعد الآية والحديث والشعر.

وكان هؤلاء الرجال يقرنون عباراتهم بوجوه التنزيل ومسالك الشعر بقولهم: "والعرب تجعل" والعرب تقول " وقد قالت العرب".

"ومن شأن العرب" ، و"للعرب في"[1]. وغير ذلك من الكلمات التي يطلق فيها القول ولا يقيده معتمدين في الغالب على ما رووه عن الأعراب وقد وصلت هذه الجهود إلى الطبري فتقبلها بصدر رحب، وزاد في تفسيره أكثر مما نقلوه وسمعوه وتمثلوه، فجاءت استدلالاته أشبه بالأمثلة المصنوعة ولا يلتفت إلى مسألة النسبة إلا نادرا[2].

(1) معاني القرآن للفراء: 8/1، 19، 65، 350، 414، و 29/2، 267، 312.
-والمجاز لأبي عبيدة: 157/1، و 45/2، 56، 58.
-ومعاني القرآن للأخفش: 164، 182، 305.
-ومعاني القرآن للزجاج: 11/1، 54، 91.

(2) ينظر: الطبري،78/1، و 600/2، و 276/3، و 27/4، و 185/5، و 46/6.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

كما ردد المتأخرون معظم هذه الأقوال، وأضافوا إليها أيضا مستدلين بها مستأنسين بها في الوجوه والأحكام كما فعل الزمخشري[1].

ولم يكد الثعالبي يختلف في ذلك عن سابقيه، إذ بين به بعض الوجوه واستدل للأخرى، ولكنه لم يصل به إلى ما وصل سلفه ولبيان ذلك أسوق بعض الأمثلة على ذلك:

قال تعالى: {مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ}[2] قال المفسر[3]: الدين في كلام العرب على أنحاء. كما استشهد على قوله تعالى: {بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ} [4] بقوله[5]: أي بئس العطاء المعطى لهم، وهو العذاب، والرفد في كلام العرب العطية. كما استدل على قوله تعالى: {وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ} [6] بقوله[7]: مخلدون لا تكبر لهم سن أي لا يحولون من حالة إلى أخرى، والعرب تقول للذي كبر ولم يشب أنه المخلد.

ومما تقدم يمكن القول بأن المفسرين منهم الثعالبي اعتمدوا في الغالب على أقوال العرب في مجال الاستدلال لبعض الوجوه والتخريجات وهي قليلة نادرة وخلافية، كما أنها وردت في كتب المتأخرين، الذين كانت جهودهم خارج دائرة الاحتجاج. بل في التفسير والتوجيه.

أما من حيث نسبتها فمعظمها يرجع إلى الفراء الذي توسع في نقلها وأخذ بكثير منها، وقد تابع اللاحقون ومنهم الثعالبي نهجه وأخذوها عنه ولم ينسبوها إلى أصحابها.

وعليه فالتوثيق اللغوي في "الجواهر الحسان" يحتل مكانة بارزة فهو في تفسيره يستلهم روح العربية، ونهج العرب في كلامها، وأساليب مخاطبتها، ويجعل الشواهد اللغوية مصدرا لمعرفة طريقة العرب في كلامها ومعاني ألفاظ القرآن الكريم.

---

(1) الكشاف: 47/1، 85، و 75/2، 307، 308، 100/3، و 100/3، و65/4.

(2) الفاتحة: 5.

(3) الجواهر الحسان: 295/2.

(4) هود: 99.

(5) الجواهر الحسان: 295/2.

(6) الواقعة: 17.

(7) الجواهر الحسان: 346/4.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

رابعا ــ الضبــط:

يعد الضبط من المسائل اللغوية والتي بها يتوصل إلى كيفية النطق الصحيح، مادام الخط العربي في حال إهماله لعلامات الشكل (الحركات القصيرة) قاصرا عن أداء هذه المهمة.

والواقع أنه حتى في وضع علامات الشكل لم تكن الكلمات تسلم مــن التصــحيف والتحريف، حين تتناولها أقلام النساخ، ولذلك استخدمت معاجم اللغة العربيــة القديمــة طريقة أخرى للضبط وهي التنصيص بالعبارة على طريقة النطق، ولم يكن بالإمكــان اللجوء إلى وسيلة التنصيص في جميع الأحوال وجميع الألفاظ لم قد يترتب عن ذلك من تضخم حجم المعجم، وإنما استعملت عند الضرورة.

كما أن هناك بعض الضوابط التي يكن اعتبارها من قبيــل االضــبط،وهي تلــك الضوابط المختصرة التي توضع عادة بالنسبة للكثير من الكلمات، كأن تــذكر الكلمــة متبوعة بمثال من الأمثلة المشهورة توزن عليها فيتضح ضبطها كأن يقال مــثلا فــي ضبط (نوم) أنها مثل (قوم).

ويعتبر القاموس المحيط من القواميس التي استعملت سائر الطرق المعروفة فــي الضبط، وهي الضبط بالقلم، أي يوضع علامات الشكل، والضبط بالموازين، والضــبط بالأمثلة، والضبط بالتنصيص.

وللوقوف على المنهج الذي سلكه الثعالبي في معالجته لهذه الظاهرة ومــن أجــل تحديد الصورة النطقية للفظة كما هي لأن أي تصحيف للحرف أو تغيير للحركــة مــن شأنه أن يؤدي إلى اختلاف المعنى. وقد استفت بمنهج استاذي الــدكتور عبــد الكــريم عوفي في رسالته للدكتوراه[1] التي تمت الإشارة إليها.

وكان منهج الثعالبي قائما على:

أــ التعقيب على اللفظة بذكر اسم الحرف:

ويراد به رسم الحرف الذي يخاف معه اللبس بسبب تشابه الرســم، وقــد أولــى المفسرون عناية لهذا الضبط، إلا أنه يتفاوت من مفسر إلى آخر، وكان منهج الثعــالبي قائما على:

(1) ينظر: مقدمة شرح الفصيح لابن هشام اللخمي، الدكتور عبد الكريم عوفي،120/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

1 ــ التعقيب على اللفظة بذكر اسم الحرف ومن ذلك ما أشار إليه في قوله تبارك وتعالى:{اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا} [1] وانفصام العروة أن تنفك عن موضعها، وأصل الفصم عند العرب أن تفك الخلخال ولا يبين كسره، فإذا كسرته فقد قضمته بالقاف[2].

وفي الحديث الصحيح عن النبيρ: أنه قال (تَجِيءُ البَقَرَةُ وَآلُ عِمْرَانَ يَوْمَ القِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، بَيْنَهُمَا شَرْق، أَوْ غَمَامَتَانِ سَوْدَاوَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا ظُلْمَة مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ يَتَجَادَلَانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا".

والغيايتان، بالغين المعجمة، والغاية كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه[3]. ومنه: "وأزلفنا ثم الآخرين"[4] معناه قربنا، وقرأ ابن عباس (وازلفنا) بالقاف[5].

ومنه: {فَكَانَتْ هَبَاءً مُنبَثًّا}[6]، وامنبثا بالثاء المثلثة[7].

ب ــ الضبط باللفظ (العبارة):

وهذا النوع يمتاز بالدقة بسبب نصه على الحركة لفظا، ومن ذلك ما أورده الثعالبي في قوله تعالى: {وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ} [8] والوقود بفتح الواو ما يحترق في النار من حطب ونحوه[9].

ومنه: (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا)[10] و(**بشرا بالباء المضمومة والشين**

(1) البقرة: 256.
(2) الجواهر الحسان: 246/1.
(3) المصدر نفسه: 44/1.
(4) الشعراء: 64.
(5) الجواهر الحسان: 229/3.
(6) الواقعة: 6.
(7) الجواهر الحسان: 344/4.
(8) آل عمران: 10.
(9) الجواهر الحسان: 297/1.
(10) الأعراف : 57.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الساكنة)[1] ومنه: **(وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا)**[2] والحمل بفتح الحاء ما كان في بطن أو على رأس شجر[3].

كما تزداد أهمية الضبط إذا ترتب على الحركة اختلاف المعنى ومن ذلك ما ذكره في قوله تعالى: { **وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً**} [4]وعن الطبري: تقول طال الرجل طولا بفتح الطاء إذا تفضل ووجد واتسع، وطولا بضمها ضد القصر[5].

جـ ــ الضبط بالوزن الصرفي:

وهو الاستعانة بالصيغ الصرفية في ضبط الكلمات، ومع ما في ظاهر هذا الضبط من دقة، إلا الواقع خلاف ذلك بسبب حاجة الأوزان الصرفية إلى الضبط ومما ورد في تفسير "الجواهر الحسان" ما أشار إليه في شرحه لقوله تعالى: {**يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ**} [6]، و(تأثيم) وهو تفعيل من الإثم[7].

ومنه {**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ**} [8]، و (نحسات) بكسر الحاء جمع نحس على وزن حذر والمعنى في هذه اللفظة مشائم من النحس المعروف[9].

وقد جمع في هذه الآية بين الضبط اللفظي، والضبط الصرفي.

د ــ الضبط بالمثال المشهور :

وهو أن يذكر الكلمة وما يماثلها في الصيغة ومن ذلك ما أشار إليه عند تفسير قوله تعالى: { **وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ**} [10] أي وقت العشاء وعيشى على مثال دجى، جمع عاش[11].

---

(1) الجواهر الحسان: 35/2.
(2) الحج: 2.
(3) الجواهر الحسان: 109/3.
(4) النساء: 25.
(5) الجواهر الحسان: 433/1.
(6) الطور: 23.
(7) الجواهر الحسان: 296/4.
(8) فصلت: 16.
(9) الجواهر الحسان: 115/4.
(10) يوسف: 16.
(11) الجواهر الحسان: 309/2.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ومن خلال ما تقدم يمكن الإشارة إلى أن الثعالبي لم يلتزم بالضبط، خصوصا عند ضبطه للمواد الثلاثة، لأن هناك من أبواب الفعل الثلاثي ما لا يكفي فيه النص على حركة الحرف الأوسط في الماضي دون معرفة وزن المضارع، والسبب في ذلك يعود إلى اختلاف وزن المضارع، فلابد إذا من النص على المضارع كذلك.

فوزن فعل بفتح العين في الماضي يرد مضارعه مضموم العين مثل: نصر ينصر أو مكسور العين نحو ضرب يضرب، أو مفتوح العين مثل: قطع يقطع.

ومن هنا ينبغي التنبيه على وزن المضارع بالنص على ضبط عينه. أما فيما يتعلق بالأسماء بضبط الأسماء فإننا نجده قد أغفل ذلك خصوصا ما تعلق بالغريب منه الشيء الذي يجعل القارىء في حيرة من أمره.

كما انه يمكن لنا أن نلاحظ على منهجه في توظيف هذه الوسيلة:

1 ــ عدم الالتزام بطريقة واحدة في ضبط الألفاظ، فتارة يبدأ بشرح العبارة ثم يتبعها بالضبط، وتارة أخرى يبدأ بشرح اللفظة ثم يردفها بالضبط.

2 ــ التأكيد على اعجام الحروف درءا للتصحيف، إلا أننا نجده قد أغفل ذلك خصوصا في الحروف المتشابهة.

ولاشك أن إرداف الكلمات التي تتردد فيها هذه الحروف بكلمات مثل المنقوطة أو المعجمة، أو غير المعجمة يجنب الوقوع في التحريف والتصحيف ويأمن سلامة النص[1].

ويستفاد من ذلك أن العناية بالضبط أحفظ للغة وأعون للطالب من أجل الوصول إلى المبتغى في يسر وسهولة.

(1) يرى أستاذي الدكتور عبد الكريم عوفي أن الإكثار من هذا الضبط من شأنه تضخيم الكتاب وجعله عبئا على القارىء، إلا في المواضع التي يخشى وقوع التحريف والتصحيف فيها، ينظر، شرح الفصيح لابن هشام تحقيق دراسة: 125/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

خامسا ــ التفسير اللغوي للألفاظ:

إن عملية تفسير الألفاظ وشرحها وبيان معانيها من المهام الأساسية التي رمى إليها علماء التفسير، وبذلك نجدهم قد أولوها عناية خاصة، قصد تقريب المعاني إلى أذهان الدارسين بأسلوب سهل ومبسط.

ومنهج المفسرين يكاد يكون متقاربا في الشرح مع وجود بعض الاختلافات البسيطة التي تميز تفسيرا عن آخر، ومرد ذلك إلى طبيعة وثقافة المفسر ومن مميزات هذا المنهج التنوع في العرض والأساليب.

ولأهمية هذا الجانب في الشرح وعلاقته بمنهجه العام، ارتأيت أن أفرده بهذا المبحث، لإبراز الوسائل التفسيرية التي اتبعها الثعالبي في الوصول إلى هدفه الذي رسمه في تفسيره.

وفي حدود معلوماتي أن هذا المنهج المتعلق بالتفسير اللغوي ووسائله، لم يفرد بدراسة علمية مستقلة باستثناء الدراسة التي أعدها أستاذنا الدكتور صبيح التميمي في رسالته للدكتوراه الموسومة بعنوان " التفكير اللغوي عند العرب في العراق في القرن الثالث والرابع الهجريين"[1].

وكذلك ما أورده أستاذي المشرف السابق الاستاذ الدكتور عبد الكريم عوفي في رسالته للدكتوراه بعنوان "شرح الفصيح لابن هشام اللخمي تحقيق ودراسة"[2].

وقد أفدت من هذا المنهج الذي طبقه على دراسة الفصيح وكان منهج الثعالبي رحمه الله في تفسيره قائما على:

1 ــ ذكر اللفظة مع بيان معناها ومن ذلك:

ما ذكره في قوله تعالى: {مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ} [3] والدين في كلام العرب على أنحاء وهو هنا بمعنى الجزاء[4].

---

(1) ينظر: الصفحات: 407 411 من الرسالة.

(2) الصفحات: 126/1 133. من الرسالة.

(3) الفاتحة: 4.

(4) الجواهر الحسان: 37/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ومنه قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾[1] والنسخ في كلام العرب الإزالة[2]

وقوله تعالى: ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا﴾ [3] و(مذءوما) أي محقورا[4].

ومنه أيضا: قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [5] والحسنى: الجنة[6].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [7] و(ذرأ) معناه بث وخلق[8]. ومنه ﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ [9] فراسيات معناها ثابتات[10].

ومنه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ [11] و"يسخر" معناه: يستهزىء[12].

هذا وقد تنوعت المادة اللغوية التي أتى بها لبيان معنى اللفظة بين الاختصار الشديد، وذلك بذكر اللفظة ومعناها، كما مثلنا، أو بالإيفاء بالغرض ومما أورده على ذلك:

في قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ [13] والوسوسة: الحديث في اخفاء همسا وأسرارا من الصوت، والوسواس صوت الحلي، فشبه الهمس به، وسمي إلقاء الشيطان في نفس ابن آدم وسوسة، إذ هي أبلغ الأسرار وأخفاه[14].

---

(1) البقرة: 106.
(2) الجواهر الحسان: 119/1.
(3) الأعراف: 18.
(4) الجواهر الحسان: 13/2.
(5) يونس: 26.
(6) الجواهر الحسان: 185/3.
(7) المؤمنون: 79.
(8) الجواهر الحسان: 185/3.
(9) سبأ: 13.
(10) الجواهر الحسان: 372/3.
(11) الحجرات: 11.
(12) الجواهر الحسان: 257/4.
(13) الأعراف: 20.
(14) الجواهر الحسان: 14/2.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ومنه {وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ} [1] و(مواخر) ماخرة، والمخر في اللغة الصوت الذي يكون من هبوب الريح على شيء يشق أو يصحب في الجملة الماء فيترتب منه أم يكون المخر من الريح، وأن يكون من السفينة ونحوها[2]. وهو في هذه الآية من السفن. وفيه أيضا: {لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ} [3] والنصب: تعب البدن، واللغوب: تعب النفس اللازم عن تعب البدن[4].

ومنه أيضا: قال تعالى: {يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ} [5] واللغو سقط الكلام الذي لا حكم له[6].

ومنه قوله تبارك وتعالى: {فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ} [7] قال مجاهد المناسك: الذبائح وهي إراقة الدماء. وقال ابن عطية: المناسك عندي العبادات في معالم الحج ومواضع النسك فيه. وهو الأبين[8].

وسائل تفسير الألفاظ:

لجأ علماء التفسير ومنهم الثعالبي إلى طرق مختلفة قصد تفسير الألفاظ الواردة في كتاب الله تعالى: ومن هذه الوسائل والطرق التي اتبعها الثعالبي في بيان معاني الألفاظ أذكر:

أ ــ **التفسير بالمرادف:** ومادة هذا القسم هي السمة الغالبة على ألفاظ التفاسير إذ نجد أصحابها يفسرون ويشرحون الألفاظ بمفرداتها ومما ورد في تفسير "الجواهر الحسان" على سبيل المثال لا الحصر، ما ذكره المفسر في الألفاظ التالية: قال تعالى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [9]والهداية في اللغة: الإرشاد[10].

---

(1) النحل: 14.
(2) الجواهر الحسان: 419/2.
(3) فاطر: 35.
(4) الجواهر الحسان: 400/3.
(5) البقرة: 225.
(6) الجواهر الحسان: 210/1.
(7) البقرة: 200.
(8) الجواهر الحسان: 192/1.
(9) الفاتحة:
(10) الجواهر الحسان: 38/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ومنه قوله تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ} [1] والريب: الشك[2] ومنه {فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ} [3] والقص: السرد.

ومنه {كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [4] والدأب: العادة في كلام العرب، وهو مأخوذ من دأب على العمل إذا لازمه[5].

ومنه: {فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا }[6]والانتباذ التنحي[7].

وفيه: {وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [8] وذرأ بمعنى: بث وخلق[9].

ومنه: {تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى} [10] ضيزى: معناها: جائرة وغير عادلة[11].

ومنه: {وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا }[12] والثجاج: السريع الاندفاع[13].

ب ــ التفسير بالمقارب:

ويراد به التفسير باللفظة التي تحمل دلالة قريبة من دلالات اللفظة المراد بيانها، ولعل السبب الذي يؤدي بالمفسر أو الشارح إلى اللجوء إلى ذلك عدم الوقوف على المرادف، وقد أخذ الثعالبي بهذا الأسلوب، ومن الشواهد التي أقامها على ذلك، ما ورد في الآيات التالية:

---

(1) البقرة: 2.
(2) الجواهر الحسان: 45/1.
(3) الأعراف: 7.
(4) الأنفال: 52.
(5) الجواهر الحسان: 137/2.
(6) مريم: 22.
(7) الجواهر الحسان: 9/3.
(8) المؤمنون: 79.
(9) الجواهر الحسان: 158/3.
(10) النجم: 22.
(11) الجواهر الحسان: 309/4 .
(12) النبأ: 14.
(13) الجواهر الحسان: 547/4.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

قال تعالى: {فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} [1] فالويل، والويح والويس تتقارب في المعنى[2].

ومنه {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ} [3] (ولا يجرمنكم) معناه لا يكسبنكم، وجرم الرجل معناه كسب، وقال ابن عباس لا يحملنكم، والمعنى متقارب[4].

ومنه: {وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا} [5] والظلم والهضم، متقاربان في المعنى[6].

ومنه: {وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ} [7] (الهمزة) الذي يهمز الناس بلسانه أي يعيبهم ويغتابهم، و(اللمزة) قريب في المعنى من هذا[8].

كما وجدته يلجأ إلى المثال من أجل توضح معنى من المعاني ومن ذلك ما أشار إليه في قوله تعالى: {وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى} [9] قال الثعالبي: قال سيبويه: وقوم يقولون: سكرى جعلوه مثل مرضى، ثم جعلوا روبى مثل سكرى، وهم المستثقلون نوما من شرب الرائب[10].

جـ ـ التفسير بالضد:

لجأ كثير من المفسرين منهم الثعالبي إلى التفسير بالنقيض أو الضد، أو المخالفة لإزالة الإبهام أو الغموض الذي يكتنف اللفظة عند عدم الوقوف على المرادف ومماجاء في تفسيره ما ذكره في قوله تعالى:

{اهْدِنَا الصِّرَاطَ} [11] والهداية ضد الضلال[12].

---

(1) البقرة: 79.
(2) الجواهر الحسان: 104/1.
(3) المائدة: 2.
(4) الجواهر الحسان: 524/4.
(5) طـه: 111
(6) الجواهر الحسان: 64/3.
(7) الهمزة: 1.
(8) الجواهر الحسان: 669/4.
(9) الحج: 2.
(10) الجواهر الحسان: 109/3.
(11) الفاتحة: 6.
(12) الجواهر الحسان: 39/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وفيه {كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ} [1] والبعد ضد القرب[2].

ومنه {وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا} [3] والبر: جميع وجوه البر وهو ضد الإثم[4].

ومنه قال {فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ} [5] والمنشور خلاف المطوي[6].

ومنه : {وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ} [7] والعدل ضد الجور[8].

هذه هي بعض الوسائل التي اتبعها الثعالبي في "الجواهر الحسان"، والتي استعان بها في توضح معاني بعض الألفاظ التي يخشى التحريف والتصحيف فيها أن يؤدي إلى خروج النص القرآني عن مساره الصحيح.

(1) هود: 95.
(2) الجواهر الحسان: 294/2.
(3) البقرة: 224.
(4) الجواهر الحسان: 210/1.
(5) الطور: 2.
(6) الجواهر الحسان: 291/4
(7) الأنعام: 70.
(8) الجواهر الحسان: 363/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

القسم التطبيقي

الدراسة اللغوية والبلاغية في "الجواهر الحسان"

1 ــ قضايا اللغة:

الفصل الأول: قضايا الأصوات والتراكيب

الفصل الثاني : قضايا الدلالة والمعجم

2 ــ قضايا البلاغة:

الفصل الأول: ألوان البيان

الفصل الثاني: ألوان المعاني والبديع

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الفصل الأول

قضايا الأصوات والتراكيب

أولا- قضايا الأصوات

أ ــ الإبدال

ب ــ الإدغام

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الفصل الأول

قضايا الأصوات والتراكيب

أولا ــ قضايا الأصوات:

مما لاشك فيه أن البنية الصوتية هي الدعامة الأولى للكلمة، وعليه فدراسة اللغة في مستوياتها المختلفة من خلال نص لغوي لابد من أن تكون البداية بالجانب الصوتي.

وقد وردت في "الجواهر الحسان" بعض الإشارات التي توقف عندها المفسر شارحا ومعلقا وما يبرر وجه الاستعمال، كما وردت بعض الإشارات دون شرح أو تعقيب، ويظهر أن الثعالبي استأنس بها وارتضاها في تفسيره.

ونظرا لأهمية هذا الجانب في إبراز قيمة التفسير ومنهجه وشخصية مؤلفه ارتأيت الوقوف عند بعض الحالات التي تعترض الكلمة داخل البنية الصرفية أو التركيبية.

واقتضت الضرورة أن أتناول هذا الجانب تحت عنوان " الإبدال" بما في ذلك الأصوات على اختلاف أنواعها والحركات.

أ ــ الإبدال:

الإبدال وهو أحد عوامل نمو اللغة وتطور مفرداتها، وهو من الظواهر اللغوية التي فطن إليها علماؤنا منذ وقت مبكر، فأفردوها بمؤلفات وبحوث ضمن مصنفاتهم[1].

ولهذه الظاهرة أسماء عديدة في التراث اللغوي العربي أشهرها الإبدال[2] ويراد به:"إقامة حرف مكان حرف"[3]. مع الإبقاء على سائر أحرف الكلمة. ومن صوره، اشتراك الكلمتين في حرفين أو أكثر، كما يبدل حرف منهما بحرف آخر، قد يكون قريبا منه في نشأته في جهاز النطق، أو يشتمل على شيء من خواصه، وقد يكون بعيدا عنه[4].

(1) حول التأليف في الإبدال، ينظر: مقدمة محقق الإبدال لابن السكيت: 30 – 31.

(2) وتسمى أيضا المعاقبة، النظائر، المضارعة، المحمول، ينظر: الكتاب: 477/4، والمقتضب 360/1. والتطور اللغوي التاريخي: 107.

(3) الصاحبي في فقه اللغة: 203، وشرح المفصل: 7/10.

(4) الكتاب: 478/4، والمقتضب للمبرد: 360/1، وينظر: التطور اللغوي التاريخي: 110، وفقه اللغة لصبحي الصالح: 216.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

هذا وقد تباينت آراء العلماء في نشأة هذه الظاهرة، فأبو الطيب اللغوي من القدماء يرى: " أن كل أمثلة الإبدال ترجع إلى اختلاف اللهجات"[1].

بينما يرى المحدثون من علماء العربية أن نشأة هذه الظاهرة تعود إلى عوامل كثيرة منها التطور الصوتي[2].

والإبدال لا يقع بين الحروف فقط. بل يقع بين الحركات والحروف والهدف منه تحقيق الانسجام الصوتي، والنطق بالحروف بأيسر السبل.

1 ــ الإبدال بين الحركات:

يلعب الانسجام الصوتي دورا هاما في معظم لغات البشر، وهو من التطورات التي تميل إليها اللغات.

والمراد به إحلال حركة محل حركة أخرى طلبا للخفة في النطق وتحقيقا للإنسجام الصوتي، وقد عرف في العربية الفصحى ولهجاتها قديما وحديثا، إذ روت كتب اللغة والقراءات القرآنية مادة غزيرة منه بينت القبائل التي إلتزمت بنطق معين بالفتح أو الضم أو الكسر.

وقد اختلفت التسميات اللغوية لهذه الظاهرة، فابن جني سماها: "تقريب الصوت من الصوت"[3]، وأما سيبويه فقد أفرد لها بابا في الكتاب سماه: " هذا باب في الإشباع في الرفع والجر"[4].

ومن صور التبادل الحركي التي وقفت عليها في "الجواهر الحسان" كالآتي:

1ــ1: ما ورد في أوله الفتح والكسر:

الانتقال إلى الفتح ظاهرة تكاد تكون عامة في منطق اللهجات العربية القديمة، ويبدو أن الكسرة أقوى الحركات عندهم، هو الشأن عند قبيلة تميم التي اثر عنها الميل إلى الكسر[5].

---

(1) المزهر للسيوطي: 460/1، وينظر: التطور اللغوي بين القوانين الصوتية والقياس، مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة الهيئة العامة لشؤون المطابع العامرية. ج 1974/33.

(2) من أسرار اللغة لإبراهيم أنيس: 75، ينظر: مدخل إلى اللسان الحديث، الحاج صالح عبد الرحمن، مجلة في علم اللسانيات الحديثة جامعة الجزائر، المجلد الأول العدد الثاني، 1972.

(3) الخصائص: 143/2.

(4) الكتاب: 202/4.

(5) لهجة تميم لغالب فاضل: 139.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ومما استدل به الثعالبي على هذه الظاهرة، ما أورده عند تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ } [1] بفتح الحاء وكسرها. ونقل عن الطبري قوله: هما لغتان، الكسر لغة نجد، والفتح لغة أهل العالية[2].

فإذا كان الثعالبي قد أورد ذلك دون عزو إلى قبيلة بعينها فإن الطبري نسب الكسر لنجد، والفتح لأهل العالية.

وبالعودة إلى كتب التراث لاستقصاء هذه الظاهرة، وأي القبائل العربية تلتزم بالكسر وأيها بالفتح في أول بعض الكلمات.

فقد ورد في الجمهرة: أن "الوتر" بكسر الواو بمعنى الفرد لغة حجازية وفتحها نجدية، والوتر: الترة بكسر الواو لا غير، وعلق مصحح الجمهرة على الوتر بمعنى الترة بقوله: " ولقد أجاز الفتح قوم وهو لغة فلا داعي للإنكار"[3].

وللوقف على حقيقة هذا التبادل واستجلاء للمسألة نورد آراء اللغوين الذين تحدثوا عنه:

فقد جاء في أمالي القالي أن: الوتر بمعنى الفرد بفتح الواو لغة الحجاز، وبالكسر لغة تميم وأسد وقيس، وفي الذحل بكسر الواو لا غير"[4].

وفي الصحاح: " الوتر بكسر الواو: الفرد، والوتر بالفتح الذحل هذه لغة أهل العالية، فأما لغة الحجاز فبالضد منهم وأما تميم فبالكسر فيهما"[5].

وفي المزهر عن اليزيدي في نوادره "الشفع والوتر بفتح الواو، وتميم تقول: الوتر بكسر الواو"[6].

وفي اللسان: وردت عدة روايات نذكر منها رواية اللحياني التي مفادها "أهل الحجاز يسمون الفرد: الوتر بفتح الواو، وأهل نجد يكسرون، وفي رواية أخرى عنه: "وتميم وأهل نجد يكسرون"[7].

---

(1) آل عمران: 97.

(2) الجواهر الحسان: 348/1.

(3) الجمهرة: (ترد): 14/2.

(4) أمالي القالي: 13/1.

(5) الصحاح: (وتر): 842/2.

(6) المزهر: 277/2.

(7) اللسان: (وتر) : 872/3.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

كما ورد في البحر المحيط: " أن الوتر في العدد بفتح الواو لغة قريش"[1].

ومن خلال ما تقدم يمكن ملاحظة الآتي:

أن ابن دريد قد تفرد عن غيره في جعل الفتح في العدد لأهل نجد، وأن نجدا تكسر في العدد والذحل جميعا، كما ذكرت الروايات المتقدمة، وهو أمر يجعلنا نرجح بطلان روايته، لأن بني تميم يؤثرون الكسر على الفتح.

ومما يستفاد من ذلك أن بني تميم وأسد وقيس تكسر الوتر إذا كان بمعنى العدد والذحل جميعا. وأهل الحجاز ومعهم قريش يميلون إلى الفتح إذا كان بمعنى العدد ويكسرون إذا كان في الذحل، وأما أهل العالية عكس أهل الحجاز فيسكرون الوتر إذا كان بمعنى العدد ويفتحونه في الذحل.

ويبدو أن الثعالبي استأنس بقول الطبري فارتضاه، حيث جعل الكسر لغة نجد،والفتح لغة أهل العالية. وقد وفق في ذلك إلى حد بعيد، واستند على ذلك بالقراءة القرآنية حيث قال: " وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم "حج البيت" بكسر الحاء وقرأ الباقون بفتحها"[2].

فهذه القراءة بمثابة السند من أن نجدا ومن على شاكلتها كتميم تؤثر الكسر وأهل العالية والحجاز تؤثر الفتح، لأن حمزة والكسائي كليهما كوفي، والقراء الكوفيون استمدوا قراءاتهم من البيئة العراقية، حيث كانت نجد وتميم تلاصق هذه البيئات، لأن البيئة العراقية تأثرت بقبائل وسط الجزيرة وشرقها[3].

كما ظهرت لهجة الحجاز على لسان نافع وابن كثير وكلاهما حجازي، فنافع كان قارئ المدينة[4]، وابن كثير قارئ مكة[5].

فنسبة الفتح إلى القبائل الحجازية ومنها العالية أليق لأنه أخف من الكسر الذي ينسب إلى القبائل البدوية كتميم ونجد، وأسد، وغيرهم، حيث لا تنفر طباعهم من الخشونة.

---

(1) البحر المحيط لأبو حيان: 467/8.

(2) الجواهر الحسان: 348/1.

(3) في اللهجات العربية في التراث لأحمد علم الدين الجندي: 259/1.

(4) طبقات القراء: 330/2.

(5) المرجع نفسه: 443/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ومن صور هذا التبادل الحركي أيضا ما رواه الخليل بن أحمد في كسر بني تميم وغيرها ما جاء على وزن "فعيل" حيث قال: "لغة تميم شهيد بكسر الشين، ويكسرون فعيلا في كل شيء ثانية أحد حروف الحلق"[1].

فهذا القول يكشف لنا عن انتشار ظاهرة الكسر في بيئة تميم ونجد، وما جاورها في صيغة "فعيل" التي ثانيها حرف حلقي.

وهذا التفسير الصوتي لتجانس الحركات وعلاقتها بحروف الحلق أكدته التجارب الصوتية الحديثة وأقرته قوانينها.

كما أن تفسير هذا التناوب بين الحركات سببه الميل إلى تقريب الحركات بعضها من بعض.

1 ــ 2 ــ ما ورد في أوله الضم والكسر:

مالت اللهجة التميمية وبعض البيئات البدوية كأسد وقيس إلى إيثار الضم، في حين مالت الحجاز وغيرها من سكان الحضر إلى إيثار الكسر وللوقوف على حقيقة هذه الظاهرة اقتضى الأمر الرجوع إلى كتب اللغة ومعجماتها لاستجلاء الأمر. فهذا ابن دريد يقول: " المطرف: كساء من خز أو صوف له أعلام، بكسر الميم وضمها، تميم تقول: مطرف ومصحف، وأهل الحجاز، يقولون: مِطرف ومِصحف"[2]. كما جاء في المزهر عن اليزيدي أن: "تميما تضم أوائل غدوة، وقدوة"[3].

وفيه أيضا عن يونس في نوادره: " أهل الحجاز يقولون: مرية وتميم بالضم"[4].

وفي "الجواهر الحسان": " وقرأ الجمهور{فِي مِرْيَةٍ} [5] بكسر الميم[6].

وزاد صاحب البحر المحيط: "قرأ الجمهور "مرية" بكسر الميم لغة الحجاز، وقرأ السلمي والحسن بضمها، وهي لغة تميم وأسد"[7].

---

(1) العين (هشر): 389/3.

(2) الجمهرة: (رطف): 369/2.

(3) المزهر: 277/2.

(4) المزهر: 276/2.

(5) في قوله تعالى: (فلا تكن في مرية منه إنه الحق من ربك) هود: 17.

(6) الجواهر الحسان: 272/2.

(7) البحر المحيط: 211/5.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ونظرا لما للقراءة القرآنية من صلة وثيقة باللهجات، كما أنها تعد أحد الروافد التي أمدت العربية الفصحى بالتنوع في الصيغ، والأبنية، وهي تعكس الصفات الكلامية للقبائل العربية في مسلكها اللغوي، وجدت الثعالبي يستدل بها على هذه الظاهرة اللغوية، حيث قال في قوله تعالى: {سِخْرِيًّا} [1] وقرأ حمزة ونافع والكسائي، بضم السين، والباقون بكسرها، فقيل هما بمعنى واحد، ذكر ذلك الطبري، وقال ذلك أبو زيد الأنصاري انهما بمعنى الهزء، وقال أبو عبيدة وغيره إن ضم السين في السخرة والاستخدام، وكسرها من السخر والاستهزاء[2]، فهذه النصوص تبين أن الكسر لغة أهل الحجاز، وأن الضم لغة تميم وأسد.

وليس القول بأن هذه القبيلة تؤثر عليها أو تشذ عنها، لأنه كثيرا ما يعترض بحثنا روايات مضطربة متنافرة في غالب الأحيان، حيث نجد صعوبة في الوصول إلى الحقيقة كما رأينا، ومن ذلك أن صاحب اللسان نسب الكسر لتميم والضم لقيس وذلك فيما رواه عن أبي زيد: تميم تقول: المغزل والمطرف والمصحف بكسر الميم، وقيس تقول: والمطرف والمصحف بالضم"[3].

ويتضح من هذه الظاهرة كما وردت في المصادر التي وقعت عليها[4]، أن الضم لغة تميم وقيس وأسد، وأن الكسر لغة الحجازيين، وخاصة قريش، ومما لا شك فيه، أنه من خصائص لغة القبائل البدوية أنها تميل إلى مقياس اللين الخلفي المسمى بالضمة، لأنه مظهر من مظاهر الخشونة البدوية، ومعظم قبائل تميم ومن على شاكلتها مغرقة في البداوة، وهذا خلافا لساكني الحضر الذين يميلون إلى الخفة في النطق[5].

فالكلمات التي يتم فيها الانتقال من ضم إلى فتح أو من فتح إلى ضم الهدف منها تحقيق الانسجام بين الأصوات، ليسهل على الفرد النطق بالكلمات.

2 ــ الإبدال بين الحروف:

ذكرنا فيما تقدم أن الإبدال ظاهرة صوتية تعد من عوامل نمو اللغة وتطورها وهي واقعة في جميع اللغات البشرية ومنها العربية.

---

(1) من قوله تعالى: (فاتخذتموهم سخريا حتى أنساكم ذكري) المؤمنون: 110.

(2) الجواهر الحسان: 165/3.

(3) اللسان: (صحف): 412/2.

(4) البحر المحيط: 448/5، واللهجات في معاني القرآن للفراء: 219.

(5) ينظر: اللهجات في معاني القرآن للفراء: 220، واللهجات العربية في التراث: 206/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وللوقوف على هذه الظاهرة في تفسير "الجواهر الحسان" انتخبت عددا من النصوص والألفاظ، تمثل صورا مختلفة، وحاولت تفسيرها في ضوء الدرس اللغوي الحديث وأبرزها الآتي:

2 ــ 1 ــ الهمزة وأحوالها:

لما كانت الهمزة من أكثر الأصوات الساكنة التي تعتريها التغيرات، سواء أكان ذلك في العربية الفصحى أم في لهجاتها، كتخفيفها، أو تحقيقها أو إبدالها، أو حذفها. ارتأيت الوقوف عندها من خلال النصوص التي عرضها الثعالبي في تفسيره. وكانت للعلماء قديما وحديثا أراء وإشارات اهتمت بدراسة هذا الصوت من حيث تحديد مخرجه، وبيان أوجه استعماله في المناطق المختلفة من الوطن العربي[1].

والهمزة من وجهة النظر التشريحية حبسة حنجرية تنتج من انطباق الوترين الصوتيين والغضروفين الهرميين في الحنجرة انطباقا تاما لا يسمح للهواء بالمرور فينحبس داخل الحنجرة. ثم يسمح له بعد ذلك بالخروج على صورة انفجار[2].

وظاهرة الهمز من الظواهر التي ورثناها عن أسلافنا وبقيت آثارها خالدة في لغتنا، ومن صور نطقها عند القبائل العربية التي وردت في "الجواهر الحسان" ما يلي:

أ: **التحقيق:** ويراد به إظهار الهمزة عند النطق، بحيث يتم الضغط عليه ليكون واضحا في السمع.ومن ذلك ما ذكره الثعالبي في باب تفسير أسماء القرآن وذكر السورة والآية. " وأما السورة فإن قريشا كلها ومن جاورها من قبائل العرب كهذيل، وسعد بن بكر، وكنانة، يقولون: سورة بغير همز، وتميم كلها وغيرهم يهمزون، وأما من همز فهي عنده كالبقية من الشيء، والقطعة منه التي هي سؤر وسؤرة من أسأر إذا أبقى، ومنه سؤر الشراب وأما من لا يهمز فمنهم من يراها من المعنى المتقدم، إلا أنها سهلت همزتها ومنهم من يراها مشبهة بسورة البناء أي القطعة منه لأن كل بناء فإنما

(1) ينظر بشأن الهمزة: اللهجات العربية في التراث: 317/1، والتحليل الصوتي للتغيرات الصرفية عند النحاة العرب للدكتور عبد الله بوخلخال: 313. ومجلة كلية الأداب مجلد 15 الجزء 1 عام 1953، المقال للدكتور عبد الحليم نجار. ووحي الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس، مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة، ج1958/10.

(2) الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس: 90، وينظر: من مباحث الهمزة في العربية مجلة كلية الأداب جامعة القاهرة المجلد 21، ج1959/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

بني قطعة بعد قطعة، فكل قطعة منها سورة، فكأن سور القرآن هي قطعة بعد قطعة حتى كمل منها القرآن"[1]

فالثعالبي بين لنا القبائل العربية التي التزمت بذلك. ويؤيده ما ورد في الجمهرة "بنو تميم يهمزون أحرفا مما كان على وزن فعل، في موضع العين ألف ساكنة ما قبلها مفتوح نحو: الفأس، والكأس، والرأس، والرأل"[2].

وزاد بعض العلماء الياء الساكنة ما قبلها مكسور نحو بئر في بير[3]، أو واوا ساكنة ما قبلها مضموم نحو: "أهل الحجاز يقولون جونة وتميم جؤنة"[4].

والملاحظ أن الألف والواو والياء ليست بحروف صحيحة، وإنما هي حركات طويلة، لأن هذه الأصوات إذا كانت ساكنة وكانت حركة ما قبلها من جنسها كانت حركة طويلة، أما إذا قلبت حركة مغايرة لجنسها وكان ما قبلها مغايرا في حركته لجنسها أيضا كانت أصواتا صحيحة، مثل سأل، ويوم، وبيت[5].

كما أن تحقيق الهمزة في الألف الساكنة والياء الساكنة في "فعل" ليس بقياس وإنما يحفظ عن العرب[6].

هذا ولم يقتصر تحقيق الهمزة عند التميميين ومن على شاكلتهم من القبائل البدوية، بل تعداها إلى قبائل أخرى، ومن ذلك ما أورده ابن جني نقلا عن قطرب من أن: "بعض عكل يقولون: ترقؤة بالهمز وأصلها ترقوة"[7].

ومنه ما ورد في اللسان عن أبي الفضل وهو رجل من أسد قال: "الضِّئِنُ في حين رواها أبو عمر، الضُّنُوء والضنو بدون همزة"[8].

---

(1) الجواهر الحسان: 29/1، 30.

(2) الجمهرة: 393/3.

(3) شرح الشافية للاستراباذي: 135/4.

(4) المزهر: 276/2.

(5) الأصوات اللغوية: 43، ولهجة تميم: 83.

(6) شرح الشافية: 135/4.

(7) الخصائص: 207/3.

(8) اللسان: (ضنأ) 553/2.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ويؤيد هذا المسلك ورود قراءة قرآنية في الظاهرة، حيث قرىء قوله تعالى: {قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ} [1]. بالهمز في يأجوج ومأجوج. وهي قراءة عاصم والأعمش، وقد ذكر الفراء أن الهمز فيها لغة أسد"[2].

ومنها أيضا {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} [3]. بالهمز[4]. ومن ذلك أن قبيلة تميم ومن على شاكلتها من القبائل البدوية مالت إلى تحقيق الهمزة والتزمت النطق بها، وهذا من شأنه أن يوضح حقيقة صوتية هامة، وهي أن القبائل البدوية قد تعودت الضغط على هذا المكان ضغطا قويا ينتج عنه قلب صوت اللين الطويل إلى صوت انفجاري شديد مضغوط هو الهمزة[5].

ب : التسهيل (التخفيف):ويقصد به ترك النطق بالهمزة في غير أول الكلمة، والنطق بها واوا، أو ياء أو ألفا وذلك تبعا للحركة التي تسبقها[6].

ومما أورده الثعالبي في هذه الظاهرة قوله: "وقرأ نافع وابن عامر (سال سائل) ساكنة الألف، واختلف الفراء بها، فقال بعضهم هي سأل المهموزة إلا أن الهمزة سهلت، وقال بعضهم هي لغة من يقول سلت أسال ويتساولان وهي لغة مشهورة[7].

ومن الملاحظ أن الثعالبي اعتبر تسهيل الهمزة لغة مشهورة، إلا أنه لم يحدد لنا القبائل الناطقة بها، مما يدفعنا إلى البحث والاستقصاء في كتب التراث للوقوف على تلك القبائل الناطقة بها.

ومن ذلك ما ورد في الجمهرة من: " أن قوما من جهينة جاءوا إلى النبي ρ بأسير يرعد من البرد فقال: أَدْفُوهُ. وهي لغته بغير همز فذهبوا به فقتلوه"[8]. ظنا منهم بأن

---

(1) الكهف: 94.

(2) حجة القراءات: 432، والبحر المحيط: 136/6، واتحاف فضلاء البشر لأحمد البنا: 295.

(3) الفاتحة:07.

(4) الخصائص: 148/3، والبحر المحيط: 30/1.

(5) الأصوات اللغوية: 90، ولهجة تميم: 217، ودراسات في فقه اللغة لصبحي الصالح: 77.

(6) مقدمة شرح الفصيح: 138/1، وينظر: الهمزة لحسنين فؤاد مجلة كلية الأداب جامعة فؤاد المجلد 8 ع1، 1946.

(7) الجواهر الحسان: 471/4.

(8) الجمهرة: (دفو): 291/2.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الإدفاء بمعنى القتل في لغتهم؛ وقد ورد في اللسان: الإدفاء: القتل في بعض اللغات[1].

وهذا يعني أن الرسول ρوصحبه كانوا يميلون إلى تسهيل الهمزة وذلك طلبا للخفة والسهولة في النطق.

فالتخفيف القياسي في الكلمة التي جاء بها الرسول. أن تجعل همزتها بين بين لأ أن تحذف[2] إلى أن النبي ρ حذفها لأن الهمز ليس من لغته.

ومن صور التخفيف: جعل الهمزة بين بين وهو تليين صوتها وتقريبه من حروف اللين الذي من حركتها[3].

وهمزة بين بين لا تتكون في أقصى الحلق حيث تتكون الهمزة الأصلية بل في الموضع الواقع بين الحلق وجوف الفم لذلك يطلق عليها بين بين، أي بين الحروف الحلقية والجوفية[4]، (أوي) وصوت هذه الهمزة يصعب وصفه ولا يتجلى ذلك إلى بالمشافهة.

ولذلك وجدنا الدكتور إبراهيم أنيس متسائلا: أكان الرسول ρ يلجأ أحيانا إلى الحديث بلهجات الخطاب أم كان يلتزم في كلامه بتلك اللغة النموذجية ؟[5].

ومما لاشك فيه أن النبي قد سيطر على اللغة النموذجية حتى صارت له سليقة،ولكن على العظماء أن ينزلوا إلى مستوى الناس في كلامهم، ولذلك كان الرسول يتكلم بلغة قريش، كما كان يتكلم إلى الأقوام التي تفد إليه بلهجتهم الخاصة.

ومن النصوص التي تؤكد ميل الحجاز إلى تسهيل الهمز ما ذكره السيوطي من أن أهل الحجاز يقولون: جونة، وبنو تميم جؤنة بالهمز"[6].

ومما تقدم ندرك أن تسهيل الهمز ظهر في لهجة الرسول ρ ، وقريش، بل يبدو أنه شمل مناطق جغرافية واسعة، فهذا ابن دريد يقول: "وبدأت بالشيء: إذا أنشأته، بدئه

(1) اللسان: (دفأ): 991/1.

(2) اللسان: (دفأ): 995/1.

(3) الأصوات اللغوية: 90 – 91 .

(4) الأصوات اللغوية: 92.

(5) في اللهجات العربية لإبراهيم أنيس: 101.

(6) المزهر: 76/2.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

إبداء وبدأته أيضا، وبديت بالشيء، وبدوت به: إذا قدمته بالفتح والكسر، وهي لغة الأنصار"[1].

واستدل على ذلك يقول عبد الله بن رواحة الأنصاري:

باسم الإله وبه بدينا ولو عبدنا غيره شقينا

فأصل الفعل (بدأنا) فلما خففت الهمزة كسرت الدال فانقلبت الهمزة ياء، ومما ورد في اللسان عن ابن خالويه: " ليس أحد يقول: بديت بمعنى بأدت إلا الأنصار"[2].

وخلاصة القول: إن القبائل العربية التي تميل إلى تحقيق الهمزة تغلب عليها السحنة البدوية كتميم وأسد، أما التي تسهلها فتمثلها القبائل التي تسكن بيئة الحجاز ومنها هذيل وأهل المدينة، والأنصار، وقريش، وقد أكدت كتب للغة ومعجماتها وكتب القراءات هذه العلاقة بين هذه القبائل العربية[3].

والتخلص من الهمزة نوع من الميل إلى السهولة التي تقتضيها البيئة المتحضرة لأن الهمزة أكثر الأصوات الساكنة شدة وعملية النطق بها ــ وهي محققة ــ من أشق العمليات الصوتية، لأن مخرجها فتحة المزمار التي تنطبق عند النطق بها ثم تنفتح فجأة فتسمع ذلك الصوت الانفجاري، ولعله بهذه الشدة اختلفت العرب في نطقها، فمالت القبائل البدوية إلى تحقيقها، ومالت القبائل الحضرية إلى تسهيلها، وهذا يفسر ما ذهب إليه سيبويه من "أن العرب أشد تصويتا من بعض"[4] .

ومما لاشك فيه أن القرآن الكريم بقراءاته يعطينا موقفا وسطا بين التحقيق والتسهيل إذ وردت قراءة تمثل هذه الظاهرة منها قوله تعالى:{كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ}[5]بالهمز وبدونه[6].

حيث قرأ حمزة بالهمز الأمر الذي يجعلنا نطمئن إلى أن تميما مالت إلى تحقيق الهمزة خصوصا إذا علمنا أن حمزة كوفي، والقراء الكوفيون تأثروا ببيئتهم التي تأثرت بدورها بقبائل شرق الجزيرة كما ذكرنا، وقرأ الباقون بدون همز[1].

---

(1) الجمهرة : (بدى) 202/3.

(2) اللسان: (بدأ) 170/1.

(3) اللهجات العربية في التراث: 336/1.

(4) الكتاب: 174/4.

(5) النور: 35.

(6) الجواهر الحسان: 186/3.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وعليه فصوت الهمزة المسهلة يختلف عن صوت الهمزة المحققة، إذ أن الهمـــزة المسهلة تعتبر حرفا فرعيا، فإذا كانت مفتوحة تسهل بين الهمزة والألـــف، وإذا كانـــت مكسورة تسهل بين الهمزة والياء، وإذا كانت مضمومة تسهل بين الهمزة والواو.

وأما فيما يتعلق بإبدال الهمزة حرف مد فذلك راجع إلى حركة الحرف الذي قبلها فإذا كانت الحركة فتحة تبدل ألفا، وإذا كانت كسرة تبدل ياء، وإذا كانت ضمة تبدل واوا وذلك لكي يكون الحرف المبدل متجانسا للحركة التي قبله.

والتفسير الصوتي لهذه الظاهرة هو أننا أحللنا صوت حرف محل الهمـــزة، فـــإذا كانت الهمزة مفتوحة أحللنا صوت الألف، وإذا كانت مكسورة فقد أحللنا صوت اليـــاء، وإذا كانت مضمومة فقد أحللنا صوت الواو.

2 ــ 2 ــ الإبدال بين الثاء والفاء:

تتفق الثاء والفاء في كونهما صوتين مهموسين رخويين، ويختلفان في كون الثـــاء صوت أسناني يتم نقطه عندما يكون طرف اللسان بين أطراف الثنايا العليا، أما الفـــاء فهو صوت شفوي أسناني يتم نطقه باتصال الشفة السفلى بالأسنان العليا[2].

ومن أجل ذلك تبدل إحداهما من الأخرى.

ومن ذلك ما أشار إليه الثعالبي في تفسير قوله تعـــالى: {وَفِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا} [3] والثاء تبدل من الفاء، كما قالوا: مغاثير ومغافير[4].

ويظهر من النص السابق عند تمثيله لهذه الظاهرة أنه لم ينسبها إلى قبيلة معينـــة، في حين نجد الزبيدي يعزو الظاهرة إلى قبيلة طيء حيث قال: " وفـــي كـــلام طـــيء الكرفيء بدل من الكرثيء، وهو السحاب المتراكم، وشاهده في ذلك هو قول عامر بـــن جوين الطائي:

ككرفئة الغيث ذا الصبير ≅ ترمي السحاب ويرمى لها.[5]

---

(1) البحر المحيط: 456/6، والتيسير للداني: 35، واتحاف فضلاء البشر: 324.

(2) الأصوات اللغوية: 64 47، ودراسات في فقه اللغة: 280 281.

(3) البقرة:61.

(4) الجواهر الحسان: 91/1.

(5) تاج العروس للزبيدي (كرفأ): 106/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ومن هذا النص لا نستطيع الجزم بأن طيئا أثرت الفاء على الثاء أم العكس غير أن براجشتراسر يري أن الأصل في ذلك الثاء حين قال: "وحقيقة الأمر في ذلك أنه في بعض لهجات العرب كانت الثاء تنطق فاء في كل الكلمات التي وقعت فيها.

فإبدال الثاء بالفاء في تلك اللهجة أو اللهجات مطرد، غير أن سائر العرب استعار النطق بالفاء بدل الثاء في قليل من الكلمات فقط، فيظهر الإبدال عندهم اتفاقيا"[1].

وإذا أدرنا وجهتنا صوب القراءات القرآنية، وجدنا الثعالبي قد استدل على هذه الظاهرة بقراءة عبد الله بن مسعود: حيث قرئ قوله تعالى: {مِن فُومِهَا، وثُومِهَا}[2].

والتفسير الصوتي لهذا الإبدال الواقع بين الثاء والفاء يرجع إلى تقاربهما في المخرج وتجانسهما في صفتي الهمس والرخاوة كما ذكرنا.

2 ــ 3 ــ إبدال الهمزة هاء:

ونظرا لاشتراك الصوتين في مخرج أقصى[3] الحلق، جاز إبدال أحدهما من الآخر، ومن النصوص التي استدل بها الثعالبي على هذه الظاهرة، ما أشار إليه في قوله تعالى: {وَمُهَيْمِنًا} [4]نقلا عن المبرد قوله: مهيمن أصله مؤتمن بني من أمين أبدلت همزته هاء، كما قالوا: أرقت الماء وهرقته، واستحسنه الزجاج[5].

وفي شرح الفصيح لابن هشام: " هرقت أصله أرقت، والعرب تبدل الهمزة هاء للقرب، كما قالوا: إياك، وهياك، وأيهات، وهيهات"[6].

أما التفسير الصوتي للإبدال الواقع بين الهمزة والهاء، هو اشتراك الصوتين في المخرج الواحد، وهو أقصى الحلق كما قدمنا.

ومما تجدر الإشارة إليه أن ظاهرة الإبدال التي تمت دراستها ليست قضية لهجية محضة، وإنما هي قضية صوتية صرفية تتعرض لها الكلمة العربية حين تتجاور الأصوات داخل الكلام ويؤثر بعضها في بعض حسب قوانين صوتية تعرفها جميع

(1) التطور النحوي للغة العربية لبرجيشتراسر: 23.

(2) الجواهر الحسان: 91/1، وينظر: البحر المحيط: 233/1، وتفسير الرازي: 366/1.

(3) المقتضب: 192/1، ومناهج البحث في اللغة لتمام حسن: 136، والأصوات اللغوية: 88، ينظر: مباحث الهمزة في العربية لعبد الحليم النجار.

(4) المائدة: 48.

(5) الجواهر الحسان: 557/1.

(6) شرح الفصيح: 141/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

اللغات البشرية، وبذلك يكون مفهوم الإبدال عند اللغويين العرب قديما وحديثا هو وضع حرف ليس من الحروف الأصول في الكلمة مكان حرف آخر من الحروف الأصول في أثناء الكلام لضرورة لفظية قصد التخفيف أو الميل إلى تيسير النطق وسهولته على اللسان.[1]

هذه بعض القضايا لصوتية التي وقفت عليها عند قراءتي للجواهر الحسان، وهي تكشف عن مدى اهتمام المفسر بها، حيث استعان بها على فهم النص القرآنين مع بيان المسلك اللغوي الذي تسلكه القبائل العربية في استعمالها اللغوي.

وعرضه للمادة الصوتية يتسم بالطرح العلمي ويوافق ما ذهب إليه الدرس اللغوي الحديث.

إن الغرض المتوخى من وراء تغيرات الهمزة في أثناء الكلام طلب السهولة في النطق والتخفيف على اللسان وأعضاء النطق.

ب ــ الإدغام:

الإدغام من الموضوعات التي شغلت بال اللغويين والنحويين، والقراء. فقد ذكر صاحب اللسان عند تفسيره لمادة (دغم): والإدغام: ادخال حرف في حرف، يقال أدغمت الحرف وادغمته على افتعلته[2].

أما عند النحاة فهو: "أن تصل حرفا ساكنا بحرف مثله متحرك من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف، فيصير لشدة اتصالهما كحرف واحد، يرتفع اللسان عنهما رفعة واحدة شديدة، فيصير الحرف الأول كالمستهلك لا على حقيقة التداخل والإدغام[3].

وعبارة المفصل أن تصل حرفا ساكنا بحرف مثله توحي بأن النحويين إنما يعالجون في هذا التعريف عملية الإدغام وحدها، دون الإشارة إلى ما يسبقها من حذف الحركة وقلب للصوت الأول من مثل الثاني، سواء أكان مجانسا أم مقاربا[4].

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أن النحاة لا يتصورون الإدغام على أنه فناء للصوت الأول في الصوت الثاني بل يجعلونها "لشدة اتصالهما كحرف واحد يرتفع

---

(1) المقتضب 360/1، وينظر التحليل الصوتي للتغيرات الصرفية عند النحاة العرب 115، ومقدمة محقق شرح الفصيح 136/1.

(2) اللسان (دغم): 1012/1

(3) شرح المفصل لابن يعيش: 121/10.

(4) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي لعبد الصبور شاهين: 122، 123.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

اللسان عنهما رفعة واحدة شديدة" ومثل ذلك وارد عند سيبويه حيث قال: " باب الحرفين اللذين تضع لسانك لهما موضعا واحدا لا يزول عنه"[1].

ويظهر أن تصور سيبويه للإدغام كان أوسع من تصور متأخري النحاة. هذا وقد عرفه ابن جني بقوله: "تقريب صوت من صوت"[2] هذا وقد قسمه إلى نوعين هما تقريب ساكن متحرك، وتقريب متحرك من متحرك، وأورد على ذلك جملة من النصوص شرح فيها التقارب الذي يحدث بين الأصوات والأساليب المؤدية إلى ذلك[3].

ومن النصوص التي حملها الثعالبي على هذه الظاهرة ما جاء في قوله تعالى: {وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ} [4] قال المفسر وأصل اللفظة المعتذرون فقلبت التاء ذالا وادغمت[5].

ولعل المسوغ لذلك هو إدغام المتقاربين وتجانسهما[6].

قوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ}[7] قال الثعالبي نقلا عن أبي البقاء: في (ستة أيام) ستة أصلها سدسة فأبدلوا من السين تاء ثم أدغموا الدال في التاء، وتصغيره سدسي وسديسة[8].

وقد علق أحد الباحثين على ذلك بقوله: " وأما رواية (ست وستة) فليست كما يبدو في الظاهر، من باب قلب الدال والسين في (سدس) تاء بل نرجح أنها مثال محفوظ يفسره اختلاف اللهجات أيضا لا تفاعل الأصوات فلسنا من رأي سيبويه القائل: (ست) أصلها (سدس) وأن السين الأخيرة قلبت "تاء" لتقرب من الدال التي قبلها فصار التقدير: "سدت" فلما اجتمع الدال والتاء تقاربتا في المخرج أبدلوا الدال تاء لتوافقها في الهمس ثم أدغمت التاء في التاء فصارت (ست)[9].

---

(1) الكتاب: 407/2.

(2) الخصائص: 139/2.

(3) الخصائص: 140/2، وما بعدها.

(4) التوبة: 90.

(5) الجواهر الحسان: 195/2.

(6) النشر: 280/1.

(7) الأعراف: 54.

(8) الجواهر الحسان: 32/2.

(9) الكتاب: 413/2 .

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

فمن غير المعقول أن يستبدل الناطق العربي الذي ينحو دائما منحى السهولة بصيغة (سدس) صيغة (سدت) لكي يصل منها إلى (ست) لسببين:

أولهما: سهولة النطق بالصوت الرخو (السين) عقب النطق بالصوت الشديد "الدال" حتى لكأن اللسان يتنفس من وطأة الصوت الشديد في نطق الصوت الرخو.

وثانيهما:

أنه ليس من الجائز أن يقال في "سدت": "سدت" على الادغام التقدمي القياسي.

ومن أجل هذا نرجح أن تكون الكلمة في احدى اللهجات : "سدس" والإصطلاحي "سديسة"[1] وسيبويه يعتبر هذا الضرب من الإدغام بأنه شاذ وغير مطرد[2].

وما يؤيد هذا الاتجاه ماأشار إليه المفسر في قوله تعالى: {وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ} [3]، اختلف الناس في معنى هذه الآية، هل الفعل مسند للفاعل فأصله (ولا يضارر) كاتب ولا شهيد بكسر الراء، وقيل مسند للمفعول الذي لم يسم فاعله فأصله (ولا يضارر) بفتحهما، وعن ابن عطية: ووجوه المضارة لا تنحصر وفك الفعل هي لغة الحجاز والإدغام لغة تميم[4].

ومن النتائج التي يمكن الوقوف عليها من خلال ما تقدم أن الإدغام مظهر من مظاهر الخشونة وعليه فهو بالبيئة البدوية أليق منها من البيئة الحضرية.

ومن ذلك ما أورده في قوله تعالى: {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ} [5] أصل عم عن ما أدغمت النون في الميم لاشتراكهما في الغنة فبقي (عما) في الخبر وفي الاستفهام، ثم حذفوا الألف في الاستفهام فرقا بينه وبين الخبر، ثم من العرب من يخفف الميم فيقول:(عم)[6].

وأوضح الزجاج أن هذا الإدغام جرى لاشتراك النون والميم في الغنة[7].

وزاد سيبويه "وتدغم النون مع الميم لأن صوتهما واحد، وهما مجهوران وقد خالف سائر الحروف التي في الصوت حتى أنك تسمع النون كالميم والميم كالنون حتى

---

(1) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي: 130.

(2) الكتاب: 415/2.

(3) البقرة: 282.

(4) الجواهر الحسان: 350/1

(5) النبأ : 1 .

(6) الجواهر الحسان: 545/4.

(7) القرطبي: 170/19.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

تتبين... وإن كان المخرجان متباعدان إلا أنهما اشتبها لخروجهما جميعا في الخياشيم"[1].

فعلى الرغم من شيوع إدغام النون في الميم للغنة التي فيها فإن الميم لا تدغم في النون باتفاق النحاة لبعد المخرج الفموي بينهما، قال المبرد: "ولا تدغم الميم فيها، لأن الميم تنفرد بالشفة وإنما تشرب غنة من الخياشيم، فالميم داخلة عليها وهي بائنة من الميم"[2].

وعلى العموم فظاهرة الإدغام في الدرس اللغوي الحديث قد نالت اهتمام العلماء من حيث التفسير والتحليل والتعليل ووضع القواعد والقوانين الصوتية التي تضبطها.

فالمحدثون من علماء العربية عنوا بدراسة هذه الظاهرة واهتموا بها كسائر الظواهر الأخرى ضمن مفهوم المماثلة، وقارنوا ذلك بما توصل إليه البحث اللغوي الحديث في أوروبا.

كما اهتم هؤلاء العلماء بدراسة هذه الظاهرة في التراث النحوي واللغوي والقراءات القرآنية، وتحدثوا عن القبائل التي كانت تميل إلى الإدغام والتي كانت تميل إلى الإظهار والبيان، ولم يخرجوا في أثناء معالجتهم لهذه الظاهرة عن إطارها القديم الذي رسمه القدماء، باستثناء ما أفاده المحدثون من المناهج الغربية في دراسة موضوع المماثلة والتقريب بين الأصوات اللغوية سواء كانت حروفا أم حركات.

ومن هؤلاء العلماء الطيب البكوشي الذي يرى أن الفرق بين المماثلة بمفهومها العصري والإدغام بمفهومه العربي فرق جوهري، فالمماثلة تدل على ظاهرة تعاملية تقرب بين الأصوات المختلفة بينما يدل مفهوم الإدغام على ظاهرة نطقية تدمج الأصوات المتماثلة حيث قال: "ويحسن هنا أن نقابل هذا التحديد بتعريف المفهوم

(1) الكتاب 453/4.

(2) المقتضب للمبرد، 353/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الصوتي المقابل في علم الأصوات العام وهو (المماثلة)* والذي يعرف بأنه نزعة صوتين إلى التقارب في المخارج أو الصفات سواء تماثلا أو لم يتماثلا"[1]. وعلى الرغم من ذلك يبقى مصطلح الإدغام ومصطلح المماثلة متقاربين من حيث الدلالة على تأثر الحرفين المتجاورين سواء كانا متماثلين أو متقاربين. كما حظيت هذه الظاهرة باهتمام علماء أوروبا فتناولوه بالدرس والبحث فهذا دوسوسير في كتابه محاضرات في الألسنية العامة تحدث فيه عن التغيرات الصوتية الطارئة على اللغة كما تناول قضايا تتعلق ببعض المسائل الصوتية في مستويات مختلفة.

أما موريس غرامون في كتابه[2] فقد تعرض فيه إلى ظاهرة التغيرات الصوتية في اللغات وحدد مفهوم المماثلة بأنه تغير يحدث عند تحويل حرف معين عن مخرجه الأصلي إلى مخرج آخر لغرض الانسجام الصوتي.

أما هنري فلاش فقد عقد فصلا في كتابه[3] سماه L'Idgam قال فيه: "إن الإدغام هو تداخل حرفين متشابهين في حرف واحد مشدد[4].

---

* (Assimilation)

(1) النظريات الصوتية في كتاب سيبويه، مجلة حوليات الجامعة التونسية، كلية الأداب والعلوم الإنسانية، العدد 11 1974 ص141-152.

(2) Traité de phonetique, Edition Librairie de La Grave Paris 1971, P185

(3) Traité de Philologie Arabe, Edition Librairie Catholique Birut

(4) L'Idgam est la contraction de deux, consonnes semblable en une, P.141

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ثانيا: القضايا الصرفية

1 ــ المصدر

2 ــ اسم الفاعل

3 ــ اسم المفعول

4 ــ فعل وأفعل

5 ــ التذكير والتأنيث

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ثانيا ــ القضايا الصرفية:

يراد بالظواهر الصرفية هنا الاختلاف في بنية الكلمة، وهو ما عبر عنه علماء العربية بالاختلاف في الأوزان الصرفية أو صيغ الكلمات.

الكتاب محل الدراسة كتاب تفسير، ولذلك فلا يعجب القارئ إن وجد "الجواهر الحسان" لا يعطي لهذه المسائل حقها كما هو الحال عند علماء اللغة. وليس معنى ذلك أن الكتاب خالي من بعض هذه الظواهر الصرفية بل وجدنا فيه بعض المباحث الصرفية المتنوعة، التي دعم بها تفسيره والتي جاءت عرضا أثناء الشرح والتفسير.

فمن المباحث والموضوعات التي وردت في التفسير والتي يمكن الالتفات إليها وذلك نظرا لأهميتها، فقد أشار الثعالبي إلى صيغ الأفعال، على اختلاف أبنيتها الثلاثية والرباعية، المجردة والمزيدة، وصيغ الأسماء كالأفراد والتثنية والجمع. والتذكير والتأنيث، وكذا صيغ المشتقات على اختلاف أنواعها إلى غير ذلك من الموضوعات التي تناثرت موادها في ثنايا التفسير.

وللوقوف على هذه الموضوعات وكيفية معالجتها من قبل المفسر إرتأيت أن تكون من خلال بعض النصوص المختارة الواردة في التفسير، مع العلم بأني لم أتعرض لصيغ الأسماء والأفعال من حيث تطبيقها وأبنيتها ووظائفها الدلالية، لأن كتب الصرف تعج بها.

وفيما يلي بعض الموضوعات المنتقاة مع بعض الملاحظات التي يمكن الإشارة إليها حول موقفه منها.

أ ــ المصدر:

المصدر اسم يذكر للدلالة على الحدث الجاري على الفعل[1]، ويصاغ من الثلاثي وغير الثلاثي، وأغلب مصادر الفعل الثلاثي سماعية، مع أن علماء الصرف اجتهدوا في إيجاد المقاييس التي تضبط ذلك، وأما مصادر غير الثلاثي فقياسية تحكمها قواعد معروفة فيكتب النحو والصرف[2].

ويظهر أن الثعالبي قد تأثر بمن سبقه من المفسرين في تناولهم هذه الظاهرة فاستأنس بهم وأخذ برأيهم، ومن ذلك ما أورده في "الجواهر الحسان" عند ذكر باب

(1) الجامع الصغير في النحو لابن هشام الأنصاري: 150.

(2) ينظر: الكتاب: 5/4، وشرح الشافية: 151/1، ومقدمة محقق الفصيح: 195/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

تفسير أسماء القرآن. "هو القرآن وهو الكتاب وهو الفرقان، وهو الذكر فالقرآن مصدر من قولك قرأ الرجل: إذا تلا يقرأ قرآنا، ومنه قول حسان بن ثابت يرثي عثمان بن عفان رضي الله عنه[1]:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به * يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

أي وقراءة[2].

وأما الكتاب فهو مصدر من كتب، إذا جمع ومنه قيل كتيبة لاجتماعها. وأما الفرقان فهو أيضا مصدر لأنه فرّق بين الحق والباطل، فِرقانا وفُرقانا"[3].

كما حمل على ذلك جملة من النصوص منها قوله تعالى: {وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ}[4] و(غفرانك) مصدر، والعامل فيه فعل تقديره: نطلب أو نسأل غفرانك[5].

ومنها قوله تعالى:{إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ} [6] وقوله:{ أَمَنَةً} مصدر من الفعل أمن يأمن أمنا وأمنة وأمانا[7].

وفي قوله تعالى: {بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [8] تقول برأت من الشيء أبرأ براءة فأنا منه بريء[9].

ومنه قوله تعالى: {فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ}[10]، {فَضَرْبَ الرِّقَابِ} مصدر بمعنى الفعل أي فاضربوا رقابهم وعين من أنواع القتل أشهره، والمراد اقتلوهم بأي وجه أمكن[11].

---

(1) الديوان: 217.

(2) الجواهر الحسان: 29/1.

(3) المصدر نفسه: 29/1.

(4) البقرة: 285.

(5) الجواهر الحسان: 284/1.

(6) الأنفال: 11.

(7) الجواهر الحسان: 284/1.

(8) التوبة: 1.

(9) الجواهر الحسان: 151/2.

(10) محمد: 4.

(11) الجواهر الحسان: 220/4.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

كما أنه من المشهور عند علماء الصرف أن مصدر "فعل" المتعدي المفتوح العين (فعل) بسكون العين مطلقا، سواء أكان الفعل صحيحا مثل نصر نصرا، أو معتل العين نحو نال نيلا.

ومما ذكره الثعالبي على ذلك في قوله تعالى:{إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ}[1] والسوء مصدر من ساء يسوء[2]، وفيه (فجاسوا)[3] مضارعه يجوس ومصدره جوس[4].

وأما فعل "المفتوح العين إذا كان لازما فقياس مصدره "فُعُول" مثل جلس جلوس ووقف وقوفا[5]. ومنه قوله تعالى: {وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ}[6]، يجوز أن يكون مصدرا بمعنى الورود[7].

كما أنه من الثابت في كتب العربية أن مصدر الفعل على وزن فَعل أو فعِل بفتح العين وكسرها هو "فعْل" بسكون العين نحو خلْق وشهْد. ومن النصوص التي حملها الثعالبي على ذلك ما ذكره في قوله تعالى:{أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} [8] والأمر مصدر من أمر يأمر كما يحتمل أن تؤخذ لفظة الخلق على المصدر من خلق يخلق خلقا[9].

ومنه {وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ} [10] والصبر مصدر من صبر يصبر[11].

ومن حسنات الثعالبي أنه يفرق بين الاسم والمصدر، فصنيعه هذا شبيه إلى حد بعيد عمل المعجمين في النص على نوع الكلمة وبالتالي الوقوف على معناها في

---

(1) البقرة: 169.

(2) الجواهر الحسان: 195/1.

(3) من قوله تعالى: (فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا) الإسرا: 5.

(4) الجواهر الحسان: 459/2.

(5) ينظر: همع الهوامع للسيوطي: 167/2.

(6) هود: 98.

(7) الجواهر الحسان: 295/2.

(8) الأعراف: 54.

(9) الجواهر الحسان: 33/2.

(10) يونس: 109.

(11) الجواهر الحسان: 263/2.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

مضانها ومن ذلك ما أشار إليه في قوله تعالى:{وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ} [1]، والأمر واحد الأمور وليس هنا بمصدر أمر يأمر[2].

هذه هي بعض النصوص التي تمثل مادة المصادر في تفسير "الجواهر الحسان"، توضح لنا منهجه في عرضها، وما امتاز به من خصائص ومميزات ومن أبرزها:

1 ــ العناية بذكر المصادر، والتمييز بينها وبين الصيغ الأخرى ولاسيما الأسماء وذلك درأ للخلط الذي يقع فيها عند الاستعمال.

2 ــ اقتفاء أثر أسلافه في القضايا الصرفية التي عرضها في باب المصادر والاقتصار على ورد في تلك الآثار دون مناقشة، وما يشفع له في ذلك كون الكتاب، كتاب تفسير وليس لغة.

3 ــ عدم توثيق المادة اللغوية التي يعرضها إلا نادرا الأمر الذي قد يؤدي إلى عدم سلامة الاستعمال اللغوي وتحقيق الغاية العلمية.

ب ــ اسم الفاعل:

اسم مصوغ للدلالة على من وقع منه الفعل، أو تعلق به[3]، وهو يصاغ من الثلاثي على وزن "فاعل" نحو صائم وقائم، ومن غير الثلاثي بزنة مضارعه مع إبدال حرف المضارعة ميما مضمومة وكسر ما قبل الآخر، نحو منكسر ومنقطع[4].

ومن النصوص التي حملها الثعالبي على ذلك ما أشار إليه في قوله: "وقدير"[5] فهو اسم فاعل على المبالغة[6]، ومنه {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [7] و(خبير) اسم فاعل من خبر إذا تقصى علم الشيء[8].

---

(1) البقرة: 117.

(2) الجواهر الحسان: 127/1.

(3) الجامع الصغير في النحو: 154، وشذا العرف في فن الصرف: 77.

(4) لهذه القواعد بعض الشذوذ في الاستعمال يمكن الرجوع إليها في كتب النحو والصرف.

(5) من قوله تعالى: (ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) البقرة: 106.

(6) الجواهر الحسان: 121/1.

(7) البقرة: 234.

(8) الجواهر الحسان: 221/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ومنه {قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} [1] و(عاصم) اسم فاعل على بابه[2].

ومنه (عصيب)[3] بناء اسم فاعل معناه يصعب الناس بالشر فهو من العصابة ثم كثر وصفهم لليوم بعصيب، ومنه **(وقد سلكوك في يوم عصيب)** [4].

كما أشار المفسر إلى ان المصدر قد يأتي بمعنى اسم الفاعل كقوله تعالى:{شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ} [5].

قال الثعالبي نقلا عن الصفاقسي و(هدى) منصوب على الحال أي هاديا فهو مصدر وضع موضع اسم الفاعل[6].

وقد تأتي صيغة فعيل بمعنى فاعل ومنه قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [7]، فلفظة العموم ومعناه عند المتكلمين فيما يجوز وصفه تعالى بالقدرة عليه، وقدير بمعنى قادر[8].

ومنه {**عنيد**} [9] معناه عاند عن الحق منحرف عنه[10]. وفيه {**عليم**} [11] بمعنى عالم[12].

ــ صيغة مفعل ومما ورد على ذلك ما ذكره في قوله: {مُهْطِعِينَ} [13] أي مسرعين من أهطع والهمزة فيه للتعدي[14].

---

(1) هود: 43.

(2) الجواهر الحسان: 279/2.

(3) من قوله تعالى: (وقال هذا يوم عصيب) هود: 77.

(4) الجواهر الحسان: 289/2.

(5) البقرة: 185.

(6) الجواهر الحسان: 172/1.

(7) البقرة: 20.

(8) الجواهر الحسان: 53/1.

(9) من قوله تعالى: (ألقيا في جهنم كل كفار عنيد) ق: 24.

(10) الجواهر الحسان: 270/4.

(11) من قوله تعالى: (وبشروه بغلام عليم) الذاريات: 28.

(12) الجواهر الحسان: 283/4.

(13) من قوله تعالى: (مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسير) القمر: 8.

(14) الجواهر الحسان: 321/4.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

جـ ــ اسم المفعول:

اسم المفعول مصوغ للدلالة على من وقع عليه الفعل[1]، ويصاغ من الثلاثي على وزن "مفعول" ومن غير الثلاثي بزنة مضارعه المبني للمجهول مع إبدال حرف المضارعة ميما مضمومة وفتح ما قبل الآخر، نحو محرم ومكرم.

ولاسم المفعول المعتل العين واللام منه أحكام خاصة، كما أن له أوزانا سماعية تنوب عن مفعول[2].

وقد أورد الثعالبي في تفسيره جملة من الصيغ لاسم المفعول مصوغة من الثلاثي وغير الثلاثي:

1 ــ ما ورد على صيغة مفعول: ومنها: "معلوم"[3] أي مفعول[4].

ومنه {كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ} [5] و(مكنون) اسم مفعول من كن[6].

وفيه: {جُندٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ} [7]فهو اسم مفعول من هزم بمعنى مغلوب[8].

2 ــ صيغة " فعيل" وهي تنوب عن "مفعول" ويستوي فيها المذكر والمؤنث.

ومما ورد في "الجواهر الحسان"، قال الثعالبي: وأما الرجيم فهو فعيل بمعنى مفعول، كقتيل وجريح[9]، ورجيم بمعنى مرجوم[10].

ومنه: {نَضِيدٌ} [11]معناه منضود بعضه على بعض، فهو فعيل بمعنى مفعول[12].

ونيابة "فعيل" عن " مفعول" جاء على غير قياس ويعتمد فيه على السماع[13].

---

(1) الجامع الصغير في النحو: 157، وشذا العرف في فن الصرف: 79.

(2) ينظر: الكتاب: 348/4، وشرح جمل الزجاجي: 402/2، و شرح ابن عقيل: 237/4.

(3) في قوله تعالى: (أولئك لهم رزق معلوم) الصافات: 41.

(4) الجواهر الحسان: 27/4.

(5) الصافات: 49.

(6) الجواهر الحسان: 27/4.

(7) ص : 12.

(8) الجواهر الحسان: 48/4.

(9) الجواهر الحسان: 32/1.

(10) الجواهر الحسان: 573/4.

(11) من قوله تعالى: (والنخل باسقات لها طلع نضيد) ق:10.

(12) الجواهر الحسان: 264/4.

(13) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: 138/3.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وقد يأتي فاعل بمعنى مفعول نحو قوله تعالى: {مِن مَّاءٍ دَافِقٍ}[1] و "دافق" قال كثير من المفسرين هو بمعنى مدفوق[2].

د ــ فعل وأفعل:

لقد كان استعمال وزني الفعل (فعل وأفعل) وتعاقبهما على اللفظ باتفاق في المعنى أو باختلاف فيه متباينا بين الناطقين بالعربية، مما دفع العلماء إلى التأليف في هذه الظاهرة، كقطرب، والفراء، وأبي عبيدة، وأبي زيد الأصمعي وغيرهم[3].

وقد أفاد المفسرون ومنهم الثعالبي من هذه المؤلفات ومن غيرها فدونوا مادة بينوا استعمالاتها المختلفة ومما جاء في "الجواهر الحسان": {وَتُقْسِطُوا} [4] معناه تعدلوا، يقال أقسط الرجل إذا عدل وقسط إذا جار، قالت عائشة رضي الله عنها: "نزلت هذه الآية في أولياء اليتامى الذين يعجبهم جمال ولياتهم، فيريدون أن يبخسوهن في المهر لمكان ولايتهم عليهن، فقيل لهم أقسطوا في مهورهن، فمن خاف ألا يقسط فليتزوج ما طالب له من الأجنبيات[5].

ومنه قوله تعالى: {وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ} [6] معناه أتركوهم، ويقال (ألحد) و (لحد) بمعنى جار ومال وانحرف[7].

ومنه {أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ} [8]، و(مردفين معناه: متبعين، وقرأ سائر السبعة غير نافع "مردِفين" بكسر الدال ونافع بفتحها. ويقال ردف وأردف إذا اتبع وجاء بعد الشيء، وانشد الطبري شاهدا على أن أردف بمعنى جاء تابعا قول الشاعر:

إذا الجوزاء أردفت الثريا ≅ ظننت بآل فاطمة الظنونا

---

(1) الطارق: 6.

(2) الجواهر الحسان: 598/4.

(3) ينظر: الفهرست لابن النديم 238، 304، 242، 248، 251.

(4) من قوله تعالى: (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى) النساء: 3.

(5) الجواهر الحسان: 413/1 414.

(6) الأعراف: 180.

(7) الجواهر الحسان: 90/2.

(8) الأنفال: 9.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

والثريا تطلع قبل الجوزاء[1].

ومنه: {وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ} [2] يريد به الميزان المعروف.

وقرأ بلال بن أبي بردة "تخسِروا" بفتح التاء وكسر السين من خَسِرَ، ويقال خسر وأخسر بمعنى نقص وأفسد، كجبر وأجبر[3].

ومنه: {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ} [4] وعبر هنا بالمضارع لأن المراد الاتصاف بالعلم واستمراره، ولم يلحظ فيه الزمان، كقولهم فلان يعطي ويمنع.

وقرأ نافع وحده "ليحزنك" من أحزن، وقرأ الباقون "ليحزنك" من حزنت الرجل[5].

ومما يلاحظ على هذه النصوص أن الثعالبي لم يحدد لنا من العرب من مال في نطقه إلى استعمال صيغة "فعل" ومن استخدم صيغة "أفعل".

لكن باستقراء ما جاء في كتب اللغة نجد أن صيغة "أفعل" تميمية، و "فعل" حجازية فقد ورد في المزهر: تميم تقول: اتخذت، وأهل الحجاز يقولون: تخذت[6].

وفي اللسان: "أهل الحجاز يقولون: فتنته المرأة، وأهل نجد يقولون: أفتنته"[7].

"لاته حقه: نقصه، وهي لغة الحجاز، وتميم تقول: ألاته"[8].

وفيه أيضا "مضني الأمر، وأمضني، والثانية تميمية"[9].

هذا وقد وردت اللغتان في القرآن الكريم كما مثلنا، ومنه {لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا} [10] حيث قرأ على الوجهين كثير من القراء[11].

---

(1) الجواهر الحسان: 113/2.

(2) الرحمن: 9.

(3) الجواهر الحسان: 331/4.

(4) الأنعام: 33.

(5) الجواهر الحسان: 616/1.

(6) المزهر: 276/2.

(7) اللسان: (فتن) 1049/2.

(8) المزهر: 276/2، واللسان (ليت) 420/3.

(9) اللسان: (مضنى) 496/3.

(10) الحجرات: 14.

(11) ينظر: التيسير للداني: 202، والبحر المحيط: 117/8، واتحاف فضلاء البشر 398.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

كما قرأ عيسى بن عمر "ولا تفتني"[1] بضم التاء من أفتن وهي لغة تميم، وقرأ الآخرون "تفتِّني" بفتح التاء من فتن[2].

وفي قوله تعالى: {لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ} [3]، قرأ أبو جعفر بضم الياء من أحزن وهي في تميم وبعضهم من حزن[4].

ومما تقدم ندرك أن تميما تميل إلى استخدام صيغة الأفعال المزيدة، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أنها تجنح إلى التخلص من توالي الحركات على الفعل باعتبارها بدوية، وهذا خلافا للمناطق المتحضرة التي تميل إلى الصيغ المجردة.

وهاتان الصيغتان استعملهما القراء في قراءاتهم كما رأينا، والقراءات القرآنية تعد من الروافد التي أمدت العربية بالتنوع في الصيغ والأبنية، وهي تعكس الصفات الكلامية للقبائل في مسلكها اللغوي.

وجميل أن نورد رأي الدكتور رمضان عبد التواب في تفسير هذه الظاهرة حيث يرى أن "أفعل" هو الأصل،ولما كان من نهج الحجازي ترك الهمز وإن كان ذلك مطردا في وسط الكلمة وآخرها فقد دون أولها، فقد حذف الهمزة وحرك الفاء، لأن العربي لا يبدأ بالساكن، فتكلم به على وزن "فعل".

وأما ما نطقه التميمي على "فعل" والحجازي على "أفعل" فقد يكون الأصل فيه "فعل" ثم زاد الحجازي الهمزة من باب الحذلقة متوهما ان ذلك هو الأصل[5].

وإن صح هذا الرأي فهو يعنى أن النهج التميمي هو القديم والحجازي هو المتأخر في الحالتين. وهذا يؤكد أن كلا من القبيلتين الحجازية والتميمية قد استخدمتا الصيغتين معا.

ومن الملاحظات التي يمكن الإشارة إليها، أن جهود الثعالبي في ميدان الصرف لم تكن نظرية بقدر ما كانت عملية تطبيقية، ولذلك لم يرد أي تعريف للصرف أو

---

(1) من قوله تعالى: (ومنهم من يقول إئذن لي ولا تفتني) التوبة: 49.

(2) البحر المحيط: 51/5.

(3) الأنبياء: 103.

(4) البحر المحيط: 342/6.

(5) لغة تميم 400، وينظر: ما كتبه رمضان عبد التواب عن الحذلقة أو المبالغة في التفصح: التطور اللغوي 115 وما بعدها.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

التصريف، ولا عجب في ذلك، لأن ما ورد في هذا الباب قد ورد في كتب التفسير، وكل ما يهمه من الصرف، أن يكون وسيلة تطبيقية، في يده لتحليل بنية التنزيل.

فقد عرض لنا في تفسيره نماذج من التحليل الصرفي المتعلق بتحقيق جذر الكلمة الذي يربطه بأصل المعنى في غالب الحالات، أو بالتفسير الاشتقاقي في الأسماء التي يبين دلالتها بدقة وما يطرأ على الجذر من زيادة حروف فتؤدي إلى توليد صيغة منه عن طريق الاشتقاق الذي يؤدي إلى تنوع المعاني والصيغ، للإفادة منها والتعبير عن معانيها بطرق مختصرة.

هـ ـ التذكير والتأنيث:

قسم علماء العربية الألفاظ باعتبار جنسها إلى نوعين: مذكر ومؤنث، وتختلف اللغات البشرية فيما بينها من حيث التذكير والتأنيث، بل وحتى داخل الفصيلة الواحدة، فما كان مؤنثا في لغة قد يكون مذكرا في لغة أخرى والعكس صحيح[1].

ونظرا لأهمية هذه الظاهرة اللغوية وجدنا علماءنا يولونها عناية خاصة فألفوا فيها الكتب والرسائل، جمعوا فيها الألفاظ التي يقع فيها التذكير والتأنيث، وبينوا المذكر والمؤنث منها سواء أكان اللفظ حاملا لعلامة من علامات التأنيث المتفق عليها، أو كان اللفظ سماعيا[2].

وأما المراد بالمذكر والمؤنث عند علماء العربية: "فالمؤنث ما فيه علامة التأنيث لفظا وتقديرا، والمذكر بخلافه، وعلامة التأنيث التاء والألف مقصورة وممدودة"[3].

ومن النصوص التي مثل بها الثعالبي في تفسيره لهذه الظاهرة، ما أشار إليه في قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} [4] والملائكة واحدها ملك والهاء في ملائكة لتأنيث الجموع، وقيل هي للمبالغة والأول أبين[5].

(1) من أسرار اللغة: 126، وينظر: مقدمة محقق شرح الفصيح: 170/1.

(2) ينظر: المذكر والمؤنث لإبن الأنباري 220، ومقدمة المحقق 8/1، 12.

(3) شرح الكافية في النحو: 161/2 .

(4) البقرة: 30.

(5) الجواهر الحسان: 60/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ومنه قوله تعالى: {وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ} [1] قال الثعالبي نقلا عن الصفاقسي "شياطينهم" جمع شيطان وهو كل متمرد من الجن والإنس والدواب قاله ابن عباس، وأنثاه شيطانة[2].

وفيه أيضا: و"المثلى"[3] تأنيث أمثل، أي الفاضلة الحسنة[4].

ومنه: {قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ} [5] وهو المكيال والسقاية، قال أبو عبيدة، يؤنث الصواع من حيث سمي سقاية ويذكر من حيث هو صاع[6].

ومنه قوله تعالى: {ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ} [7] على التأنيث، وقال: {وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ} [8] على التذكير[9].

وفيه أيضا ما ذكره في قوله تعالى:{كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ} [10]، و"النخل" تذكر وتؤنث[11].

ولو أردنا وجهتنا صوب التراث اللغوي لوجدنا صدى لهذه الظاهرة ومن ذلك ما أورده ابن دريد في الجمهرة قوله: " السبيل معروف، يذكر ويؤنث"[12] و"السوق معروفة تذكر وتؤنث"[13] و "اللسان معروف يذكر ويؤنث"[14].

والملاحظ على هذه الكلمات التي أوردها ابن دريد، قد وردت بصيغة واحدة، وقد عوملت مرة بالتذكير ومرة بالتأنيث دون عزو إلى القبائل الناطقة بها على وجه معين،

---

(1) البقرة: 14.
(2) الجواهر الحسان: 50/1.
(3) من قوله تعالى: (ويذهبا بطريقتكم المثلى) طه: 63.
(4) الجواهر الحسان: 51/3.
(5) يوسف: 72.
(6) الجواهر الحسان: 337/2.
(7) يوسف 76.
(8) يوسف 72.
(9) الجواهر الحسان: 337/2
(10) القمر: 20.
(11) الجواهر الحسان: 323/4.
(12) الجمهرة (بسل): 289/1.
(13) الجمهرة (سقو): 143/3.
(14) الجمهرة (سلن): 51/3.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الشيء الذي يدفعنا إلى البحث في كتب التذكير والتأنيث لعلنا نجد ما يفسر ذلك، وقد جاء في كتاب المذكر والمؤنث للفراء: أن "الطريق يؤنثه أهل الحجاز ويذكره أهل نجد"[1].

كما جاء في الصحاح عن الأخفش أن: " أهل الحجاز يؤنثون الطريق، والسراط والسبيل والسوق... وبنو تميم يذكرون هذا كله"[2].

وهذا معناه أن التذكير خاصية لهجية لبني تميم، والتأنيث لغيرهم من أهل الحجاز.

أما موقف القرآن الكريم من بعض الألفاظ التي عرضناها، كلفظة السبيل فقد وردت وفق منهجي القبيلتين التميمية والحجازية نحو قوله تعالى: {وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ}[3] على التذكير.

وقوله: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ} [4]. على التأنيث، وإن كانت صيغة التذكير الموافقة لنهج تميم الغالبة من حيث العدد. وذلك لأن هذه اللفظة وردت في القرآن الكريم مائة وسبعا وستين مرة[5].

وما زالت هذه الظاهرة مسموعة في لهجاتنا المعاصرة، ومن ذلك كلمة "السوق" حيث يستخدمها سكان وسط الجزيرة العربية والجزائر مذكرة كما هو الحال عند بني تميم حيث يقولون: "سوق الغلا جلاب"[6]، أي أن غلاء السلعة في السوق يسبب جلبها إليه، وبذلك وردت مذكرة.

والقول بأن تميما مالت إلى التذكير والحجاز مالت إلى التأنيث ليس بالأمر السهل، لأنه ما يكون مسوغا للتذكير عند قوم قد يكون مسوغا للتأنيث عند غيرهم، والسبب في ذلك كما يرى أحد الباحثين المحدثين، أن الساميين القدماء لم يألفوا ظاهرة التفريق بين المذكر والمؤنث، لذلك لما أخذوا يفرقون بين المذكر والمؤنث في عهود تالية حدث

---

(1) المذكر والمؤنث للفراء: 21.

(2) الصحاح (رقق) 371/6، وينظر: المزهر: 225/2، ومعجم لغات القبائل: 127/1.

(3) الحجر: 76.

(4) يوسف: 108.

(5) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد 341 344.

(6) لغة تميم: 502.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

اللبس والخلط في تلك الظاهرة، وهذا الخلط يصور شيئا من نظامها في عصورها السحيقة[1].

ولاشك أن مرجع هذا الخلط والاضطراب يعود إلى عوامل متعددة ومتشابكة وإلى ظروف اجتماعية مختلفة، وقد يكون من أهم العوامل في هذا الاختلاف انتقال اللغة من السلف إلى الخلف، وذلك كفيل بأن يحدث تطورا في الكلمة، حيث أنثت عند قوم وذكرت عند قوم، كما ان بعض الكلمات قد آثرت الانعزال فبقيت على حالها. وهذا ما أشار إليه الفراء بقوله: " إن الصاع يؤنثه أهل الحجاز وأسد وأهل نجد يذكرونه وربما أنثه بعض أسد"[2].

ولعل التطور لم يبلغ مداها في بعض قبائل أسد، حيث لم يصل حد التذكير إلى جميع قبائلها. الشيء الذي يؤكد خلط روايات جامعي اللغة بين الألفاظ الفصيحة والاستعمالات الشعبية التي من المفروض أن تبقى في مكان واضح منعزل عن المعجم العربي حتى تعطينا صورة محددة للهجات هذه القبائل.

وفي الأخير أحب أن أشير إلى أن الثعالبي قد تلقى هذه الألفاظ من كتب اللغة والتفاسير، فاستأنس بها ونقلها دون تعليق عليها.

كما ان قبيلة تميم من القبائل العربية التي أخذت عنها اللغة، وهي مع الحجاز تشكلان قاعدة كبرى للعربية الفصحى. فليس غريبا أن نجد الثعالبي يأخذ بما روي عنها، وعن غيرها من القبائل المشهود لها بالفصاحة[3].

(1) اللهجات العربية في التراث: 643/2.

(2) المذكر والمؤنث للفراء: 27.

(3) لهجة بريكة وصلتها بالفصحى: 136.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ثالثا- القضايا النحوية:

أ- قضية الإعراب والقراءات القرآنية

ب- رأيه في الحرف

جـــ- آراؤه النحوية

د - أسماء الأفعال

هـــ- في التعدي واللزوم

و - حروف الجر ومعانيها

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ثالثاــ القضايا النحوية:

إن هدف الثعالبي من التعرض لبعض القضايا النحوية، هو الإبانة عــن المعــاني النحوية، وتوضيح المشكلات الغامضة، وذلك بذكر ما يكتنف بعض الألفاظ والتراكيب من غموض عن طريق الإعراب والاستعانة بآراء النحاة واللغــويين أمثــال الخليــل وسيبويه، والفراء، والزجاج وغيرهم ممن وردت أسماؤهم في التفسير.

وقد أعرض الثعالبي عن عرض آراء العلماء في المسائل النحوية التي عرضــت له، مكتفيا بالنقل عمن سبقه من المفسرين، حبا للاختصار والاقتصاد في الكلام. فجاءت المسائل التي عرض لها عبارة عن إعراب بعض الألفاظ والجمل دون تحديد للقواعــد التي تحكمها، وقد ورد ذلك في المرفوعات والمنصوبات والمجرورات.

كما أشار الثعالبي إلى التعدي واللزوم، وبين في نصوص مختلفة بأن الفعــل قــد يتعدى بنفسه وتارة يتعدى بحرف الجر، كما تحدث عن أسماء الإشــارة والموصــولة، والظروف والحروف والإضافة والحذف والتمييز والحال، كما ألمح إلــى جملــة مــن المصطلحات النحوية والصرفية.

ونظرا لكثرة الموضوعات والقضايا النحوية التي أشار إليها الثعالبي في تفسيره، أحببت أن أقدم بعض النصوص التي تمثل بعض هــذه الموضــوعات المشــار إليهــا مشفوعة ببعض الملاحظات التي أراها ضرورية للكشف عن منهج المفسر في معالجته لهذه القضايا ومن ذلك.

ونظرا للصلة الوثيقة بين الإعراب والقراءات القرآنية أحببت أن أجمعهما تحــت عنوان واحد من أجل الوقوف على الملامح العامة لمنهج المفســر فــي تناولــه لهــذه الظاهرة.

والعلماء لا يختلفون في اشتراط العلم باللغــة وآدابهــا وعلومهــا، لأن التفســير الصحيح لا يمكن بدونها، ولا شك أن النحو في مقدمتها حيث أنه البديل الأول للســليقة العربية، وسلم الوصول إلى سائر العلوم الأخرى ومنها بقية العلوم العربية، وقــد نقــل السيوطي عن أبي طالب الطبري قوله: "وتمام هذه الشرائط أن يكون ممتلئا مــن عــدة الإعراب، لا يلتبس عليه اختلاف وجوه الكلام فإنه إذا خرج بالبيان عن وضع اللســان إما حقيقة وإما مجازا فتأويله تعطيله، وقد رأيت بعضهم يفسر قول الله تعالى:{قُلْ اللَّهُ ثُمَّ

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ذَرْهُمْ} [1] أنه ملازمة قوله الله ولم يدر الغبي أن هذه جملة حذف منها الخبر والتقدير الله أنزله"[2].

وقد أوجبوا على المفسر الذي يؤدي اختلافه إلى فساد في المعنى يتعلمه ليتوصل إلى معرفة الحكم الصحيح، كما أوجبوه على القارئ ليسلم من اللحن.[3]

فإن من تحقق فيه ذلك له تفسير القرآن كانت تفسيره وتأويله مقبولين مهما كان بشرط أن لا يشذ عن مذهب السلف الصالح في تأويل آيات الذكر الحكيم.

أ ــ قضية الإعراب والقراءات القرآنية

ــ الإعراب:

ويراد به الكشف عن الوظائف النحوية للكلمة من خلال الجملة، والسياق الذي ترد فيه، وقارئ تفسير الثعالبي يقف على نماذج كثيرة منه، ويرى أنه لا يطيل فيما يذكر منه ويعمد إلى الظاهر منه والمحتاج إليه في تحليل النص القرآني فيسوقه بأسلوب واضح بعيد عن التعقيد والتعليلات والاختلافات النحوية التي لا تتصل بتحليل النص أو لا يحتاج إليها في فهمه وتوجيه القراءات القرآنية.

وهذا الصنيع هو المناسب لاعتماد الثعالبي على مدرسة أبي حيان في الإعراب ولثقافة الثعالبي ولمرحلته التي ألف فيها تفسيره، ولاستجلاء ذلك أسوق بعض النماذج التي من خلالها يتضح أسلوب ومنهج المفسر في عرضه لهذه القضية.

ومن ذلك:

ما أشار إليه الثعالبي[4] عند تفسيره قوله تعالى: { **وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا**} [5] قال أبو البقاء[6]: مفعول يأب محذوف أي ولا يأب الشهداء إقامة الشهادة أو تحمل الشهادة و "إذا" ظرف ليأب ويحتمل أن يكون ظرفا للمفعول المحذوف. و"تسأموا" معناه تملوا وقدم الصغير اهتماما به، و"أقسط" معناه أعدل و "أقوم" أي أشد إقامة وقيل أقوم من قام

(1) الأنعام: 91.

(2) الإتقان في علوم القرآن. 175/4.

(3) البرهان، 165/2 ، و الاتقان 189/4.

(4) علامة "م" زيادة الصفاقسي على شيخه أبي حيان، ينظر مقدمة الجواهر الحسان: 40/1، ومقدمة المجيد في إعراب القرآن المجيد للصفاقسي:2/1.

(5) البقرة: 282.

(6) الإملاء لأبو البقاء : 120/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

بمعنى اعتدل، و"أدنى" معناه أقرب، و ترتاب معناه تشكوا، قال ابن هشام "إلى أجله" لا يصح تعلقه "يكتبوه" لاقتضاء استمرار الكتابة. إلى أجل الدين وإنما هو حال أي مستقرأ في الذمة إلى أجله انتهى من المغنى[1].

وقال في قوله تعالى: {وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ} [2]، والتقدير عند سيبويه، والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه، فحذف الخبر من الجملة الأولى لدلالة الثانية عليه، وقيل الضمير في "يرضوه" عائد على المذكور كما قال رؤية[3].

فيها خطوط من سواد وبلق ≅ كأنه في الجلد توليع البهق

أي كان المذكور[4]:

ومما جاء فيه أيضا قال تعالى: {مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ } [5] قال المفسر: موضعها من الإعراب نصب على البدل من "طاب" وهي نكرات لا تتصرف لأنها معدولة وصفة[6].

كما تعرض لإعراب الجمل ومن ذلك ما أشار إليه في قوله تعالى:{أَهْلَكْنَاهَا} [7] جملة في موضع الصفة لقرية، ثم اتبع ذلك بالقاعدة النحوية المشهورة، والجمل بعد النكرات صفات وبعد المعارف أحوال[8].

يتضح مما سبق أن الإعراب في تفسير "الجواهر الحسان" وسيلة من وسائل الإيضاح عن المعاني الوظيفية للكلمات، داخل التراكيب، ولذلك أعرب كثيرا من الكلمات والجمل التي يؤدي إعرابها إلى وضوح المعنى وبيانه، ويزيل اللبس عنه وخصوصا المواضع المشكلة والمواضع التي تتعدد فيها الوجوه تبعا لاحتمالات المعنى.

---

(1) الجواهر الحسان: 278/1، وينظر: المغني: 232/1.

(2) التوبة: 62.

(3) مجموع أشعار العرب: 140.

(4) الجواهر الحسان: 183/2.

(5) النساء : 3.

(6) الجواهر الحسان: 414/1.

(7) من قوله تعالى: " ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها" الأنبياء: 6.

(8) الجواهر الحسان: 76/3.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

فهو عنده نموذج من الإعراب التطبيقي الذي لا يقوم على المسلك الفكري النظري. فهو يجدد ولا يفلسف، بل يلتزم بضبط النص وإزالة غموضه، الأمر الذي يؤدي إلى فهم اللغة فهما صحيحا والتي تمكن من التعبير عن الأغراض بوضوح.

ـ القراءات القرآنية:

من الأسس التي يقوم عليها منهج الثعالبي في التفسير، اهتمامه البالغ بذكر القراءات المختلفة التي يرتبط بها معنى الآية فيتغير بتغيرها أو يتعلق بها اختلاف الآراء في الإعراب.

كما يتجه الثعالبي إلى العناية بالجانب النحوي، فيورد الأراء النحوية المختلفة في إعراب كلمة من الكلمات، إعرابا يعين على بيان المعاني المكنونة في كتاب الله تعالى، وفي ثنايا عرضه للآراء الإعرابية المختلفة بوجهها ويناقشها تمهيدا لاختبار الرأي الاعرابي الذي يفضله ويراه صحيحا مناسبا لمعنى الآية. وكمثال على هذا الأساس في منهجه نعرض المثال التالي من تفسيره لقوله تعالى:{ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (95) دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } [1].

ـ قال المفسر في إعراب كلمة "غير" أولى الضرر.

اختلف القراء في إعراب "غير" فقرئ رفعا ونصبا، وهما في السبعة[2] وقرىء بالجر في غير السبعة، وهي قراءة "أبي حيوة".

فأما قراءة النصب: فعلى الاستثناء، لأن "غير" يعرب في الاستثناء إعراب الاسم الواقع بعد "إلا" وهو النصب، هذا هو الصحيح[3].

---

(1) النساء : 95

(2) الإعراب للنحاس، وجامع البيان، والبحر المحيط، معجم القراءات القرآنية: 156/2.

(3) المغنى 137/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وقالت طائفة: إعرابها نصب على الحال، أي لا يستوي القاعدون غير مضرورين، أي لا يستوون في حال صحتهم هم والمجاهدون، والاستثناء أصح فإن "غير" لا تكاد تقع حالا في كلامهم إلا مضافة إلى نكرة.

نحو قوله تعالى: {فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ}وقوله أيضا: {أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ }.[1]

وأما إذا أضيفت إلى المعرفة فاعلم أن حكم كل مضاف إلى معرفة أن يكون معرفة، وإنما تنكرت غير ومثل مع إضافتهما إلى المعارف من أجل معناهما وذلك إذا قلت رأيت غيرك، فكل شيء سوى المخاطب فهو غيره وكذلك إذا قلت رأيت مثلك فما هو مثله لا يحصى لكثرة وجوه المماثلة[2].

وأما بالرفع فعلى النعت للقاعدين وهذا هو المشهور.

وقالت طائفة: هو خبر لمبتدأ محذوف تقديره: الذين هم غير أولي الضرر والذي حملهم على ذلك ظنهم بأن " غير" لا تقبل التعريف بالإضافة وحجتهم في ذلك أن "غير" مبهمة فلا تتعرف بما يضاف إليها.

وهي حجة يمكن ردها بأن "غير" إذا دخلت بين متقابلين زال إبهامها لتعيينها ما تضاف إليه.

وأما قراءة الجر فهي على وجهين: أحدهما وهو الصحيح حيث أعربت نعتا للمؤمنين.

والثاني: وهو قول المبرد: أنه بدل منه، بناء على أنه نكرة فلا ينعت به المعرفة.

ومهما قيل فإن غير أفادت معنى الاستثناء، وأن نفي المساواة غير مسلط على ما أضيفت إليه.

وما قوله: {فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً} إلا مبين لمعنى نفي المساواة، والمعنى: فضل الله المجاهدين على القاعدين من أولي الضرر درجة واحدة، لامتيازهم عنهم بالجهاد بأنفسهم وأموالهم، ثم أخبر سبحانه أن الفريقين

(1) المائدة: 01.

(2) الجواهر الحسان: 40/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

كليهما موعود بالحسنى فقال: {وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى}.} أي المجاهد والقاعد المضرور لاشتراكهم في الإيمان.

ـ ومن النماذج الواردة في تفسيره قوله تعالى: {أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ} [1]. قال المفسر[2]: (لم يكد يرها) لفظ يقتضي المبالغة في الظلمة.

فالظلمات: ظلمة البحر اللجي، وظلمة الموج الذي فوقه، وظلمة السحاب فوق ذلك كله، إذا أخرج من في هذا البحر يده لم يكد يراها.

هذا الظلام المتراكب المتكاثف قرينة على أن المعنى الأنسب والدلالة الأظهر فهو نفي للرؤية بطريق أكد كما لا يخفى[3]. وهذه من المسائل التي كانت محل خلاف بين العلماء.

فذهب كثير من النحاة. إلى أن نفي المقاربة رؤيتها، وهو أبلغ من نفيه الرؤية وأنه قد ينفي وقوع الشيء، ولا ينفي مقاربته، فكأنه قال: لم يقارب رؤيتها بوجه.

وحجتهم في ذلك أن "كاد" من أفعال المقاربة لها حكم سائر الأفعال في النفي والاثبات، فإذا قيل: كاد يفعل فهو إثبات مقاربة الفعل، فإذا قيل: لم يكد يفعل، فهو نفي لمقاربة الفعل.

وذهبت طائفة أخرى: بل هذا دال على أنه إنما يراها بعد جهد شديد وفي ذلك إثبات رؤيتها بعد أعظم العسر، لأجل تلك الظلمات. ودليلهم في ذلك: أن "كاد" لها شأن ليس لغيرها من الأفعال فإنها إذا أثبتت نفت، وإذا نفت أثبتت. فإذا قلت: ما كدت أصل إليك، فمعناه وصلت إليك بعد الجهد والمشقة، فهذا إثبات للوصول، وإذا قلت: كاد زيد يقوم فهي نفي لقيامه، كما قال تعالى: {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا}. ومنه أيضا: {وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ }[4].

---

(1) النور: 40

(2) الجواهر الحسان: 189/3.

(3) الكشاف: 69/2، والبحر المحيط: 462/6.

(4) القلم: 51.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وقالت فرقة ثالثة[1]: إن استعمالها مثبتة يقتضي نفي خبرها، كقولك: كان زيد يقوم، واستعمالها منفية يقتضي نفيه بطريق الأولى، فهي عندهم تنفي الخبر، سواء كانت منفية أو مثبتة، فلم يكد زيد يقوم أبلغ عندهم في النفي من "لم يقم".

وحجتهم في ذلك. أنها إذا نفت وهي من أفعال المقاربة، فقد نفت مقاربة الفعل، وهو أبلغ من نفيه، وإذا استعملت مثبتة فهي تقضي مقاربة اسمها لخبرها وذلك دال على عدم وقوعه.

غير أن هذه الحجة قد تقف في طريقها بعض النصوص ومنه قوله تعالى: {فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ}. [2]

وذهبت فرقة رابعة[3]: إلى الفرق بين ماضيها ومستقبلها، فإذا كانت في الإثبات فهي لمقاربة الفعل، سواء بصيغة الماضي أو المستقبل. وإن كانت في طرف النفي: فإذا كانت بصيغة المستقبل كانت لنفي ومقاربته نحو قوله تعالى: { لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا}. وإن كانت بصيغة الماضي فهي تقتضي الإثبات: نحو قوله تعالى {فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ}.

هذه أربع طرق للنحاة في هذه اللفظة.

والأشهر وهو ما ذهب إليه المفسر[4] أنها فعل يقتضي المقاربة.

ومن المسائل التي استرعت اهتمام المفسر والتي دار حولها خلاف كبير بين القراء والنحاة قوله تعالى: {إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ} [5] والشاهد في الآية الكريمة قوله: "هذان" إذ ورد اسم الإشارة مرفوعا بالألف وهو في موضع نصب بإن على قراءة من قرأ الحرف المشبه مشددة، وهذه القراءة تقف في طريقها القاعدة النحوية المشهورة التي توجب نصب الاسم إذ كان مسبوقا بإن أو إحدى أخواتها، ولذلك تأولها النحاة.

(1) همع الهوامع: 132/1، ينظر: كاد في الذكر الحكيم: 13.

(2) البقرة /71

(3) شرح الرضى على الكافية: 306/2، ينظر: كاد في الذكر الحكيم: 14.

(4) الجواهر الحسان: 189/3.

(5) من قوله تعالى: "قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما" طه: 63.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ومفاد هذا التأويل، أن القراء[1] قد أجمعوا على تشديد النون في "إن" واثبات الألف في اسم الإشارة "هذان" غير أن ابن كثير وحفصا قرأها بالتخفيف (إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ) وقرأ أبو عمر (إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ).

والذي يهمنا في هذه القراءات، ما ورد عن الجمهور بتشديد النون في "إن" وإثبات الألف في "هذان" وهي مجال بحثنا. وإليك بيان ذلك:

1 ــ ذهب فريق من النحاة إلى أن "إن" بمعنى نعم، ومن الذين أجازوا ذلك سيبويه، وإن كان لم يتعرض إلى مضمون الآية صراحة وإنما أشار إلى ما يفيد ذلك في الكتاب حين قال: " وأما العرب في الجواب "إنه" فهو بمنزلة أجل[2]، وإذا وصلت قلت إن يافتى وهي بمنزلة أجل. وخير ما نورده في هذا المجال قول الدكتور أحمد مكي الأنصاري: " وإنصافا للحقيقة نقول: إن سيبويه وقف في الآية موقف المساندة والدعم للقراءات السبعة، فأجاز التخفيف، وهي قراءة حفص، كما أجاز قراءة التشديد وهي قراءة الجمهور، وفي كلتا الحالتين لم يذكر الآية وإنما ذكر ما ينطبق على الآيتين"[3].

كما وجدنا النحاس ينسب هذا الرأي إلى إمام نحاة الكوفة الكسائي فقال: حكى الكسائي عن عاصم قال: "العرب تأتي بإن بمعنى نعم"[4].

أما المبرد فقد أنكر قول النحاة الذين خرجوا الآية الكريمة على لغة بني الحارث، وقال: "أولى الأمور بأن المشددة أن يكون هاهنا بمعنى نعم"[5]. ومن الذين نهجوا هذا النهج من البصريين الأخفش الصغير[6].

واستدل هؤلاء على ما ذهبوا إليه بما ورد في الشعر والنثر، ومن ذلك قول الشاعر[7]:

قالوا غدرت فقلت إن ربما ≅ نال العلى وشفى الغليل الغادر

---

(1) الجواهر الحسان: 50/3 51 ، وينظر: الحجة في القراءات السبع: 242.

(2) الكتاب: 274/1 275 ، الجواهر الحسان: 51/3.

(3) دفاع عن القرآن: 67.

(4) إعراب القرآن للنحاس: 343/2.

(5) الحجة لابن خالويه: 243.

(6) إعراب القرآن للنحاس: 345/2.

(7) شرح المفصل: 130/3.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

أي: فقلت نعم.

ومن النثر قوله ρ:

"إِنَّ الحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ ثم يقول: أَنَا أَفْصَحُ قُرَيْشٍ كُلِّهَا وَأَفْصَحُهَا بَعْدِي أَبَّانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ العَاص"[1].

كما ورد عن العرب أن ابن الزبير التقى بأعرابي فقال له: ناقتي حملتني إليك، فقال ابن الزبير: " إن وراكبها"[2]. أراد نعم وراكبها. إذ كان التأويل الأول جعل الحرف "إن" بمعنى نعم"، فإن الفريق الثاني قد ذهب مذهبا مغايرا بجعله الهاء مضمرة في "إن" وجملة هذان لساحران في موضع رفع خبرها، والتقدير على هذا الوجه: "إنه هذان لساحران".

إذ أجاز سيبويه حذف الضمير من إن المشددة وقد ورد ذلك في الكتاب حين قال: وروى الخليل أن ناسا يقولون: "إن بك زيد مأخوذ"[3].وكأن سيبويه أراد أن يخرج الآية الكريمة على هذا النوع من الحذف.

وقد جاراه الزجاج[4] بقوله: "الهاء هاهنا مضمرة، والمعنى "إن هذان لساحران".

ومن التأويلات الواردة في الآية الكريمة ما أورده بعض العلماء من أن اللام مقترنة بالمبتدأ المحذوف والهاء مضمرة في إن، وعلى ذلك فتقدير الآية: " إنه هذان لهما ساحران".

وهذا مذهب كل من المبرد[5]، والزجاج[6]، والذي دفع بهذا الأخير إلى مجاراة المبرد في هذا التأويل، أنه لا يجيز دخول اللام في الخبر وهاهو قوله يشرح ذلك: "وأما قوله: "إن هذان لساحران" في من أضمر، لأنه لو جعل إن لمعنى نعم فإنه قد أدخل الكلام على خبر المبتدأ، لأن هذان ابتداء، واللام لا تدخل على خبر المبتدأ، وإنما تدخل على المبتدأ وإدخالها على الخبر شاذ.

(1) الجامع لأحكام القرآن 218/11، وإعراب القرآن للنحاس: 344/2.

(2) الحجة ابن خالويه: 243.

(3) الكتاب: 281/1.

(4) إعراب القرآن للنحاس 346/2، والجامع لأحكام القرآن: 219/11.

(5) البحر المحيط: 255/6.

(6) إعراب القرآن للزجاج 770/2.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ومن جملة التأويلات الواردة في هذه الآية، إن الألف الأصلية في هذا، اجتمعت معه ألف التثنية وهذا من شأنه التقاء الساكنين فمن حذف ألف التثنية وأبقى الألف الأصلية، جعل اسم الإشارة "هذان" على صيغة واحدة لا تتغير في النصب والرفع والجر"[1].

وكأني بأصحاب هذا الرأي أن جعلوا "هذان" في محل نصب اسم إن مع لزومها الألف الأصلية، لأن اسم الإشارة يلزم حالة واحدة وإلى هذا أشار ابن فارس بقوله: " إن هذا اسم منهوك ونهكه أنه على حرفين، أحدهما حرف علة وهي الألف، و"ها" كلمة تنبيه ليست من الاسم في شيء، فلما ثني احتيج إلى ألف التثنية، فلم يوصل إليها لسكون الألف الأصلية، واحتيج إلى حذف إحداهما فقالوا: إن حذفنا الألف الأصلية بقي الاسم على حرف واحد، وإن أسقطنا ألف التثنية كان في النون منها عوض، ودلالة على معنى التثنية، فحذفوا ألف التثنية، فلما كانت الألف الباقية هي ألف الاسم، واحتاجوا إلى إعراب التثنية لم يغيروا الألف عن صورتها، لأن الإعراب واختلافه في التثنية والجمع إنما يقع على الحرف الذي هو علامة التثنية والجمع فتركوها على حالها في النصب والخفض"[2].

ومن التأويلات الواردة في الآية الكريمة أنهم أجروا اسم الإشارة المثنى مجرى المفرد لأن الإعراب لا يظهر في المفرد والمثنى.

ومن العلماء الذين قالوا بذلك ابن كيسان: "القول عندي أنه لما كان يقول: " في موضع النصب، والرفع والخفض على حال واحدة، وكانت التثنية يجب ألا يغير لها الواحد، أجريت التثنية مجرى الواحد"[3].

ومن العلماء المعاصرين الذين أدلوا بدلوهم في هذه المسألة الدكتور ابراهيم مصطفى[4] ومذهبه أن اسم مسند إليه، وهو مرفوع في الأصل لأنه متحدث عنه كما ورد في هذه القراءة (إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ). بتشديد إن.

---

(1) شرح شذور الذهب: 49.

(2) الصاحبي في فقه اللغة: 50.

(3) إعراب القرآن للنحاس 346/2، والجامع لأحكام القرآن 219/11.

(4) إحياء النحو: 64.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام ما ذهب إليه جمع غفير من النحاة، من أن الآية الكريمة وردت على لغة بني الحارث بن كعب، وغيرها من القبائل العربية التي تلتزم الألف في المثنى في جميع أحوالها في الرفع والنصب والخفض.

فهذا النحاس ينقل لنا عن الكسائي أن قراءة من شدد النون في "إن" وأبقى الألف في "هذان" على لغة بني الحارث بن كعب[1]، وهو نفي المذهب الذي ارتضاه الفراء حيث قال: "وقوله: "إن هذان لساحران" قد اختلف فيه القراء، فقال بعضهم هو لحن، ولكنا نمضي عليه لئلا نخالف الكتاب، فقراءتنا بتشديد إن وبالألف على جهتين:

إحداهما على لغة بني الحارث بن كعب، يجعلون الاثنين في رفعهما ونصبهما وخفضهما بالألف"[2].

وقد ارتضى هذا التوجيه كل من الطبري[3]، وأبو زيد الانصاري[4] وابن خالويه[5] وأبو علي الفارسي[6].

أما ابن يعيش فقد ذهب إلى إثبات الألف في المثنى في الرفع والنصب والخفض ليس خاصا باسم الإشارة، وإنما هو عام يشمل كل اسم جاء في صيغة المثنى، وهي لغة بني الحارث وبطون من ربيعة[7].

وقد استحسن هذا التوجيه كل من ابن هشام[8]، وأبو حيان[9]، والسيوطي[10]، والأشموني[11].

وانطلاقا لما ورد في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكلام العرب شعره

---

(1) إعراب القرآن للنحاس: 345/2.

(2) معاني القرآن للفراء: 183/2.

(3) جامع البيان: 182/16.

(4) إعراب القرآن للنحاس: 246/2.

(5) الحجة لابن خالويه: 242.

(6) إعراب القرآن للزجاج: 204/1، وينظر: الخصائص: 240/2.

(7) شرح المفصل: 128/3.

(8) شرح شذور الذهب 46 47.

(9) البحر المحيط 255/6.

(10) همع الهوامع: 40/1.

(11) شرح الأشموني: 59/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ونثره، نميل إلى أن هذه الآية الكريمة قد وردت على لغة بني الحارث[1]. استنادا إلى ما ورد في كتب النحو من أمثلة تدل كلها على اختلاف النحاة، ويمكن إرجاع أغلبها إلى اختلاف اللهجات العربية القديمة. وما يتبع ذلك من اختلاف في أنواع التراكيب العربية.

ويظهر أن النحاة العرب لم يفرقوا في الغالب بين مستوى العربية المشتركة ولهجاتها المختلفة من ناحية، ولا بين هذه اللهجات من ناحية أخرى في استمباط القواعد النحوية.

الشيء الذي يفسر لنا الشذوذ والاضطراب اللذين تغص بهما كتب النحو.

ومن النصوص المؤيدة لهذا الترجيح من القرآن قوله تعالى: {إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ} بتشديد إن.

ومن الحديث النبوي الشريف قوله ρ.

"إِنِّي وَإِيَّاكَ وَهَذَانِ وَهَذَا الرَّاقِدُ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ"[2]. فقد ورد اسم الإشارة "هذان" مرفوعا بالألف وكان حقه النصب، فثبوت الألف فيه لغة بني الحارث[3]. وذلك لأنه معطوف على الضمير المنصوب في إياك.

ومما ورد في كلام العرب قول رجل أسدي: "وهذا خط يدا أخي بعينه"[4] وكان من حقه أن يقول: هذا خط يدي أخي يجر يدي باعتباره مضاف إليه.

أما ما ورد في الشعر فهو كثير ومن ذلك قول الشاعر:

تزود منا بين أذناه ضربة ≅ دعته إلى هابتي التراب عقيم[5]

والشاهد في البيت قوله بين أذناه، والتقدير بين أذنيه وفقا للقاعدة النحوية.

ومنه قول الشاعر أيضا:

إن أباها وأبا أباها ≅ قد بلغا في المجد غايتاها[6].

(1) بحثنا الموسوم بعنوان اللهجات العربية في الجمهرة لإبن دريد دراسة لغوية: 109.

(2) مسند الإمام أحمد 101/1.

(3) إعراب الحديث النبوي 155 156.

(4) معاني القرآن 183/2.

(5) الجمهرة لابن دريد 323/2.

(6) همع الهوامع: 128/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

والشاهد فيه قوله :" أباها" فحقه أبيها باعتبار الإضافة وكذا غايتاها فأصلها غايتيها، غير أن الشاعر أورد ذلك على لغة بني الحارث.

ومما تقدم يمكن الإشارة إلى أن هذه الظاهرة كانت منتشرة في كثير من أنحاء الجزيرة العربية.

هذا وقد حاول ابن جني أن يجد لنا سببا مقنعا في التزام بني الحارث بن كعب ومن على شاكلتها لهذه الألف، فتوصل إلى أنهم راعوا لغة غيرهم ممن يقولها بالياء في حالتي النصب والجر[1].

كما يمكن تفسير هذه الظاهرة وفق قانون السهولة وذلك بانكماش الصوت المركب "آي" فيحول إلى كسرة طويلة ممالة كالذي نلحظه في نطق المثنى في عاميتنا المصرية مثل ولدين من ولدين ثم تحولت هذه الكسرة الطويلة الممالة إلى فتحة طويلة[2].

ب ــ رأيه في الحرف:

ثم تفيد الترتيب:

نحا الثعالبي منحى القائلين: إن (ثم) تفيد الترتيب وذلك أثناء حديثه عن قوله تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ}[3] حيث قال: (ثم) هنا لترتيب الأخبار، لا لترتيب الأمر في النفس.

وهو في هذا يكون قد أخذ برأي جمهور النحاة[4] الذين قالوا بذلك خلافا لقطرب[5] الذي ذهب إلى عدم إفادتها ذلك، في حين ذهب الفراء[6] إلى أنها لترتيب الأمر بنفسه كالفاء.

وعلى ذلك فاستواء الله إلى السماء لا يلزم أن يكون بعد خلق الأرض وما فيها، وإنما يمكن أن يكون كل منهما قبل الآخر أو بعده على السواء.

وبذلك فالآية تقتضي أن الأرض وما فيها خلق قبل السماء[7].

---

(1) الخصائص: 14/2.

(2) لغة تميم: 547، وانظر : اللهجات العربية في الجمهرة لابن دريد: 110.

(3) البقرة: 29، الجواهر الحسان: 59/1.

(4) الكتاب: 291/1، المغنى: 126/1.

(5) همع الهوامع: 131/2.

(6) المرجع السابق: 131/2.

(7) الجواهر الحسان: 59/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

كلا تفيد الزجر:

يرى الثعالبي أن كلا تفيد الزجر وهو معنى ملازم لها وذلك عند الحديث عن قوله تعالى: {كَلَا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا}[1].

وهو في ذلك يأخذ برأي البصريين[2]، أما الكوفيين فيرون أنها حرف جواب، أو أنها بمعنى حقا، ولهذا لم يجيزوا الوقف عليها[3].

هل بمعنى قد:

عرض الثعالبي لهذه المسألة عند حديثه عن قوله تعالى: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا}[4].

فقال: هل في كلام العرب تأتي بمعنى قد، ونسب ذلك إلى سيبويه[5]، وهو مذهب الفراء[6]، وأبو عبيدة[7].

فالثعالبي قد أخذ بمذهب كثير من النحاة، ولم يخالف في ذلك سوى أبي حيان[8] وابن هشام[9].

وسياق الآية يفيد تحقق وقوع هذا الإتيان، ولا يفيد الاستفهام عن وقوعه.

تعاقب (هذا وذلك) في الإشارة:

من المسائل النحوية التي تعرض لها الثعالبي في تفسيره، تعاقب (هذا وذلك) في الإشارة وذهب إلى أنه يجوز وقوع هذا موقع ذلك، كما أجاز العكس، وذلك عندما تحدث عن قوله تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ}[10].

---

(1) مريم: 79، الجواهر الحسان: 30/3.

(2) الكتاب: 235/4، المغنى: 200/1.

(3) همع الهوامع: 74/2، 75.

(4) الانسان: 1، الجواهر الحسان: 527/4.

(5) الكتاب: 189/3.

(6) معاني القرآن للفراء: 213/3.

(7) مجاز القرآن: 279/2.

(8) البحر المحيط: 393/8.

(9) مغني اللبيب: 15/2، وهمع الهوامع: 71/2.

(10) البقرة: 2، الجواهر الحسان: 45/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

قال المفسر: وذلك قد تستعمل في الإشارة إلى حاضر وإن كان موضوعا للإشارة إلى غائب.

وهذا قول أبي عبيدة[1]، والفراء[2].

وإذا كانت هذه المسألة محل خلاف بين العلماء بدليل قول المفسر "واختلف في ذلك" فإننا نجده ينحى منحى القرطبي[3] الذي استحسن رأي الفراء وذلك لوجود أدلة تعزز ما ذهب إليه، قال تعالى: {ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}[4] أي هذا فالإشارة إليه تعالى وهو القريب.

ومنه قوله تعالى: {ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ}[5].

ذلك إشارة إلى ما تقدم من الأنباء.

وفيه أيضا: قوله تعالى: { فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ}[6].

والمعنى فهذا الذي لمتني فيه، إشارة إلى يوسف وهو حاضر بينهن.

جـ ـ آراؤه النحوية:

لقد أورد الثعالبي في تفسيره جملة من المسائل النحوية، وضح فيها مذاهب وآراء النحاة المختلفة في تلك المسائل، وتباينهم في أوجه الإعراب. ولعل الهدف من ذلك توضيح مدلولات الألفاظ والكشف عن معانيها وما دلت عليه من أحكام.

ومن الملاحظات التي ينبغي التذكير بها أن الثعالبي لم يكن له رأي جديد تفرد به، وإنما كانت آراؤه قائمة على تصحيح، آراء الآخرين، أو تضعيفها أو اختيار ما يراه مناسبا وصحيحا.

ورغم اعتماده على النقل إلى أن شخصيته كانت واضحة المعالم، فهو إذا ما اختار رأيا أو ضعف آخر فإنه يعزز ذلك بالأدلة والبراهين ومن ذلك الأخذ برأي

(1) مجاز القرآن: 28/1.

(2) معاني القرآن للفراء: 10/1، 11.

(3) الجامع لأحكام القرآن: 157/1.

(4) السجدة: 6. والجواهر الحسان : 334/3.

(5) آل عمران: 58، والجواهر الحسان: 327/1.

(6) يوسف: 43، الجواهر الحسان: 319/2.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

سيبويه في قوله تعالى: {وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا}[1] قال المفسر اختلف النحاة في إعراب الآية فذهب سيبويه رحمه الله تعالى أن الضمير في أسروا فاعل وأن الذين بدل منه، وقال ليس في القرآن لغة من قال أكلوني البراغيث[2] وهذا خلافا لرأي الفراء[3] والأخفش[4] إذ جعلا (الذين) فاعل للفعل أسر.

وكانت للثعالبي عناية بالخلاف[5] النحوي، ومن ذلك ما ذكره في اختلافهم في تحديد جواب (إذا) في قوله تعالى: {حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ}[6].

قال المفسر: تحتمل حتى في هذه الآية أن تتعلق بيرجعون، وتحتمل أن تكون حرف ابتداء، وهو الأظهر بسبب إذا لأنها تقتضي جوابا واختلف هنا في الجواب، والذي أقول به أن الجواب في قوله: "فإذا هي شاخصة"[7] وهذا هو المعنى الذي قصد ذكره وهو مذهب الكسائي[8]. وهذا خلافا لما ذهب إليه الزجاج[9] وسيبويه[10] والمبرد[11]، حيث قالوا بأن الجواب محذوف تقديره (يا ويلنا). والأراء التي اعتمدها كثيرة لها صلة بمسائل نحوية أوردها في تفسيره، وسأتتبع هذه الآراء مشفوعة بأمثلة تطبيقية تكشف عن مدى معرفة الثعالبي بأسرار اللغة العربية وقواعدها.

(1) الأنبياء: 3، والجواهر الحسان: 75/3.
(2) الكتاب: 240/1.
(3) معاني القرآن للفراء: 198/2.
(4) الجامع لأحكام القرآن: 258/11.
(5) الجواهر الحسان: 33/1 63 51 .
(6) الأنبياء: 96، الجواهر الحسان: 100/3.
(7) الأنبياء: 97.
(8) البيان في إعراب غريب القرآن: 166/2.
(9) البحر المحيط: 339/6.
(10) الكتاب: 103/3.
(11) المقتضب: 81/2.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

د ــ أسماء الأفعال:

عرف النحاة اسم الفعل بأنه ما ناب عن فعله غير متأثر بعامل كهيهات بمعنى بعد، وصه بمعنى اسكت، وإلي بمعنى ابتعد، وهاك بمعنى خذ، وغيرها كثير[1].

وقد قسم اسم الفعل إلى مرتجل وهو ما وضع من أول وهلة لينوب عن فعل مثل أف ومه، وغير مرتجل وهو ما استعمل في غير اسم الفعل ثم نقل إليه كقولك: عليك بالصدق، أي التزم الصدق ومكانك أي: أثبت أو ما عدل به عن صيغة الأمر كنزال وحذار إذ أصلهما أنزل واحذر[2].

والمنقول والمعدول به لا يأتيان إلا للأمر بخلاف المرتجل فإنه يكون للأمر وهو الشائع، وللماضي مثل: "شتان" أي: افترق، أو للمضارع نحو "وي" بمعنى أعجب، ومعنى ذلك أن المرتجل سماعي يؤخذ بالنقل، أما المعدول به فهو قياس يصاغ على وزن "فعال" من الفعل المجرد التام المتصرف، كنزال وحذار ، وقد يأتي شذوذا من مزيد الثلاثي مثل " دراك" من "إدرك" و"بدار" من "بادر" وهما رباعيان[3] وقد أشار الثعالبي أثناء تفسيره وشرحه لبعض الألفاظ إلى ما يتعلق ببعض أسماء الأفعال ومنها "هلم" [4] معناها هات، وهي حينئذ متعدية، وقد تكون بمعنى أقبل فلا تتعدى وبعض العرب يجعلها اسم فعل، كرويدك، وبعضهم يجعلها فعلا، ومعنى الآية قال هاتوا شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم ما زعمتم تحريمه[5].

أما إذا عدنا إلى كتب التراث اللغوي لاستقصاء أمر هذا اللفظة وجدنا ابن دريد يقول: "هلم" كلمة دعوة إلى شيء، وهي مركبة من كلمتين جعلتا كملة واحدة، كأنهم أرادوا أهل، أي: أقبل، وأم أي: أقصد، ويقال هلم يا رجل، وهلما يا رجلان وهلموا يا رجال، وهلمي يا أمرأة، وهلممن يا نساء[6].

---

(1) الكتاب: 241/1، والجامع الصغير في النحو: 148، والتطبيق النحوي: 56.

(2) التطبيق النحوي: 57.

(3) الكتاب: 242/1 253.

(4) من قوله تعالى: (هلم إلينا) الأحزاب 18.

(5) الجواهر الحسان: 687/1.

(6) الجمهرة (لمه) 175/3.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

فهي على هذا الأساس كلمة حملت على التصريف عند بعض القبائل العربية وما يؤيد ذلك قول الأزهري "هلم" كملة لا تتصرف المفرد والمثنى والجمع والمؤنث والمذكر فيها واحد. إلا في لغة بني سعد فإنهم يحملونها على التصريف[1].

فإذا كان بنو سعد يحملون "هلم" على التصريف فإن القرآن الكريم نزل بعدم تصريفها كقوله تعالى: { هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ}[2].

ويرى الزجاج أن "هلم" فتحت لأنها مدغمة "كرد" في صيغة الأمر عند بعض القبائل العربية ومايؤيد ذلك قول الأزهري "هلم" كلمه لا تتصرف فالمفرد والمثنى والجمع والمؤنث والمذكر فيها واحد، إلا في لغة بني سعد فإنهم يحملونها على التصريف.

فإذا كان بنو سعد يحملون "هلم" على التصريف فإن القرآن الكريم نزل بعدم تصريفها كقوله تعالى: { هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ}.

ويرى الزجاج أن "هلم" فتحت لأنها مدغمة "كرد" في صيغة الأمر ولا يجوز فيها ضم الميم لأنها غير متصرفة، ويجوز ضم دال رد لأنها متصرفة فيقال رد[3].

كما تابع صاحب التهذيب حديثه عن "هلم" فنراه يروي لنا نصا عن الفراء مفاده: بنو تميم يجعلون "هلم" صحيحا ويجعلون الهاء زائدة فيقولون هلم يا رجل، والاثنين هلما يا رجلان، وللنساء هلممن لأن المعنى لممن والهاء زائدة"[4].

وخلاصة القول: أن تميما تجعل"هلم" فعلا فيقولون: هلم وهلما وهلموا وهلمن، أما أهل الحجاز فيجعلونا اسما واحدا، كما أن استعمال هلم في لفظ واحد ورد عند عقيل وقيس وإلحاق الضمائر بها لغة تميم[5].

ومنه (مَكَانَكُم) [6] اسم فعل أمر، ومعناه قفوا واسكتوا.

---

(1) التهذيب (هلم) 223/2.

(2) الأنعام: 150.

(3) التهذيب (رد) 317/6.

(4) المرجع نفسه: 317/6.

(5) معجم لغات القبائل 70/2.

(6) من قوله تعالى: (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم) يونس 28.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

زاد الثعالبي عن الصفاقسي: "وقدر بأثبتوا، وأما من قدره بألزموا مكانكم فمردود لأن ألزموا متعد ومكانكم لا يتعدى فلا يقدر به وإلا لكان متعديا، واسم الفعل على حسب الفعل إن متعديا فمتعد وإن لازما فلازم، ثم اعتذر بأنه يمكن أن يكون تقديره بالزموا تقدير معنى لا تقدير إعراب فلا اعتراض[1]. ومنه **(هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ)** [2] بمعنى بعد، وهيهات أحيانا تلي الفاعل دون لام تقول: هيهات مجيء زيد أي بعد ذلك ومنه قول جرير:

فهيهات هيهات العقيق ومه به ≅ وهيهات خل بالعقيق نواصله[3]

وأحيانا يكون الفاعل محذوفا، وذلك عند وجود اللام كهذه الآية التقدير بعد الوجود (لما توعدون) قال الثعالبي: قال الصفاقسي: "ورد بأن فيه حذف الفاعل وحذف المصدر وهو الوجود وذلك غير جائز عند البصريين، وذكر أبو البقاء أن اللام زائدة و (ما) فاعل أي: بعدما توعدون: قال أبو حيان هذا تفسير معنى لا إعراب لأنه لم تثبت مصدرية (هيهات) [4].

ومن الملاحظات التي يمكن ذكرها هاهنا، أن الثعالبي أورد مجموعة من أسماء الأفعال التي استعملتها العرب في لغتها مع توثيق ذلك بالشواهد اللغوية.

هـ ـ التعدي واللزوم:

لقد حمل الثعالبي على ذلك جملة من الأفعال المتعدية واللازمة، وكان ينص عليها ويشير إلى وسائل تعديتها وما تتعدى إليه ومما جاء منها:

قال تعالى: (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم) [5].

فـ (ينظرون) معناه ينتظرون، ونظر متى كانت من رؤية العين فإنما تعديها

(1) الجواهر الحسان: 235/2.

(2) من قوله تعالى: (هيهات هيهات لما توعدون) المؤمنون: 36.

(3) الديوان: 170.

(4) الجواهر الحسان: 147/3 148.

(5) النحل: 33.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

العرب بإلى ومتى لم تتعد بإلى فهي بمعنى أنتظر[1]، ومنها قوله تعالى: {انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ}(□).

ومنه ما ذكره في قوله تعالى: {أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ}[3] نقلا عن الصفاقسي (كهيئة) الهيئة: الشكل والصورة وهو مصدر هاء الشيء يهيء هيئة وهيأ إذ ترتب واستقر على حال ما، وتعديه بالتضعيف[4]، قال تعالى: {وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا}[5].

وفيه "فآمن له لوط"[6] معناه صدق، وآمن يتعدى باللام والباء[7].

ومنه "فأجاءها"[8] معناه أضطرها وهو تعدية جاء بالهمزة[9].

ومنه {أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا}[10] معناه أو لتصيرن، وعاد في كلام العرب على وجهين: أحدهما، عاد الشيء إلى حال قد كان فيها قبل ذلك، وهي على هذا الوجه لا تتعدى فإن عديت فبحرف.

ومنه قول الشاعر:

ألا ليت أيام الشباب جديد ≅ وعمرا تولى يا بثينة يعود

ومنه قوله تعالى: {وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ}.[11]

الوجه الثاني: أن تكون بمعنى صار وعاملة عملها ولا تتضمن أن الحال قد كانت متقدمة ومنه قول الشاعر:

تلك المكارم لا قبعان من لبن ≅ شيبا بماء فعادا بعد أبوال[1]

---

(1) الجواهر الحسان: 424/2.

(2) الحديد: 13.

(3) آل عمران: 49.

(4) الجواهر الحسان: 322/1.

(5) الكهف: 16

(6) العنكبوت: 26 .

(7) الجواهر الحسان: 296/3.

(8) من قوله تعالى: (فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة) مريم: 23.

(9) الجواهر الحسان: 11/3.

(10) الأعراف: 88.

(11) الأنعام 28

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ومنه : (لَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ)[2] وعن أبي حيان: (ولا تبخسوا) متعد إلى مفعولين تقول بخست زيدا حقه، أي نقصته إياه[3].

ومن الملاحظات الجديرة بالإشارة أن الثعالبي لم يكتف بعرض الأفعال وإنما كان يوثق كلامه بالشواهد المختلفة ليقوي رأيه، ولاسيما القرآن الكريم والشعر العربي.

و ــ معاني حروف الجر:

تعد حروف الجر من العناصر الأساسية في التركيب النحوي، فهي تخصصه وتوضحه وتكون في بعض الحالات طرفا أساسيا في بنائه، وفهم علاقاته وملابساته إنها تقوم بإبلاغ معاني الأفعال وما في حكمها إلى المفاعيل غير الصريحة.

وقد أوضح المفسرون أهمية هذه المعاني في الربط والتركيب والدلالات، فذكروا لهذه الحروف، الياء، واللام، وعن، وفي، ومن، وإلى، وعلى...إلخ، معاني كثيرة وبينوا آثارها وصلاتها بالمذاهب وحملوا معاني بعضها على بعضها الآخر ضمن نظام النيابة والتقارب في تأدية المعاني الأصلية والفرعية واستدلوا على كل ذل بالنصوص المختلفة واستعانوا بالنحاة والبلاغيين.

وكان بعض هذه المعاني في الحروف أصيلا وبعضها الآخر قليلا عارضا وكان أغلبها يحمل على الأدوات الأخرى، الأمر الذي ولد التكرار والإعادة على الرغم من بعض الفروق. الأمر الذي يدفعنا إلى تحديد الأداة الأصلية وما حمل عليها، على الرغم من اختلاف المفسرين من التسميات والمصطلحات ومواضع الالتقاء والاختلاف بينهم في تحديد كل معنى. هذا وقد أورد الثعالبي جملة من النصوص التي جاءت فيها حروف الجر وبين معانيها مقتفيا أثر أسلافه من المفسرين ومما ورد في "الجواهر الحسان" في المعاني: أذكر:

---

(1) الجواهر الحسان: 50/2.

(2) الأعراف: 85.

(3) الجواهر الحسان: 48/2.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

1 ــ الاختصاص :

وهو معنى تؤديه اللام وتتصل به أو تتفرع عنه مجموعة من المعاني المتقاربة كالاستحقاق والملك، وشبه الملك، والتمليك، وشبه التمليك وقد مزج بعض المفسرين بين هذه المعاني في معالجة النصوص فأطلقوا بعضها في مواضع، والبعض إلى الآخر في مواضع مماثلة، وأشاروا إلى هذا التقارب فيما بينها، واجتماعها تحت معنى التخصيص بل إن بعضهم لم ير في الكلام غير هذا المعنى، وإن خرجت إلى شيء من المعاني الأخرى مما يجعل الحديث عنها في عبارة واحدة أمر ا شائعا.

ومما حمله الثعالبي في تفسيره على ذلك حيث جعل اللام للاختصاص في قوله تعالى: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ }[1] مبينا أن الصدقات تقتصر على الثمانية الأصناف[2].

وهو نفس المعنى الذي ذهب إليه الزمخشري، وبين أن الصدقات مختصة بالفقراء وليس لغيرهم[3]، ورأى بأن هذا المعنى لا يفارقها، وإن خرجت عند الثعالبي إلى معنى الاستعلاء في قوله تعالى: {دَعَانَا لِجَنْبِهِ}[4] أي مضطجعا على جنبه[5].

ومن ذلك أيضا ما ذكره في قوله تعالى: {لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ}[6]. فاللام بمعنى على وروي أنه كذلك في مصحف أبي (على الكافرين) [7].

كما بين الثعالبي أن اللام تأتي بمعنى كي وهي على هذا لام الصيرورة وذلك في قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}[8] أي لما صار أمرهم إلى ذلك[9]. كما حمل على ذلك قوله تعالى: (لِيَحْمِلُوا) [10] كما حملها الثعالبي على

---

(1) التوبة: 60.

(2) الجواهر الحسان: 180/2.

(3) الكشاف: 282/2، وينظر المغني: 229/1، و المحرر الوجيز لابن عطية: 533/6.

(4) يونس: 12

(5) الجواهر الحسان: 229/2، وينظر المغني: 233/1، والمحرر الوجيز: 115/7.

(6) المعارج: 2.

(7) الجواهر الحسان: 472/4، وينظر: المغني 233/1، والمحرر الوجيز: 87/15.

(8) الأنعام: 105.

(9) الجواهر الحسان: 656/1.

(10) النحل: 25.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

معنى العاقبة في قوله تعالى: (لِيُعَذِّبَ) [1] فاللام لام العاقبة، أما أبو حيان فقد جعلها لام للصيرورة في هذه الآية، لأنه لم يحمل الأمانة ليعذب ولكن آل أمره إلى ذلك[2].

فعلى العموم إن معنى الاختصاص هو الأصل في معاني اللام عند جمهور المفسرين، وخالفهم الطبرسي الرأي في ذلك إذ جعل الملك هو الأصل[3] فها وسواء أكان الاختصاص أم الملك فإن هذا يدل على تقارب هذه المعاني وتجانسها وصعوبة الفصل بينها في كثير من الأحيان، ولاسيما في نصوص القرآن الكريم، وخير دليل على ذل إقرارهم بتقارب الاستحقاق والملك والاختصاص والتمليك، والعاقبة والصيرورة واختلافهم[4] في تحديد لام (الحَمْدُ لله) فأجاز فيها الرازي أن تكون للاختصاص والملك، والاستيلاء والقدرة بينما جعلها النسفي للتمليك، وجعله أبو حيان للاستحقاق.

2 ــ الاستعلاء:

ويختص بأداء هذا المعنى "على" وتحمل عليها بعض الحروف الأخرى، وقد قرنها بعض المفسرين بالظرف (فوق) لتقاربهما في المعنى، ومن ذلك قولهم: ضربته على الرأس وفوق الرأس والمعنى واحد[5].

والاستعلاء بـ "على" إما حقيقي كما أشار إلى ذلك الثعالبي في تفسيره لقوله تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ}[6] أي على الأرض وذلك على سبيل الحقيقة[7].

ومنه قوله تعالى: {تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ}[8] أي تفضيل بعض النبيين

(1) الأحزاب: 73.

(2) الجواهر الحسان: 368/3.

(3) المجمع للطبرسي: 46/1.

(4) المجمع للطبرسي: 188/4، والبحر المحيط: 18/1، والمحرر الوجيز: 231/10.

(5) المجاز لأبي عبيدة: 242/1، والطبري: 189/9، والبحر المحيط: 470/4.

(6) الرحمن: 26.

(7) الجواهر الحسان: 334/4، ينظر: البحر المحيط: 26/1.

(8) البقرة: 253.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

على بعض من غير تعيين[1]. أما أبو حيان فقد حمله على معنى الاستعلاء المجازي[2] أما الزمخشري فقد سماه بالاستعلاء القريب من الحقيقي، وحمل عليه جملة من النصوص في غير هذا الموضع على نحو يكشف عن ولعه الشديد بإبراز معاني القرآن الخفية ومن ذلك ما ذكره في توجيه قوله تعالى: {أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ}[3]:"ومعنى الاستعلاء في قوله "على هدى" مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتسمكهم به، شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ونحو: هو على الحق وعلى الباطل[4].

وحمل المفسر (الثعالبي) على معنى الاستعلاء في "على" دلالة بعض الأحرف الاخرى وهي الباء... وذلك لتقارب معانيها عموما مع معنى "على" وإقرارهم بمذهب النيابة واستعارة المواقع فيما بينها، غير أنهم لم يفصلوا في هذه المذاهب بين الاستعلاء الحقيقي والمجازي.

ــ الباء: ومذهب الفراء أن العرب تجعل الباء أحيانا في موضع "على" فتقول: رميت بالقوس وعلى القوس، وجئت بحال حسنة وعلى حال حسنة[5].

وقد وافقه الثعالبي على ذلك قوله تعالى: {حَقِيقٌ عَلَى أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ}[6] فـ (علي) وضعت موضع الباء كأنه قال حقيق بأن لا أقول على الله إلا الحق. وهذه المخاطبة غاية في التلطف ونهاية في القول اللين الذي أمر عليه السلام.

وأيد ذلك بقراءة الجمهور "حقيق على ألا أقول"[7] .

---

(1) الجواهر الحسان: 240/1.

(2) البحر المحيط: 26/1.

(3) البقرة: 5.

(4) الكشاف: 144/1، وينظر: 228/1، و 124/3.

(5) معاني القرآن للفراء: 386/1.

(6) الأعراف: 105.

(7) الجواهر الحسان: 55/2.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وهو ما ذكره الأخفش[1]، والطبري[2]، والرازي[3]، والقرطبي[4]، وأبو حيان[5].

من: واستدل لها الثعالبي بقوله تعالى:{ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ}[6] أي لما كان جل نصرته النجاة وكانت غلبة قومه بأمر أجنبي منه حسن أن يقول (نصرناه) من القوم ولا تتمكن هنا على، وقال أبو عبيدة من بمعنى "على" وهذا أولى[7].

3 ــ الاستعانة:

وتختص الباء بأداء هذا المعنى وقد عبر بعض المفسرين بتسميات أخرى كالالصاق[8]، والآلة، وذلك انطلاقا من اختلافهم في التعبير عن معاني هذا الحرف.

وأناب الثعالبي عن الباء في هذا المعنى (من) في قوله تعالى: {يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ}[9] أي يسارقون النظر لما كانوا فيه من الهم وسوء الحال لا يستطيعون النظر بجميع العين وإنما ينظرون ببعضها قال الثعالبي: قال يونس من بمعنى الباء بطرف خفي، أي ضعيف من أجل الذل ونحوه عن الأخفش[10].

وهو وجهة المتأخرين من المفسرين[11].

ومن معاني الباء الإلصاق، وهو معنى أصيل[12] فيها.

---

(1) أنظر الأخفش: 205 و 316.

(2) أنظر الطبري: 137/1، و 134/4، والمحرر الوجيز: 220/4.

(3) الرازي: 191/14.

(4) القرطبي: 142/2.

(5) البحر المحيط: 500/2.

(6) الأنبياء: 77.

(7) الجواهر الحسان: 92/3.

(8) لقد فصل الزمخشري بوضوح بين الإلصاق والألة، وحمل على المعنى الأخير نصوصا عديدة مهتديا بعبارة سيبويه (كتبت بالقلم) ينظر: الكشاف: 159/1، و 271/3.

وكذلك فعل أبو حيان فجعل الباء للإستعانة في مواضع، وللألة في مواضع أخرى: ينظر البحر المحيط: 14/1 و260/1.

(9) الشورى: 45.

(10) الجواهر الحسان: 153/4، معاني القرآن للأخفش: 424.

(11) المصدر نفسه: 153/4، معاني القرآن للأخفش: 424.

(12) الأخفش: 147، والرجاج: 3/1، والرازي: 5/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وأشار الرازي إلى أن البصريين هم أصحاب التسمية وبين أن ذلك يرجع إلى وجو هذا المعنى واستمراره في كل ما خرجت له من معاني كالظرفية والقسم وغير ذلك مما ذكر في مواضعه[1].

بينما قسمه أبو حيان إلى خفي ومجازي. [2]

وذهب الزمخشري مهتديا بعبارة سيبويه: مررت بزيد، موضحا أنه لصرف بمكان يقرب من زيد[3]، وحمل على ذلك قوله تعالى: {وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ}[4] وقد خالفه الثعالبي إلى أن معنى الباء في قوله تعالى: (برؤوسكم) مؤكدة زائدة[5] عند من يرى إجزاء بعض الرأس، كان المعنى أوجدوا مسحا برؤوسكم فمن مسح ولو شعرة فقد فعل ذلك، وبالنظر إلى سياق العبارة تستخلص أن معنى الباء هو الالصاق، باعتبار المسح ملاصقا للرأس.

أما أبو حيان فقد جعل مسح الرأس كله إلصاقا حقيقيا، ومسح بعضه إلصاقا مجازيا وتسمية البعض بالكل، واستدل على ذلك بجملة من النصوص[6] .

4 ــ التبعيض:

وتعتبر "من" من أشهر الأدوات التي تؤدي هذا المعنى، إلا أن أراء المفسرين تباينت في أصالته في هذه الأداة، فذكر الرازي أن بعضهم جعله الأصل في معانيها[7]. بينما قدمه أبو حيان على معنى الابتداء واستدل على ذلك بقولهم: "أكلت من الرغيف".[8]

---

(1) التفسير الكبير: 116/10.

(2) البحر المحيط: 14/1.

(3) الكشاف: 53/3.

(4) المائدة: 6.

(5) الجواهر الحسان: 534/1.

(6) البحر المحيط: 179/1، و 75//2.

(7)التفسير الكبير: 100/1.

(8) البحر المحيط: 39/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وهذا المعنى في "من" هو أحد المسوغات الهامة في بعض عناصر التركيب النحوي، واستدل على ذلك الثعالبي بقوله تعالى: {لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ}[1].

قال المفسر: قال الصفاقسي (مما تحبون) (من) للتبعيض، واستدل على ذلك بقراءة عبد الله بن مسعود (بعض ما تحبون) [2] فحلت كلمة بعض مكان من.

وقد حمل بعض[3] المفسرين على هذا المعنى في "من" مجموعة من النصوص بينوا آثارها واجازوا في كثير منها أن تكون لابتداء الغاية أو للتبين، أو غير ذلك مما يقترب من معنى التبعيض ويلتبس به.

كما ذكر الثعالبي أن معنى "من" للتبعيض في قوله تعالى: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ}[4] وهو تأويل الطبري، وغيره، وذهب الزجاج وغير واحد إلى أن المعنى ولتكونوا كلكم أمة يدعون و "من" لبيان الجنس، ومعنى لآية على هذا أمر الأمة بأن يدعو جميع العالم إلى الخير.

بينما حملها الرازي على التبعيض لأن في القوم من لا يقدر على الدعوة إلى الخير مثل النساء والمرضى والعاجزين أو أن هذا التكليف مختص بالعلماء[5].

ومن الملاحظات التي يمكن الإشارة إليها في هذا السياق أن الثعالبي في قوله تعالى: {عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ}[6] أنها زائدة ونقل قول الصفاقسي بأن الباء تفيد الالصاق والاختلاط[7].

---

(1) آل عمران: 92.

(2) الجواهر الحسان: 344/1، وينظر: الكشاف: 385/1.

(3) ينظر: الكشاف: 88/1، 212، والتفسير الكبير: 111/2، و 61/4، والجامع للقرطبي: 232/1. والبحر المحيط: 40/1، 43، والمحرر الوجيز: 280/4.

(4) آل عمران: 104.

(5) التفسير الكبير: 166/8.

(6) الإنسان: 6.

(7) الجواهر الحسان: 529/4.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وذكر الرازي أن الإمام الشافعي (ت204هـ) ذهب إلى أنها تفيد التبعيض[1] في قوله تعالى: {وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ}[2] وهذا من شأنه الاكتفاء بمسح أقل جزء من الرأس، بينما حملها مالك على الإلصاق.

وفي الختام لا يسعنا إلا أن نشير إن حروف الجر ومعانيها من الموضوعات التي نالت اهتمام المفسرين فأشاروا إلى المعاني الأصلية والفرعية في كل منها، وحملوا معاني بعضها على بعضها الآخر، غير انهم اختلفوا في مبدأ النيابة فاضطربت مواقفهم إزاء معاني هذه الحروف ولم يسلم الثعالبي من ذلك حيث وجدناه يقتفي أثر أسلافه في إبراز معاني هذه الحروف ومدى توظيفها في خدمة المعاني القرآنية وكما أثار من خلال ذلك بعض المشكلات الشرعية والخلافية والمذهبية.

5 ــ معاني تخصيصية متنوعة:

وأعني بذلك بعض المعاني التخصيصية التي نالت اهتمام المفسرين وكان لها شأن واضح في كتبهم، وقد كان منها ما هو خاص بالاسم ومنها ما هو خاص بالفعل، ومنه ما هو خاص بالتركيب بصورة عامة، ومن ذلك:

ــ التعريف بـ الـ:

ونقصد به ذلك المعنى النحوي الخاص بالأسماء الذي تشكل فيه (الـ) جانبا مهما في إفادته وتحقيقه. فتعرف الاسم وتكسبه خصوصية وتمييزا لم يكونا له قبل دخولها. وقد عبر عنها بعضهم بالألف واللام، وجعلها بعضهم لام التعريف على إرادة معنى الجنس في مختلف ألوانه.

وقد خاض المفسرون في هذا الأمر وأولوه عناية فائقة وكان حديثهم في ذلك عن معنى "الـ" التي تفيد الجنس والعهد، فضبطوا أقسامها وعرضوا للحدود الفاصلة فيما بينها، ولهم في ذلك بعض الخلاف على تنوع اهتماماتهم واختلاف المواضع التي وقفوا عندها، وقد شبعوا تلك المواضع بحثا واستدلالا، وبدا على جهودهم الدقة في معرفة المعنى، وسوف اقتصر على " الـ " التي تكون للجنس.

---

(1) التفسير الكبير: 97/1.

(2) المائدة: 6.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ـ الـ الجنسية:

من المسائل التي نالت اهتمام المفسرين فجاءت معانيها متعددة فهي للماهية والحقيقة والاستغراف، والعام والخاص، والعموم والمبالغة، وهي تختلف بين مفسر وآخر تبعا لاختلاف المصطلحات وعدم استقرارها عندهم مما جعل الوقوف على مقاصدهم في غاية الصعوبة.

فأطلق الثعالبي معنى الجنس في عدد من المواضع ومنها ما ذكره في قوله تعالى: {الحمد لله} [1] معناه الثناء الكامل والألف، واللام، وفيه لاستغراق الجنس، من المحامد. وهو أعم من الشكر، لأن الشكر إنما يكون على فعل جميل يسدى إلى الشاكر، والحمد المجرد هو ثناء بصفات المحمود[2].

أما الزمخشري فقد ذكر الجنس وأراد به الماهية فوضح في قوله تعالى: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ}[3] أن تعريف "الأنهار" هو كما تقول: لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب، مشيرا إلى الأجناس في علم المخاطب[4]، ولكنه فصل بينه وبين الاستغراق حين رفض أن يحمل قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} على المعنى الأخير كما فعل الطبري[5]، وحمله على جميع المحامد والشكر الكامل وجعلها للماهية[6].

وبين أن "الـ" تفيد هذه الجنسية في دخولها على المفرد والجمع فإذا دخلت على المفرد كانت صالحة لأن يراد به الجنس إلى أن يحاط به وأن يراد به بعضه إلى الواحد فيه. ففي قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ}[7] دخلت "ال" على المفرد

---

(1) الفاتحة: 2.

(2) الجواهر الحسان: 36/1.

(3) البقرة: 25.

(4) الكشاف: 107/1.

(5) الطبري: 60/1.

(6) الكشاف: 9/1 10.

(7) العنكبوت: 27.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

لإرادة حنس الكتاب وأحيط به فدخل تحته ما نزل على ذريته من الكتب الأربعة، التي هي التوراة والزبور، والانجيل، والقرآن[1].

وقد اقتفى الثعالبي أثره فحمل على ذلك قوله تعالى: {وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ}[2] فاللفظة عامة، وذلك أن كان ما دل على شيء وأعلم به فهو علامة، والنجم هنا اسم جنس وهذا هو الصواب[3].

وكان للرازي اهتمام واضح بمعاني "أل" الجنسية، كما أن له مواقف خاصة في معالجة جوانبها بوصفه واحدا من المتكلمين فهو يفصل بوضوح معانيها، ويضع بعض المعايير في معرفتها ويحدد أبعادها ويرسم حدودها ويصرح بمعاني الماهية والحقيقة والاستغراق والعموم يوازن فيم بينها.

وحمل على ذلك جملة من النصوص[4] وضح من خلالها معاني هذه الأداة، وأكد مذهبه بعبارات صريحة.

ولم يكد يضيف الثعالبي في هذا المجال جديدا بل كرر عموما أقوال المفسرين وتوجيهاتهم فذكر الجنس وأراد به الاستغراق وحمل على ذلك نصوصا منها:

قال تعالى: (وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ) [5] والألف واللام في الشيطان للجنس[6].

تعد "الـ" الجنسية من المسائل التي لم تلق إجماع المفسرين، وانبثق عن ذلك تباين في وجهات النظر، فقرر بعضهم في مواضع العهدية، وقدر آخرون الجنسية وذهب بعضهم إلى الماهية وغيرهم إلى الاستغراق. وخير شاهد على ذلك اختلافهم في "ال" الحمد في (الحمد لله) إذ جعلها الطبري للإستغراق فخطأه الزمخشري وجعلها لتعريف

(1) الكشاف: 451/3.

(2) النحل: 16.

(3) الجواهر الحسان: 419/2 ، وينظر: الكشاف: 599/2.

(4) التفسير الكبير: 39/2، 92/7، و 8/9، و 214/21.

(5) البقرة: 208.

(6) الجواهر الحسان: 196/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الماهية، فيما حملها النسفي[1] على العهدية، بينما أجاز فيها أبو حيان الأوجه الثلاثة[2]، أما الثعالبي فحملها على الجنسية.

إن التعريف بأقسامه وتفريعاته، جانب بارز من المعاني النحوية الدقيقة والخفية في كتب المفسرين وقد عرضوا لها بشكل نظري حينا، فبينوا فيه أقسامها وبشكل تطبيقي في غالب الأحيان وعالجوا مسائلها بمصطلحات قلقة، ولكنهم أوفوا مواضعها بالشرح والاستدلال وعرض الوجوه الجائزة فيها واحتمالاتها المتعددة.

كما لم يفت الثعالبي الإشارة إلى بعض القضايا النحوية، غير التي تمت الإشارة إليها، تخص أبوابا متعددة في النحو، وهدفه من ذلك الإبانة عن المعاني والوظائف النحوية، فقد أشار إلى الحال[3]، والتميز[4]، والاستثناء[5]، والمنادى[6]، والصفة[7]، والظرف[8]، والإضافة[9].

وهذه الموضوعات وردت في ثنايا التفسير عرضا من أجل توضيح معنى من المعاني.

(1) مدارك التنزيل للنسفي: 188/4.
(2) البحر المحيط: 18/1.
(3) الجواهر الحسان: 59/1، 91، و 19/2.
(4) المصدر نفسه :51/2، 459/1، 13/3.
(5) المصدر نفسه : 66/1، 106، و 290/2، 13/3.
(6) المصدر نفسه : 53/1.
(7) المصدر نفسه: 158/1، و 9/2، 25، 37، و 600/3.
(8) المصدر نفسه: 144/1، 168.
(9) المصدر نفسه: 40/1، 137، 403/2.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ز ــ موقفه من النحاة:

إن المتأمل للنصوص التي عرضها الثعالبي يدرك للوهلة الأولى ميله إلى البصريين في كثير من مواقفه في مسائل الخلاف أو إعراب الآيات، كان يختار ما يراه مناسبا من آراء النحاة السابقين له بصرف النظر عن كون صاحب ذلك بصريا كان أم كوفيا، وكان يرد الرأي الذي لا يميل إليه أيا كان قائله من النحاة السابقين له، مما يدل على استقلال منهجه ووضوح شخصيته.

فنراه يميل إلى تفصيل آراء البصريين في بعض المواقف ومن ذلك ما ذكره في قوله تعالى: {وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ} [1]، فـ (إلا أن تقديره عند سيبويه والبصريين إلا كراهية، وتقديره عند الكوفيين إلا أن لا على إضمار "لا" ويرجح قول البصريين أن إضمار الأسماء أحسن من إضمار الحروف[2].

كما وجدناه يرجح قول الكوفيين، ومما حمل على ذلك قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ}[3]، حيث قال نقلا عن الصفاقسي: (والمسجد) قراءة الجمهور بالخفض، قال المبرد وتبعه ابن عطية وغيره، هو معطوف على سبيل الله ورد بأنه حينئذ يكون معلقا بصد، أي صد عن سبيل الله، وعن المسجد الحرام، فيلزم الفصل بين المصدر، وهو صد وبين معموله وهو المسجد، بأجنبي وهو (وكفر به) ولا يجوز، وقيل: معطوف على ضمير (به) أي وكفر به وبالمسجد ورد بأن فيه عطفا على الضمير المجرور من غير إعادة الخافض، ولا يجوز عند جمهور البصريين، وأجازه الكوفيون ويونس، والمختار جوازه لكثرته سماعا ومنه قراءة { تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ}[4]،أي وبالأرحام وتأويلها على غيره بعيد بخرج الكلام عن فصاحته[5].

(1) الأعراف: 20.

(2) الجواهر الحسان: 14/2. وينظر: 304/1.

(3) البقرة: 217.

(4) النساء: 1، وينظر: الإتحاف: 185، والنشر: 274/2.

(5) الجواهر الحسان: 202/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وفي أحيان أخرى وجدناه يستأنس بأرائهما دون تفضيل لرأي على آخر ومما ورد في "الجواهر الحسان" ما ذكره في قوله تعالى: {وَحَبَّ الْحَصِيدِ}[1]، حيث قال: قال أبو حيان: وحب الحصيد من إضافة الموصوف إلى صفته على قول الكوفيين أو على حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه، أي حب الزرع الحصيد على قول البصريين"[2].

وفي قوله تعالى: {مِن ذُنُوبِكُمْ}[3] قال الثعالبي: قال قوم: (من) زائدة وهذا نحو كوفي، وأما الخليل وسيبويه فلا يجوز عندهم زيادة (من) في الموجب وقال قوم: هي للتبعيض، وهذا القول عندي أبين الأقوال، وذلك أنه لو قال يغفر لكم ذنوبكم لعم هذا اللفظ ما تقدم من الذنوب وما تأخر من أيمانهم والإسلام إنما يجب ما قبله[4].

ومن ذلك ما أورده في قوله تعالى:{إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ}[5]، قال: و"إن" هي المخففة من الثقيلة واللام في "لما" لام التأكيد الداخلة على الخبر، هذا مذهب حذاق البصريين، وقال الكوفيون "إن" بمعنى "ما" النافية واللام بمعنى إلا فالتقدير ما كل نفس إلا عليها حافظ[6].

وعلى ذلك فإنه قد سار في نفس الطريق الذي سار عليه أغلب النحاة المتأخرين من ميل إلى البصريين وتفضيل آرائهم على آراء الكوفيين في كثير من المسائل غير أن يفقد استقلاله في الرأي أو النهج الذي يختاره أو يسير عليه وهذا هو المنهج السليم القائم على الأخذ بالآراء التي يراها صحيحة، من غير تعصب لفريق ضد فريق.

(1) ق: 9.
(2) الجواهر الحسان: 264/4.
(3) نوح: 4.
(4) الجواهر الحسان: 481/4.
(5) الطارق: 4.
(6) الجواهر الحسان: 597/4.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

حـــ ــ المصطلح النحوي:

لقد كان ظهور المصطلح النحوي ملازما للدراسات النحويـــة، ولمـــا كانـــت هـــذه الدراسات بصرية المنشأ فإن المصطلح النحوي قد بدأ كذلك بصريا في نشأته الأولى[1].

وحينما اشتد ساعد الدرس النحوي واستوى عوده في الكوفة سعى النحاة فـــي تلـــك الفترة إلى تمييز نحوهم عن نحو من سبقهم من البصريين، وكـــان ممـــا خـــالفوهم فيـــه المصطلح الذي استعملوه في عباراتهم فجاء في كثير من الأحيان مختلفا عـــن مصـــطلح البصريين[2].

ومع مرور الوقت تداخلت المصطلحات وشاع مصطلح كـــل مـــن الفـــريقين فـــي الدراسات النحوية، فضلا عن المصطلحات المشتركة التي استخدمها البصريون والكوفيون منذ بدء الدرس النحوي.

وعليه يمكن تمييز ثلاثة أنواع من المصطلح النحوي في الدرس العربي القديم هي:

1 ــ المصطلح النحوي المشترك.

2 ــ المصطلح النحوي البصري.

3 ــ المصطلح النحوي الكوفي.

وقد كان لهذا التنوع في المصطلح الأثر البالغ في بيئة المفسرين إذ نجد كثيرا مـــن مفسري القرآن الكريم كان يأخذ بهذه المصطلحات في توجيه آي الذكر الحكيم واســـتنباط الأحكام.

والتعمق في فهم ما تدل عليه من أسرار، وإبراز ما يتضمنه الـــنظم القرآنـــي مـــن معان، ومفاهيم، لا تبدو إلا لكل من أوتي ذوقا عاليا، يهيؤه للتغلغل في أعماق التراكيـــب العربية، ووهب حسا مرهفا يساعده على كشف ما في النص من خفايا وأســـرار جعلتـــه موطن الإعجاز.

وممن تأثر بهذا الاتجاه في استعمال المصطلح النحـــوي واللغـــوي الثعـــالبي فـــي "الجواهر الحسان"، وقد استعمل المصطلح النحوي بأنواعه الثلاثة التي اشتهر بها، ومـــرد

(1) مدرسة الكوفة لمهدي المخزومي: 303، المدارس النحوية لشوقي ضيف، 134، المصطلح النحوي لعوض حمد الفوزي: 162.

(2) المدارس النحوية: 135، المصطلح النحوي: 162.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ذلك اختلاف المصادر التي استقى منها مادته، والتي كانت لمختلف النحاة السابقين، بصريين كانوا أم كوفيين أم لغيرهم، فنقل عنهم ما قالوه بالمصطلح الذي استعملوه.

وأحاول تجلية هذا الموقف ومنهجه في تناول هذه المسألة وفق التقسيم المذكور.

ـ المصطلحات المشتركة:

أورد الثعالبي في تفسيره جملة من المصطلحات النحوية المشتركة بين نحاة البصرة والكوفة، والتي حظيت باتفاق المذهبين وسائر النحاة الذين جاءوا من بعدهم، ومما ورد في "الجواهر الحسان":

1 ـ الابتداء:

وهو المجرد عن العوامل اللفظية مخبرا عنه أو وصفا رافعا لمكتف به[1]. وقد أشار الثعالبي إلى ذلك في مواضع مختلفة من تفسيره ومن ذلك في قوله تعالى: {وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ}[2] وهذا عطف على قوله "لئلا" وهو في موضع رفع الابتداء.

ومنه قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ}[3]. فالسائلون هم المؤمنون، والمعني يسألونك ما هي الوجوه التي ينفقون فيها و"ما" يصح أن تكون في موضع رفع على الابتداء[4].

ومنه أيضا: {الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}[5]، "الذين" رفع بالابتداء وخبره (فهم لا يؤمنون).

كما أشار الثعالبي إلى مصطلح المبتدأ وهو من المصطلحات المشتركة بين البصريين والكوفيين، ومن ذلك قوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ}[6]

---

(1) ينظر: شرح شذور الذهب للحنبلي 230، وأوضح المالك إلى العتبة بن ماك 106/1، والكافية في النحو لابن الحاجب: 85/1.

(2) البقرة: 150.

(3) البقرة: 215.

(4) الابتداء: الجواهر الحسان: 148/1 ، كما يستخدم هذا المصطلح سيبويه ينظر: الكتاب: 23/1، 47، 366. وكذلك الفراء في معانيه ينظر: معاني القرآن للفراء: 73/1، 154.

(5) الأنعام: 12.

(6) الأنعام: 39.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

قال الثعالبي نقلا عن أبي حيان: "في الظلمات" خبر مبتدأ[1] محذوف أي هم في الظلمات[2] وفيه أيضا قوله تعالى: {تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ}[3] و (تنزيل) يصح ان يرتفع بالابتداء والخبر (لا ريب) ويصح أن يرتفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي ذلك تنزيل[4].

2 ــ الإستثناء:

هو إخراج الاسم الواقع بعد إلا أو إحدى أخواتها من حكم ما قبلها[5].

وقد حمل الثعالبي على ذلك جملة من النصوص منها ما أشار إليه في قوله تعالى: {وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ}[6]. (إلا الذين) استثناء[7] متصل قاله ابن عباس وغيره[8].

وفيه قال تعالى: (إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا) [9]، استثناء منقطع[10].

ومما تجدر الإشارة هاهنا أن الثعالبي استعمل بعض المصطلحات التي لها ارتباط بمصطلح الاستثناء كالمتصل[11]، والمنقطع[12].

3 ــ الحال:

وصف مسوق لبيان هيئة صاحبه أو تأكيد عامله أو مضمون الجملة قبله[13].

---

(1) ذكر سيبويه هذا المصطلح: ينظر الكتاب: 302/1.

(2) الجواهر الحسان: 621/1.

(3) السجدة: 2.

(4) الجواهر الحسان: 333/3.

(5) شذرات الذهب: 337، وأوضح المسالك: 301/1، والكافية في النحو: 224/1.

(6) البقرة: 150.

(7) استخدم سيبويه هذا المصطلح ينظر: الكتاب: 310/2، 318، 331، كما استخدمه الفراء في معانيه: 110/2، 117.

(8) الجواهر الحسان: 147/1.

(9) البقرة: 235.

(10) الجواهر الحسان: 280/1.

(11) وهو ما كان فيه المستثنى من جنس المستثنى منه.

(12) وهو ما لم يكن المستثنى من جنس المستثنى منه. نحو قوله تعالى: (فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس) الحجر: 30.

(13) شذرات الذهب: 316، وأوضح المسالك: 312/1، والكافية في النحو: 198/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وهو من المصطلحات التي ترددت في "الجواهر الحسان" ومن ذلك قوله تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ}[1] فـ (هدى) في موضع نصب على الحال من القرآن[2].

ومنه أيضا قال تعالى: (وهم يلعبون) [3] جملة في موضع الحال[4].

ومنه قوله تعالى: (لاهية) [5] حال بعد حال[6].

4 ــ الخبر:

ما تحصل به الفائدة مع المبتدأ[7]، وقد تردد كثيرا في التفسير ومن ذلك قوله تعالى: {تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا}[8] فـ (تلك) مبتدأ وعندي أن أهل القرى هي خبر[9] الابتداء.

ومنه قوله تعالى: { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ}[10].

قال المفسر:(محمد رسول الله) ابتداء وخبر استوفى فيه تعظيم منزلة النبي ρ (والذين معه) ابتداء وخبرا (أشداء) و (رحماء) خبر ثان وهذا هو الراجح لأنه خبر مضاد لقول الكفار[11].

---

(1) البقرة: 185.

(2) الجواهر الحسان: 171/1، وقد استخدم هذا المصطلح كل من سيبويه، ينظر: الكتاب: 339/1، 351، و 61/2، والفراء: ينظر معاني القرآن للفراء: 44/1، 52.

(3) الأعراف: 98.

(4) الجواهر الحسان: 74/3.

(5) من قوله تعالى: (لاهية قلوبهم وأسروا النجوى) الأنبياء: 3.

(6) الجواهر الحسان: 75/3.

(7) شذور الذهب: 236، وأوضح المسالك 109/1، والكافية في النحو: 86/1، وهمع العوامع: 95/1.

(8) الأعراف: 101.

(9) ورد هذا المصطلح عند سيبويه ينظر: الكتاب: 335/1، و 77/2، والفراء في معانيه: 44/1، 65، 151.

(10) الفتح: 29.

(11) الجواهر الحسان: 247/4.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

5 ــ النداء:

وهو المطلوب إقباله بأحد حروف النداء[1]، ومن النصوص التي حملها الثعالبي على ذلك قوله تعالى:{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ}[2] يا حرف نداء، وأي هي المنادى[3].

ومنه: {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ}[4] نداء للنبيρ [5] .

6 ــ النعت:

وهو التابع المشتق أو المؤول المسوق لتخصيص أو توضيح أو مدح أو ذم أو ترحم أو توكيد غير لفظي[6].

والمشهور أن النعت مصطلح كوفي[7]، إلا انه وباستقراء كتب الأقدمين وجدت كل من سيبويه والفراء يستعملانه على السواء[8]، وهذا خلافا لما ذهب إليه أحد الباحثين المحدثين من أن الفراء أول من استخدم مصطلح النعت[9].

والنعت والصفة عند جمهور النحاة شيء واحد، وفرق بينهما بعضهم فالصفة ما كان فعلا، كالضارب والخارج، أما النعت فما كان حلية كالطويل والقصير[10].

وعلى هذا يكون مصطلح النعت مشتركا بين نحاة المذهبين[11].

وقد استخدمه الثعالبي في تفسيره في مواضع متفرقة منه ومن ذلك ما ذكره في قوله تعالى: {مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ}[12] فـ (مسومة) نعت للحجارة[13].

---

(1) الكافية في النحو: 301/1، والجامع الصغير في النحو: 93، همع الهوامع: 171/1.

(2) البقرة: 21.

(3) الجواهر الحسان: 53/1.

(4) المزمل: 1.

(5) الجواهر الحسان: 495/4.

(6) الجامع الصغير في النحو: 184، وينظر همع الهوامع: 116/2.

(7) همع الهوامع: 171/2، ومدرسة الكوفة: 314.

(8) الكتاب: 210/1، ومعاني القرآن للفراء: 114/1.

(9) المدارس النحوية: 202.

(10) شرح المفصل لابن يعيش: 47/3.

(11) التوابع في كتاب سيبويه: 113.

(12) الذاريات: 34.

(13) الجواهر الحسان: 284/4.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

كما أن هناك مصطلحات مشتركة أخرى استعملها الثعالبي في "الجواهر الحسان" أذكر منها: الإضافة[1]، والأمر[2]، والجزم[3]، والرفع[4]، والشرط[5]، والعطف[6]، والفاعل[7]، والمصدر[8]، والمضاف[9]، والمفعول به[10].

ـ المصطلحات البصرية ومنها:

1 ـ البدل:

وهو التابع المقصود بالحكم بلا واسطة[11]، وهو من المصطلحات البصرية والكوفيون يسمونه الترجمة أو التبيين[12]، وقد استخدم الثعالبي في تفسيريه مصطلح البدل، ومن النصوص المحمولة على ذلك ما أورده في قوله تعالى: {قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ(4)النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ}[13] حيث قال: و(النار) بدل من الأخدود وهو بدل اشتمال[14].

ومنه قوله تعالى: {أَلَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ}[15] وهو في موضع خفض على البدل[16].

2 ـ الاستثناء المنقطع: وهو ما لم يكن فيه المستثنى من جنس المستثنى منه[17].

وقد أورد الثعالبي في تفسيره نصوصا كثيرة استخدم فيها هذا المصطلح ومنها: ما ذكره في قوله تعالى: {وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ

(1) الجواهر الحسان: 40/1، 137، 403/2، ينظر الكتاب: 412/3، ومعاني القرآن للفراء: 254/2، 677/1.
(2) الجواهر الحسان: 45/3، 437/4، ينظر الكتاب: 137/1، ومعاني القرآن للفراء: 160/1.
(3) الجواهر الحسان: 384/4، ينظر الكتاب: 9/3، ومعاني القرآن للفراء: 161/1.
(4) الجواهر الحسان: 113/4، ينظر الكتاب: 16/1، ومعاني القرآن للفراء: 404/1 .
(5) الجواهر الحسان: 240/2، 175/2، ينظر المقتضب: 77/2، ومعاني القرآن للفراء: 194/1 .
(6) الجواهر الحسان: 680/1، 291/2، ينظر الكتاب: 192/2، ومعاني القرآن للفراء: 33/1.
(7) الجواهر الحسان: 297/2، ينظر الكتاب: 14/1 ، ومعاني القرآن للفراء: 197/1 .
(8) الجواهر الحسان: 134/3، 288/1، ينظر الكتاب: 45/4، ومعاني القرآن للفراء: 263/2.
(9) الجواهر الحسان: 40/4، 314/2، ينظر الكتاب: 280/2، ومعاني القرآن للفراء: 39/2.
(10) الجواهر الحسان: 190/2، ينظر الكتاب: 37/1، ومعاني القرآن للفراء: 197/1.
(11) همع الهوامع: 125/2، وحاشية الصبان: 183/3، والجامع الصغير في النحو: 199.
(12) ينظر: الكتاب: 75/1، 224/2، والمقتضب: 271/3.
(13) البروج: 4، 5.
(14) الجواهر الحسان: 594/4.
(15) آل عمران: 64.
(16) الجواهر الحسان: 329/1.
(17) التطبيق النحوي: 180

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

إِلَيْهِ}[1] و (ما) في قوله: {إِلا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ} يريد بها من جميع ما حرم كالميتة وغيرهـــا، وهي في موضع نصب على الاستثناء، والاستثناء منقطع[2].

ومنه قوله تعالى: {قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ}[3] قال الثعالبي: هذا أمر بأن يبالغ في الإسلام ويتجرد من المشاركة في قدرة الله وغيبه، وأن يصف نفسه لهـــؤلاء السائلين بأنه لا يملك من منافع نفسه ومضارها إلا ما سن الله وشاء ويسر وهذا الاستثناء منقطع[4].

ومنه قوله عز وجل: {إِلا بَلاغًا}[5] استثناء منقطع[6].

3 ــ الصفة:

ومن النصوص التي حملها الثعالبي على هذا المصطلح ما ورد في قولـــه تعـــالى: {فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ}[7] قال الثعالبي: وجوز ابن عطية وأبو البقـــاء أن يكـــون (المورود) صفة لمكان الورد[8].

ومنه قوله عز من قائل: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا}[9] فـــ (قرآنا) حال و (عربيا) صفة وقيل (عربيا) حال[10].وفيه: و (كريم)[11] صفة[12].

4 ــ الظرف:

وقد أورد الثعالبي في تفسيره جملة من النصوص أذكر منها:

---

(1) الأنعام: 119.

(2) الجواهر الحسان: 663/1.

(3) الأعراف: 188.

(4) الجواهر الحسان: 94/2.

(5) من قوله تعالى: (إلا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا) الجن: 23.

(6) الجواهر الحسان: 492/4.

(7) هود: 98

(8) الجواهر الحسان: 294/2.

(9) يوسف: 2.

(10) الجواهر الحسان: 305/2.

(11) من قوله تعالى: (إنه لقول رسول كريم) التكوير: 19.

(12) الجواهر الحسان: 572/4.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ما جاء في قوله تعالى: {وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا}[1] و(يوما) نصب على الظرفية[2].

ومنه قوله تعالى: {وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ}[3] و (منازل) منصوب على الظرف[4].

كما استخدم مصطلحات بصرية أخرى في تفسيره نذكر منها على سبيل المثال الضمير[5]، والنفي[6]، واسم الفعل[7]، والتوكيد[8]، وعطف البيان[9].

فهذه المصطلحات التي وردت في ثنايا التفسير عرضا الهدف منها توضيح معنى من المعاني.

ـ المصطلحات الكوفية:

1 ـ التكرير: وهو التابع المقصود بحكم بلا واسطة[10]. وقد استعمل سيبويه (التكرار) ويريد به التوكيد وعطف البيان[11]، أما الكوفيون يقصدون به ما يعرف لدى البصريين با(لبدل) [12].

وقد استعمله الثعالبي بمعنى البدل أيضا، ومن ذلك ما جاء في حديثه عن قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ}[13] و (قتال) بدل اشتمال عند سيبويه، وقال الفراء: هو مخفوض بتقدير (عن) وقرئ به[14].

---

(1) البقرة: 48.
(2) الجواهر الحسان: 78/1.
(3) يس : 39.
(4) الجواهر الحسان: 12/4.
(5) الجواهر الحسان: 297/2، 111/3، 112/4.
(6) الجواهر الحسان: 235/2، 214/3، 320/4.
(7) الجواهر الحسان:280/1، 201/3، 220/4.
(8) الجواهر الحسان: 110/2، 118/3، 111/4.
(9) الجواهر الحسان: 250/3، 340/4.
(10) همع الهوامع: 125/2.
(11) الكتاب: 208/3، والمقتضب: 271/3.
(12) شرح الأشموني: 123/3، والتصريح على التوضيح: 155/2، والطبري النحوي الكوفي: 248.
(13) البقرة: 217.
(14) الجواهر الحسان: 202/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

2 ــ الخفض:

كما استعمل الثعالبي مصطلح الخفض بدلا من الجر، ومن ذلك ما ذكره عند حديثه عن قوله تعالى: {وَالْمَسْجِدِ}[1] قراءة الجمهور بالخفض[2].

ومنه قوله تعالى: {وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ}[3] حيث قال: وقرأ الجمهور (والريحان) بالرفع عطفا على فاكهة وقرأ حمزة والكسائي (والريحان) بالخفض عطفا على العصف[4].

ومنه ما ذكره في قوله تعالى: {فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ}[5] قال وقرأ الجمهور بالخفض صفة للوح وقرأ نافع (محفوظ) بالرفع أي في القلوب لا يدركه الخطأ والتبديل[6].

ومما تجدر الإشارة إليه هاهنا أن الثعالبي في عرضه لهذه النصوص من استعماله للمصطلح النحوي، عدم التزامه بمصطلح مدرسة نحوية معينة، فقد استخدم المصطلح النحوي بأنواعه الثلاثة: المشترك منها والخاص بالبصريين والكوفيين. ولكن أخذه هذا لم يفقده استقلاله في الرأي، فقد كان كثيرا ما يصحح الأقوال أو يضعفها أو يردها بحسب ما توفر لديه من أدلة وحجج.

ومما تقدم يمكن الوقوف على بعض الملاحظات التي أراها جديرة بالتسجيل ومنها:

1 ــ هذه المصطلحات كانت شائعة عند النحاة منذ عهد سيبويه والخليل بن أحمد.

2 ــ الثعالبي لم يقصد هذه المصطلحات قصدا لذاتها، وإنما يذكرها عرضا، أثناء الشرح، كما أنها لم تكن عناوين لأبواب نحوية لأن الكتاب كتاب تفسير.

3 ــ إن ورود هذا الكم الهائل من المصطلحات يعكس لنا ثقافة الثعالبي في مجال النحو، لأنه من المفسرين وأداة المفسر اللغة بنحوها وصرفها وبيانها.

وأود أن أشير في ختام هذه الملاحظات أن الثعالبي كان همه الوحيد الكشف عن معاني الألفاظ متكئا في ذلك على بعض القضايا اللغوية التي تخدم تفسيره.

---

(1) من قوله تعالى: (والمسجد الحرام وإخراج أهله) البقرة: 217.

(2) الجواهر الحسان: 202/1.

(3) الرحمن: 12.

(4) الجواهر الحسان: 331/4، وينظر: اتحاف فضلاء البشر 405، والنشر: 380/2، والتيسير للداني: 206.

(5) البروج: 22.

(6) الجواهر الحسان: 595/4، ينظر: اتحاف فضلاء البشر: 436، والتيسير للداني: 221. وتحبير التيسير لابن أبي الأصبع: 195، والألوسي: 94/30.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الفصل الثاني
قضايـا الدلاليـة والمعجـم

أولا- القضايا الدلالية.

1 ــ المشترك اللفظي.

2 ــ التضاد.

3 ــ الترادف.

4 ــ الفروق الدلالية

5 ــ ظواهر لغوية عامة

أ ــ اللهجات العربية

ب ــ الاشتقاق

ثانيا- المعجم.

أ ــ المعجم المصطلح والفكرة

ب ــ نشأة الفكرة المعجمية عند العرب وتطورها

جـ ــ دراسة المعجم

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الفصل الثاني
قضايا الدلالة والمعجم

أولا ــ القضايا الدلالية:

المراد بالجانب الدلالي تلك الدراسات التي تعنى بالمعنى وصلته باللفظ، ومن ثم تطوره، مع رصد عوامل هذا التطور، ومظاهره من اتساع وانكماش، أو انتقال، وكذلك بحث نشأة الظواهر الدلالية من ترادف واشتراك.

وقد أجمع المحدثون على أن الدراسات الدلالية دراسة لغوية حديثة بدأت في القرن التاسع عشر[1].

غير أن مثل هذه الجدة والحداثة لا تصدق إلا على الدراسة الدلالية عند الأوروبيين، أما عند العرب فهي دراسة لغوية قديمة، تناولها علماؤهم من جوانب مختلفة، وهذا لا يعني نكران ما للدارسين الأوربيين من مناهج جديدة ونظرات مختلفة[2].

والقول بأن الدراسة الدلالية قديمة عند العرب تؤكدها الدراسات المسهبة أو الموجزة التي نجدها في كتب اللغة ومعجماتها.

فالتطور الدلالي أو تغير معاني الكلمات ظاهرة شائعة في جميع اللغات، أكدها الدارسون لمراحل نمو اللغة وأطوارها التاريخية، " لأن اللغة ليست هامدة أو ساكنة بحال من الأحوال، بالرغم من أن تقدمها يبدو بطيئا في بعض الأحيان"[3].

وقد استطاع اللغويون المحدثون بعد دراسة التطور الذي يطرأ على معان الكلمات في لغات مختلفة أن يحصروا التطور الدلالي في مظاهر رئيسية تصدق على جميع اللغات.

وسأحاول الوقوف في هذا الفصل على بعض الظواهر الدلالية التي وردت في تفسير "الجواهر الحسان" كالمشترك اللفظي والتضاد، والترادف، بهدف الإبانة عن المنهج الذي سلكه في تناوله لهذه الظاهرة اللغوية.

والاختلافات على المستوى الدلالي ينبغي أن تكون من القلة حتى لا تؤدي إلى استغلاق معنى الكلام، وبالتالي عدم أداء اللغة لوظيفتها الأساسية، وهي الاتصال بين

---

(1) دلالة الألفاظ لأنيس: 7، ومناهج البحث في اللغة: 274.

(2) مناهج البحث في اللغة: 274.

(3) دور الكلمة في اللغة: 156.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الناس، إذ من الواجب أن يكون هناك اتفاق بين أبناء اللغة على معان محدودة تؤديها ألفاظ بعينها فيكون لكل لفظ معناه الخاص والمحدد له[1].

غير أن ذلك لا يمنع من وجود بعض الألفاظ لها دلالات مختلفة.

وإذا كانت بذور الدراسات الدلالية عند العرب قد نشأت في مرحلة مبكرة إبان قيام الحركة العلمية، فإن ارتباطها بالقرآن الكريم كان وثيقا.

فعندما تعرضوا لذلك استوقف بعضهم غموض ألفاظه فكانت الحاجة ماسة إلى تفسيرها تفسيرا لغويا يزيل ما علق بها من إبهام أو غموض، مما زادت عناية العلماء لذلك نظرا لاشتداد الحاجة إليها.

وهكذا قامت حلقات العلم التي غرست في تربتها بذور الدرس اللغوي، مما أدى إلى انبعاث اللغة، والكشف عن معانيها، ومعالمها الصوتية والصرفية والنحوية، والهدف من ذلك الحفاظ على القرآن الكريم من اللحن والوقوف على سر إعجازه[2].

وفي الحقيقة إذا عدنا إلى تراثنا الديني واللغوي نجد أن الذين اهتموا بتفسير مفردات القرآن الكريم هم المفسرون، وعلماء القراءة، ثم علماء الغريب والأشباه والنظائر في القرآن، وعلماء اللغة فيما بعد.

ومن هنا كانت كتب التفسير والقراءة والغريب من المظان الغنية بالثروة اللغوية.

وبذلك كانت من المراجع الأساسية في تفسير المفردات الغريبة في القرآن الكريم، وتوضيح دلالتها وبيان مراميها، وأساليبها، وعملهم هذا يعد خطوة من خطوات الدراسة اللغوية عند العرب.

ومن الجدير بالذكر أن الثعالبي قد نثر في كتابه من الظواهر اللغوية التي دارت حول مفردات القرآن الكريم ما يشير إلى انه صاحب شخصية في كثير من الآراء التي ذكرها.

والذي يهمنا في هذا المقام، تلك الظواهر التي تناولت الألفاظ وأصل دلالتها. والتي أشار إليها الثعالبي، وهو يشرح ألفاظ القرآن، ويكشف عن أحكام آياته. وكان الهدف من

---

(1) من أسرار اللغة لإبراهيم أنيس، بتصرف: 289.

(2) ينظر: تهذيب اللغة: 4/1، المعجم العربي نشأته وتطوره لحسين نصار: 31/1، ورواية اللغة لعبد الحميد السلقاني: 58. والبحث اللغوي عند العرب لأحمد مختار عمر: 61، وفقه اللغة في الكتب العربية لعبد الراجحي: 33، وفصول في فقه العربية لرمضان عبد التواب: 5.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ذلك إظهار مكانتها والقصد منها، وتلك ميزة يجب أن تتوفر للمفسر، فكان منهجه في ذلك يقوم على تناول دلالة اللفظ، فيحددها تحديدا فيه عمق وشمولية، ثم يعقب ذلك بالشواهد من كلام العرب، من أجل تأكيد تلك المعاني بعيدا عن الاستطراد، وذلك لارتباط التركيب بالنص القرآني.

وسأقف في هذا الفصل عند بعض الظواهر الدلالية التي أوردها لثعالبي في تفسيره، كالمشترك اللفظي، والتضاد والترادف، دون أن أغفل بعض القضايا التي لها صلة بإغناء اللغة العربية وإثرائها كاللهجات والاشتقاق.

1 ــ المشترك اللفظي:

عامل من عوامل نمو اللغة وتطور مفرداتها، وقد عرفه ابن فارس بقوله: " وتسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد، نحو عين الماء، وعين المال، وعين السحاب"(1).

أو هو: "اللفظ الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة"(2).

وقد عرض علماء العربية القدماء لهذه الظاهرة، فذهب سيبويه(3)، وابن فارس(4)، إلى:أنه يجوز أن يتفق اللفظان ويختلف المعينان، أما ابن درستويه(5) فأنكر أن يتفق اللفظان ويختلف المعنيان، إلا أن يأتيا على لغتين متباينتين.

ولا مجال للحديث عن حجية كل فريق فيما ذهب إليه.

وقد نالت هذه الظاهرة اللغوية عند علماء العربية عناية تمثلت فيما أفردوه لها من مؤلفات وبحوث.

ومن الأسباب المؤدية إلى نشوئها في اللغة اختلاف اللهجات، والتطور اللغوي، والاستعمال المجازي، والاقتراض اللغوي، والتطور الصوتي(6).

---

(1) الصاحبي في فقه اللغة: 96.

(2) المزهر: 396/1.

(3) الكتاب: 24/1.

(4) الصاحبي: 269.

(5) المزهر: 348/1.

(6) ينظر: المزهر: 369/1، والمشترك اللغوي لتوفيق محمد شاهين: 54، وفصول في فقه العربية: 325، وفي اللهجات العربية لإبراهيم أنيس: 195، وفقه اللغة لوافي: 192، والتفكير اللغوي عند العرب: 321.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ومن ذلك مثلا كلمة (أمة) فقد استخدمت في القرآن الكريم للدلالة على معـــان عـــدة منها:

1 ــ الجماعة[1] وذلك كما في قوله تعالى: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}[2].

2 ــ الحين: [3] كما في قوله تعالى: {وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ}[4].

3 ــ الملة: [5] كما في قوله تعالى: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ}[6].

فقد دلت في هذه الآيات على الجماعة، والحين، والملة.

والدارس لتفسير الثعالبي يدرك أن صاحبه من القائلين بوجود هذه الظاهرة في لغتنا العربية، ويتضح ذلك عند حديثه عن عدد من الألفاظ التي تضمن تفسيره، والتي يفهم من كلامه أنه يعدها منه ومن الأمثلة على ذلك:

قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[7].

قال المفسر: الرب في اللغة المعبود والسيد المالك، والقائم بالأمور المصلح لما يفسد منها. فالرب على الإطلاق هو رب الأرباب على كل جهة، وهو الله تعالى[8].

قال صاحب الصحاح: [9] الرب اسم من أسماء الله تعالى ولا يقـــال فـــي غيـــره إلا بالإضافة وقد قالوه في الجاهلية للملك وفيه قال الشاعر الحارث بن حلزة:

وهو الرب والشهيد على يو ≅ م الحيارين[10] والبلاء بلاء

ومنه قوله تعالى: {اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ}[11] أي عند ملكك.

---

(1) الجواهر الحسان: 356/1، المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني:23.

(2) آل عمران: 110.

(3) الجواهر الحسان: 326/2، المفردات في غريب القرآن 23.

(4) يوسف: 45.

(5) الجواهر الحسان: 4 – 166، المفردات في غريب القرآن: 23.

(6) الزخرف: 22.

(7) الفاتحة: 1.

(8) الجواهر الحسان: 36/1.

(9) الصحاح (ريب):

(10) لسان العرب (حير): 395/1.

(11) يوسف: 42، الجواهر الحسان: 325/2.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

فقد أورد لكلمة الرب معان عدة وهي المعبود، والسيد المالك والقائم بالأمور المصلح لما يفسد منها.

وفيه أيضا، قوله تعالى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ}[1].

قال المفسر: والقنوت في اللغة الطاعة، والقنوت طول القيام.

ومنه أيضا قوله تعالى: {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ}[2].

قال المفسر: والذكر في كلام العرب على أنحاء، وهذا منها ذكر القلب الذي هو ضد النسيان.

فقوله على أنحاء توحي لنا بأنه إقرار منه بالمشترك اللفظي، فهذه الكلمة يمكن أن تحمل دلالات عديدة واكتفى بواحدة منها دون سائر المعاني.

ومنه أيضا قوله تعالى: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}[3].

قال المفسر في تعليقه على ذلك: الدين في كلام العرب على أنحاء، وهو هنا الجزاء يوم الدين والحساب بها، قاله ابن عباس وغيره.

وقد دل عليه قوله تعالى: {يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ}[4].

فالدين في الآية بمعنى الجزاء.

والدين أيضا الطاعة كما قال الشاعر عمر بن كلثوم.

وأيام لنا غر طوال ≡ عصين الملك فيها أن ندينا[5]

وعلى هذا فكلمة الدين من المشترك اللفظي التي لها معان عدة.

وفيه أيضا قوله تعالى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}[6].

(1) البقرة: 116، والجواهر الحسان: 127/1.

(2) البقرة: 40، والجواهر الحسان: 73/1.

(3) الفاتحة: 4، والجواهر الحسان: 37/1.

(4) النور: 25، الجواهر الحسان: 177/3.

(5) الديوان: 213.

(6) الفاتحة: 6، والجواهر الحسان: 38/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

قال المفسر: والهداية في اللغة الإرشاد ولكنها تتصرف على وجوه ومنها خلق الإيمان في القلب نحو قوله تعالى: {أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ}[1].

وقوله: {يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[2]، و{إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ}[3] و {فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ}[4] .

فهذه الآيات لا يتجه حملها إلا على خلق الإيمان في القلب. كما جاء الهدى بمعنى الدعاء كقوله تعالى: {وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ}[5] أي داع.

و{وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[6] وقد جاء الهدى بمعنى: الإلهام. ومن ذلك قوله تعالى: {أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى}[7].

ومن المعاني التي جاء بها الهدى: البيان، ومن ذلك قوله تعالى: {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ}[8] أي بينا لهم، وقوله تعالى: {إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى}[9] أي علينا أن نبين.

فقد ذكر أن لكلمة الهداية عدة معان فهي بمعنى خلق الإيمان في القلب والدعاء، والإلهام، والبيان.

ومنه أيضا قوله تعالى: {وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[10].

قال المفسر: (قضى) معناه قدر، وقد يجيء بمعنى أمضى، ويتجه في هذه الآية المعنيان.

---

(1) البقرة: 5.
(2) البقرة: 213.
(3) القصص: 56.
(4) الأنعام: 125.
(5) الرعد: 7.
(6) الشورى: 52.
(7) طه: 50.
(8) فصلت: 17.
(9) الليل: 12.
(10) البقرة: 117، والجواهر الحسان: 127/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وقد يكون قضى بمعنى: أمر وألزم ومنه قوله تعالى: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}[1].

أما الملاحظات التي يمكن استخلاصها على ما ذكره الثعالبي في المشترك اللفظي فهي كالآتي:

1 ــ عدم النص باشتراك الألفاظ التي يوردها، وإنما يفهم ذلك من خلال السياق.

2 ــ عدم الإشارة إلى الأسباب المؤدية إلى نشوء هذه الظاهرة.

3 ــ تدعيم المادة اللغوية بالشواهد أحيانا الأمر الذي يكشف لنا عن المنهج الذي سلكه في عرضه لهذه الظاهرة.

4 ــ ومن ناصية القول أن الثعالبي اكتفى في غالب الأحيان بنقل آراء العلماء والمفسرين باختصار شديد، مما انعكس ذلك في تفسيره الأمر الذي أعطاه صبغة الاقتصاد في القول ولا عجب في ذلك فقد سمى كتابه المختصر.

2 ــ التضاد:

من الظواهر اللغوية التي أولاها علماء العربية عناية فائقة، وقد تجلت فيما أفردوه لها من مؤلفات.

ويراد به: "أن تؤدي اللفظة الواحدة معنيين مختلفين متضادين تنبىء كل عن المعنى الذي تحتها وتدل عليه وتوضح تأويله، نحو: الغابر الماضي والغابر: الباقي[2]، و"الجون" الأبيض، والجون الأسود أيضا[3].

وقد اختلف اللغويون في هذه الظاهرة، فذهبت طائفة ومنهم ابن درستويه[4] إلى إنكارها وذهبت طائفة أخرى إلى إثباتها وألفوا في ذلك الكتب والرسائل، ومن هؤلاء قطرب والأصمعي، والصغاني، وابن السكيت... وغيرهم. [5]

(1) الإسراء: 23، والجواهر الحسان: 467/2.

(2) الأضداد للصغاني: 46 ــ 47.

(3) الصاحبي في فقه اللغة: 98.

(4) المزهر: 396/1.

(5) حول التأليف: في الأضداد، ينظر: مقدمة محقق الأضداد للصغاني: 53 وما بعدها.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ونشوء هذه الظاهرة في العربية مردها إلى أسباب وعوامل أبرزها اختلاف اللهجات والاستعمال المجازي، والتفاؤل والتشاؤم والتطور اللغوي[1].

وليس من هدفنا مناقشة قضية التضاد وبيان ما دار حولها من خلاف بين علماء العربية وإنما حسبنا أن نشير إلى موقف الثعالبي وبيان منهجه في تناوله لهذه الظاهرة اللغوية.

هذا وقد أقر الثعالبي بوقوع الأضداد في العربية فقد وصف جملة من الألفاظ التي تعرض لها خلال تفسيره بأنها من الأضداد وذلك لورودها في اللغة دالة على المعنى وضده وإليك بعض الأمثلة على ذلك قال تعالى: {وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ}[2] والقرء في اللغة الوقت المعتاد تردده، فالحيض يسمى على هذا إقراء[3] وكذلك يسمى الطهر قرءا. ومنه قوله تعالى: {إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا}[4] الساعة يريد القيامة وآتية تحذير ووعيد، وقرا ابن كثير وعاصم (أكاد أخفيها) بفتح الهمزة بمعنى أظهرها: أي أنها من تيقن وقوعها تكاد تظهر لكن تحجب إلى الأجل المعلوم، والعرب تقول: خفيت لشيء بمعنى أظهرته وقرأ الجمهور "أخفيها" بضم الهمزة فقيل معناه أظهرها، وزعموا أن أخفيت من الأضداد[5] وفيه أيضا قال تعالى: {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى}[6] فـ "تقسطوا" معناه تعدلوا، يقال أقسط الرجل إذا عدل وقسط إذ جار[7].

ومنه قوله تعالى: {وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ}[8] وأسروا وتجيء بمعنى أخفوا وهي حينئذ من السر، وتجير بمعنى أظهروا وهي حينئذ من أسارير الوجه[9].

---

(1) المزهر: 389/1، وفصول في فقه العربية: 342، وفقه اللغة لوافي: 197، والتفكير اللغوي: 331.

(2) البقرة: 228.

(3) الجواهر الحسان: 212/1، الأضداد للصغاني: 112.

(4) طه: 15.

(5) الجواهر الحسان: 41/3، الأضداد للصغاني: 113.

(6) النساء: 3.

(7) الجواهر الحسان: 414/1، الأضداد للصغاني: 113.

(8) يونس: 54.

(9) الجواهر الحسان: 242/2، وقال القرطبي أسرو هنا من الأضداد ينظر: الجامع لأحكام القرآن 269/11. الأضداد للصغاني: 97.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

فالأضداد إذن من الظواهر التي خلفها لنا تباين المستويات الدلالية في اللهجات العربية القديمة، بحيث أن بعض الألفاظ صار يفيد معنى خاصا في لهجة ويفيد معنى مضادا له في لهجة أخرى، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن العربية المشتركة ما كانت قد اكتسبت خصائصها الأسلوبية والدلالية من لهجة بعينها، وإنما كانت مزيجا متجانسا من خصائص اللهجات العربية القديمة.

ومن الملاحظات التي يمكن الوقوف عندها في هذا المجال نذكر:

1 ــ اختلاف اللهجات من العوامل المساعدة على نشوء التضاد في اللغة الواحدة.

2 ــ الإقرار بوقوع التضاد في العربية.

3 ــ ورود الألفاظ المتضادة عنده في الأسماء والأفعال.

4 ــ عدم التصريح بمصطلح الألفاظ والاكتفاء بالسياق الذي يحدد ذلك.

5 ــ العناية بتوثيق المادة التي يعرضها، لتأكيد صحة الاستعمال اللغوي.

3 ــ الترادف:

يعد الترادف أحد الظواهر الدلالية التي أدركها علماء العربية وأولوها عناية خاصة منذ وقت مبكر، كنتيجة من نتائج رواية اللغة وجمعها من القبائل العربية المختلفة وتمثلت هذه العناية فيما أفردوه لها من مؤلفات وبحوث[1].

كما يعد الترادف عاملا من عوامل نمو اللغة، وقد عرفه علماء العربية بأنه: "اختلاف اللفظين والمعنى واحد"[2].

أو هو "توالي الألفاظ المفردة الدالة على معنى واحد باعتبار واحد كالإنسان والبشر"[3] فهو إذا دلالة عدة ألفاظ على معنى واحد.

وقد اختلف اللغويون بشأنه فابن فارس يرى: " أن الاسم واحد والباقي صفات وفي كل واحدة من هذه الصفات معنى ليس موجودا في الأخرى"[4] وهو مذهب ثعلب[5] حيث

(1) التفكير اللغوي: 287 .

(2) الكتاب: 24/1.

(3) المزهر: 402/1.

(4) الصاحبي: 96.

(5) المزهر: 404/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

يرى هذا الأخير: " أن كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد، ففي كل واحد منهما معنى ليس في صاحبه"[1].

وإذا كان هؤلاء العلماء الذين ألفوا في الترادف كالأصمعي والرماني يقرون بوجوده، فإننا نجد فريقا آخر منهم منع وقوعه في العربية، وفي مقدمتهم ابن درستويه[2] وإذا كان اختلاف اللهجات من العوامل المؤدية إلى نشوء الترادف في اللغة فهناك عوامل أخرى لا تقل أهمية عن الأولى، ومنها انتقال الدلالة من الحقيقة إلى المجاز، وشيوع استعمال الصفات والتطور اللغوي، والافتراض اللغوي[3].

وقد أورد الثعالبي نصوصا في هذه الظاهرة أمثل لها: ففي قوله تعالى: {وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ} [4] يقال: للمتزوج من الرجال البعل والزوج[5] وفيه أيضا قوله تعالى: {وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ}[6]. والعضل المنع وهو من معنى التضييق والتعسير، كما يقال أعضلت الدجاجة إذا عسر بيضا، والداء العضال: العسير البرء[7].

وقوله تعالى: {يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا}[8] فيمحق معناه ينقص، ويذهب، ومنه محاق القمر وهو انتقاصه[9].

ومن النصوص التي يمكن الاستدلال بها على هذه الظاهرة اللغوية قوله: (والآل)[10] في اللغة: الأهل، والقرابة، ويقال الأتباع وأهل الطاعة آل، والآل في الآية تحتمل

---

(1) المزهر: 399/1 ــ 400 .

(2) ينظر الخصائص: 193/2، والتفكير اللغوي عند العرب في العراق لصبحي التميمي: 287، ومقدمة شرح الفصيح لعبد الكريم عوفي: 238/1.

(3) ينظر: المزهر: 405/1، وفصول في فقه العربية: 315، والمشترك اللغوي: 223، وفي اللهجات العربية: 171، والتفكير اللغوي عند العرب: 304.

(4) البقرة: 228.

(5) الجواهر الحسان: 217/1.

(6) البقرة: 232.

(7) الجواهر الحسان: 217/1.

(8) البقرة: 275.

(9) الجواهر الحسان: 270/1.

(10) من قوله تعالى: (إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين) آل عمران: 33.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الوجهين، فإن أريد بالآل القرابة، فالتقدير أن الله اصطفى هؤلاء على عالمي زمانهم، أو على العالمين جميعا، بأن يقدر نبينا محمد ρ من آل إبراهيم وإن أردنا بالآل الأتباع، فيستقيم دخول أمة محمد ρ في الآل لأنها على ملة إبراهيم[1].

ومنه أيضا قوله تعالى: {تُبَوِّئُ}[2] معناه تعين، وتمكن وثبت[3].

ومنه: {لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا}[4] و{وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ}[5] وآثر بمعنى فضل[6].

هذه نماذج لبعض الألفاظ التي أشار إليها الثعالبي، وهي كما رأينا ذات صيغتين استخدمتا للدلالة على مسمى واحد، فهي ألفاظ مترادفة الهدف منها الاتساع والنماء في لغتنا العربية.

كما يمكن أن نرجع ذلك إلى اختلاف اللهجات فكل قبيلة اختارت الصيغة المناسبة لها للدلالة على المسمى.

ومما تقدم في هذه النصوص وغيرها تبين لنا أن العربي كان ينظر إلى الشيء فيلحظ فيه عدة صفات وكان كل قوم يرون أن إحدى هذه الصفات هي الغالبة فيصنعون لهذا الشيء اسما يشتقونه من لفظ يدل على هذه الصفة أو يطلقون عليه اسما بتخصيص معناه بعد ان كان عاما، أو نقل مجال دلالته لعلاقة قد تكون المشابهة وهو ما يسمى بالاستعارة، أو لعلاقة غير المشابهة كتسمية الشيء باسم مكانه وهو ما يسمى بالمجاز المرسل[7].

وبذلك يكون العربي قد استخدم ألفاظا للدلالة على المعاني وفق طرق مختلفة كالاشتقاق أو تخصيص الدلالة وانتقالها.

ومما يلاحظ على الثعالبي في تناوله لهذه الظاهرة:

1 ــ عدم النص على ترادف الألفاظ التي يوردها.

---

(1) الجواهر الحسان: 311/1.

(2) من قوله تعالى: (وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ) آل عمران: 121.

(3) الجواهر الحسان: 366/1 .

(4) يوسف: 91.

(5) البقرة: 47.

(6) الجواهر الحسان: 346/2.

(7) لهجة تميم: 592.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

2 ــ عرضه للمادة اللغوية يتماشى والدرس اللغوي الحديث، إذ نراه يورد نصوصا مشفوعة بالشواهد، الأمر الذي يقوي موقفه من هذه القضايا التي يعرضها.

3 ــ المادة اللغوية التي يعرضها من خلال هذه الظاهرة تعطينا صورة واضحة عن مدى اهتمام الثعالبي بمثل هذه القضايا اللغوية.

4 ــ تنوع الألفاظ المترادفة التي أوردها بين الاسمية والفعلية وفي أحايين كثيرة يجمع بينها في نص واحد.

5 ــ عدم التزام طريقة واحدة في ذكر المترادفات فهو أحيانا يذكر الكلمة ثم يتبعها بمرادفاتها وفي بعض المواضع يذكر مجموعة من الكلمات متبوعة بقوله: بمعنى واحد.

4 ــ الفروق الدلالية:

ويراد بها تلك الفروق الناتجة عن اختلاف الحركات، والحروف، والصيغ وموادها وردت مبثوثة في ثنايا التفسير، لأن منهجه ومبتغاه الكشف عن غوامض الكلم، لذلك جاءت مواده متنوعة الوظائف، وللوقوف على مراد المفسر اخترت مجموعة من النصوص التي تمثل هذه الظاهرة، ومن أبرز الفروق الدلالية التي أوردها.

أ ــ الفرق بالحركة:

وهي السمة الغالبة على النصوص المعروضة من قبل المفسر، والتي تبين عن المعاني التي ترد على الكلمة باختلاف الحركات عليها وهذا على حد تعبير ابن درستويه: "إعلموا أنه ليست كلمة تأتي بحركتين مختلفتين، إلا لاختلاف معنييهما، ولا يجوز أن تختلف الحركتان والمعنى فيهما واحد، لأن كل حركة موضوعة لمعنى، كما أن كل حرف لمعنى"[1].

ومن ذلك قوله تعالى: {وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ}[2] وقد فرق الثعالبي بالكسر والضم في كلمة "كبره" فهي بكاف مكسورة مصدر الفعل كبر الشيء وعظم، ولكن

(1) ابن درستويه اللغوي: 277.

(2) النور: 11.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

استعمله العرب ضم الكاف في السن[1].

وفرق بالفتح والضم في كلمة "أرى" وأرى بفتح الهمزة تقولها في ما قد صح نظرك فيه، وأما أرى بضم الهمزة تقولها فيما عندك فيه نظر[2].

وقوله والأحبار واحدهم حبر: بسكر الحاء وفتحها، وكثر استعمال الفتح فرقا بينه وبين الحبر الذي يكتب به[3].

كما فرق بالكسر والفتح في كلمة "ديار" [4] فبكسر الهمزة مصدر وبالفتح جمع دبر كطنب وأطناب[5].

وفرق بين الفتح والكسر في كلمة "حبا" [6] فبالفتح جمع حبة وهو كل ما يتخذه الناس ويربونه وبالكسر كل ما ينبت من البزور لا يحفل به ولا هو بمتخذ[7].

ب ــ الفرق بالحرف:

وهو اختلاف دلالة الكلمة باختلاف الحرف، ومما ورد في "الجواهر الحسان" ما ذكره الثعالبي في قوله تعالى: { وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ }[8] بالضاد بمعنى ببخيل بتبليغ ما قيل له كما يفعل الكاهن حين يعطي حلوانه، وبالظاء أي بمتهم[9].

ويلاحظ أن الثعالبي في هذا النص اكتفى بذكر الفرق الدلالي الناجم عن تغير الحروف في الكلمة دون أن يقدم لذلك تعليلا صوتيا يجدد مجال استخدام الألفاظ.

ومما ورد في التفسير حول هذه الظاهرة قال تعالى: {وَلَا تَجَسَّسُوا }[10] قال الثعالبي: وقرأ الحسن وغيره (ولا تجسسوا) بالحاء المهملة، وقال بعض الناس التجسس بالجيم في الشر، وبالحاء في الخير[11].

---

(1) الجواهر الحسان: 173/3.

(2) المصدر نفسه: 298/1.

(3) المصدر نفسه: 554/1.

(4) من قوله تعالى: (ومن الليل فسبحه وأدبار السجود) ق:40.

(5) الجواهر الحسان: 275/4.

(6) من قوله تعالى: (فأنبتنا فيها حبا) عبس 26.

(7) الجواهر الحسان: 565/4.

(8) التكوير: 24.

(9) الجواهر الحسان: 573/4.

(10) من قوله تعالى: (وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا). الحجرات. 12

(11) الجواهر الحسان : 259/4.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

5 ــ ظواهر لغوية عامة:

لم يأل الثعالبي جهدا في الكشف عن بعض الظواهر اللغوية، بالإضافة إلى ما تم تناوله في المباحث المتقدمة، وإنما هناك ظواهر لغوية أخرى توقف عندها ذلك نظرا لقيمتها العلمية، ارتأيت الوقوف عندها كالاشتقاق واللهجات.

أ ــ اللهجات العربية:

مفهوم اللهجة العربية وعلاقتها باللغة:

اللهجة لغة اللسان، أو جرس الكلام، أو هي اللغة التي جبل عليها الإنسان فاعتادها ونشأ عليها[1].

وفي اصطلاح اللغويين: طائفة من المميزات اللغوية ذات نظام صوتي خاص تنتمي إلى بيئة خاصة ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد تلك البيئة[2].

وهذه البيئة قسم من بيئة أعم وأشمل تنتظم لهجات عدة وهي متميزة الواحدة عن الأخرى بظواهرها اللغوية، ولكنها تأتلف فيما بينها بظواهر لغوية أخرى تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث فهما يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات[3].

ومن هنا فالعلاقة بين اللهجة واللغة علاقة العام بالخاص، لأن اللغة، (أي لغة) تشتمل على عدة لهجات لكل منها ما يميزها، وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية والعادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات.

ومن الملاحظات الجديرة بالذكر هنا، أن اللهجة تعد رافدا من الروافد التي تمد اللغة بما تحتاج إليه في مسيرتها من عوامل النمو والتطور، ولم يكن هناك صراع بينهما، إن ما يثار من نقاش حول وجود صراع بين اللغة واللهجة إنما هو كلام المتحذلقين لا أساس له من الصحة.

وأما السبب في وجودها فيعود إلى عوامل منها الانعزال بين بيئات الشعب الواحد، والصراع اللغوي نتيجة الغزوات والهجرات، زيادة على بعض العوامل الاجتماعية

---

(1) اللسان (لهج): 395/3.

(2) في اللهجات العربية: 16.

(3) التطور اللغوي التاريخي لإبراهيم السامرائي: 28.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

والسياسية والجنسية والأخطاء السمعية، وتغير مدلول بعض الكلمات، وانتقال بعض الكلمات من لغة إلى أخرى، وانقراض الكلمات، وما إلى ذلك من العوامل التي لا يتسع المقام لذكرها[1].

وما ورد في التراث العربي يشير إلى أن العرب كانوا يستعملون اللغة في معنى اللهجة في كثير من الاستعمالات اللغوية، ومن ذلك ما ورد في الحديث النبوي الشريف حيث قال ρ: " نزل القرآن بسبع لغات"[2]. وترادف كلمة "لهجة" مجموعة من الكلمات العربية هي اللغة، اللسان، اللحن، الخطأ، والعامي[3].

فدراسة اللهجات في اللغة الواحدة تعد عاملا مساعدا لفهم طبيعة تلك اللغة ومراحل نشأتها وتطورها وبيان تاريخها والكشف عن تأثير البيئة في ذلك كله.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام، أن اهتمام العلماء باللهجات القديمة كان قليلا قياسا باهتمام المحدثين باللهجات المعاصرة، والسبب في ذلك يعود إلى صعوبة البحث فيها، لأن ما روي منها جاء مبعثرا بين ثنايا كتب اللغة والأدب والتاريخ والمعاجم.

فإشارتهم إليها في ثنايا هذه الكتب يعد عملا عظيما ينبىء على سلامة الفكر وحسن النية، وبذلك تركوا لنا زادا وافرا خاصة فيما يتعلق "بلغات القرآن"[4].

ويظهر لي من خلال النصوص الواردة في تفسير "الجواهر الحسان" أن الثعالبي استأنس بآراء اللغويين والمفسرين في الإشارة إلى هذه الظاهرة اللغوية. وكان هدفه إفادة الدارس واطلاع القارىء بأساليب استعمالها في منطق القبائل العربية ومن النصوص التي حملها لثعالبي على هذه الظاهرة أذكر:

ففي قوله تعالى: {وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ}[5] يحتمل وجهين وبكليهما قيل، أحدهما أن (ما) معطوفة على قوله (لاستكثرت) أي ولما مسني السوء.

والثاني: أن يكون الكلام مقطوعات تم في قوله: (لاستكثرت من الخير) وابتدأ بخبر ينفي السوء عنه وهو الجنون الذي رموه به، والسوء الجنون بلغة هذيل[6].

---

(1) في اللهجات العربية 21، وفقه اللغة لوافي: 131 ــ 148.

(2) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: 250/1، واللغويين والمفسرين كلام طويل حول هذا الحديث.

(3) لحن العامة لعبد العزيز مطر: 19.

(4) حول التأليف في لغات القرآن ينظر: الفهرست لابن النديم: 59.

(5) الأعراف: 188.

(6) الجواهر الحسان: 94/2.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ومنه في قوله تعالى: {طُوبَى}[1]. واختلف في[2] معنى "طوبى" فقال ابن عباس"طوبى" اسم الجنة بلغة الحبشة، وقيل "طوبى" اسم الجنة بالهندية، وقيل "طوبى" اسم شجرة في الجنة[3] وبهذا توترت الأحاديث قال رسول الله ρ "طوبى اسم شجرة في الجن يسير الراكب المجد في ظلها مائة عام لا يقطعها".

فقد عزا المفسر "طوبى" بمعنى الجنة، إلى كل من لغة الحبشة واللغة الهندية، ولم يعز اللغة التي تستعمل "طوبى" بمعنى الشجرة، واستدل عليها بأحاديث عديدة. وهو ما يصعب من مهمة الباحث في الوصول إلى القوم الذين يستخدمون في لغتهم ذلك. ومن ذلك قوله تعالى: {إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا}[4].

قيل فيه إنه سمي العنب خمرا لغة أزد عمان.

ومن النصوص التي استدل بها المفسر على هذه الظاهرة ما أشار إليه في قوله تعالى: {أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا}[5] "ييأس" معناه يعلم وهي لغة هوازن[6]، وقرأ علي بن ابي طالب وابن عباس وجماعة "أفلم يتبين".

ومنه قوله تعالى: {أَوِّبِي}[7] معناه أرجعي معه، قال ابن عباس وغيره معناه: يا جبال سبحي معه، و "أوبي" سبحي بلغة الحبشة[8].

ومنه قوله تعالى: {هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ}[9] قال قتادة "الغساق" ما يسيل في صديد أهل النار، وقال الصفاقسي "الغساق" السائل، وعن أبي عبيدة البارد المنتن بلغة الترك، وقرأ الجمهور "غساق" بتخفيف السين وهو اسم بمعنى السائل[10]. ومنه في قوله تعالى:

---

(1) من قوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ) الرعد: 29.

(2) الجواهر الحسان: 368/2.

(3) النهاية في غريب الحديث: 280/2

(4) يوسف: 36، ينظر الجواهر الحسان: 321/2.

(5) الرعد: 31.

(6) الجواهر الحسان: 370/2.

(7) من قوله تعالى: (يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ) سبأ: 10.

(8) الجواهر الحسان: 371/3.

(9) ص: 57.

(10) الجواهر الحسان: 61/4.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

{قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ}[1] قال المفسر: وفي جبريل لغات: جبريل بكسر الجيم والراء من غير همز، وبها قرأ نافع وجبريل: بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز، وبها قرأ ابن كثير[2].

هذه هي النصوص التي وقفت عليها من خلال قراءتي لتفسير "الجواهر الحسان" والتي من خلالها تبدو ملامح منهجه وما يمكن ملاحظته أمورا منها:

1 ــ استعمال مصطلح "اللغة" في كل النصوص الواردة في التفسير، ولم يشر إلى مصطلح "اللهجة".

2 ــ ضبط اللهجات التي أوردها بالعبارة، كقوله، بالكسر والفتح.

3 ــ تدعيم المادة اللهجية بالقراءات القرآنية، وذكر اسم القارىء مما يسهل على القارىء معرفة قول الناطقين بها.

4 ــ الإشارة إلى بعض أوجه التطور اللغوي من خلال اللهجات التي يوردها كالهمز والتسهيل.

5 ــ نسبة غالبية اللهجات التي أوردها في تفسيره إلى القبائل الناطقة بها وهو أمر يدفع الباحث إلى الاطمئنان من حيث رسم حدود المسلك اللغوي المستعمل لدى القبائل العربية.

6 ــ ولا يفوتني أن أشير في هذا المقال إلى أن الثعالبي قد أشار إلى بعض الألفاظ التي دخلت من لغات أخرى.

وقد أطلق عليها علماء العربية قضية المعرب والدخيل.

ب ــ الاشتقاق:

هو انتزاع كلمة من كلمة أخرى بتغير في الصيغة مع تشابه بينهما في المعنى والهدف منه توليد ألفاظ جديدة لحاجة اللغة إليها.

وللإشتقاق تعاريف متعددة وإن اختلفت لفظا فهي متفقة معنى[3].

---

(1) البقرة: 97.

(2) الجواهر الحسان: 115/1.

(3) ظاهرة الاشتقاق في اللغة العربية لمحمد دراز: 367.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ومنها ما أوضحه الدكتور صبحي الصالح رحمة الله عليه بقولـــه: " توليـــد لـــبعض الألفاظ من بعض والرجوع بها إلى اصل واحد، يحدد مادتها ويوحي بمعناهـــا المشـــترك الأصيل مثلما يوحي بمعناه الخاص"[1].

هذا وقد ألف الأستاذ عبد الله أمين كتابا كاملا في الاشتقاق، ورأى أنه ينقســـم إلـــى أربعة أقسام[2].

1 ــ الصغير، وهو انتزاع كلمة من أخرى بتغير في الصيغة مع تشابه بينهما فـــي المعنى.

2 ــ الكبير: ويقصد به انتزاع كلمة من أخرى بتغير في بعض أحرفها مـــع تشـــابه بينهما في المعنى واتفاق في الأحرف الثابتة.

3 ــ الكبار: وهو ما سماه ابن جني بالاشتقاق الكبير أو الأكبر، أي القلب.

4 ــ الكبار: بتشديد الباء، وهو المعروف عند اللغويين بالنحت.

وقد أقره علماء العربية بدراسات وافية منذ وقت مبكر، ومن كتب الاشـــتقاق التـــي وصلتنا: " اشتقاق الأسماء للأصمعي، والاشتقاق لابن دريد، واشتقاق أسماء الله للزجـــاج" وللمحدثين من علمائنا مؤلفات وبحوث ومقالات كثيرة فيه[3].

ويعد الاشتقاق أحد عوامل نمو اللغة العربية وثراء مفرداتها، لأنه يجعلهـــا تســـاير المستجدات الحضارية والفكرية[4].

ويعد الاشتقاق من الظواهر اللغوية التي استعان بها الثعالبي في تقديم مادة مشروحة ومفسرة لألفاظ القرآن الكريم، تناول فيها اشتقاق الأسماء والأفعال وبيان أصـــولها التـــي اشتقت منها، ويبدو أنه ارتضى منهج اللغويين فاقتفى أثرهم، وقد حمل على ذلك جملة من الألفاظ وردت في ثنايا التفسير.وقد انتخبت مجموعـــة مـــن النصـــوص ســـأتناولها فـــي مجموعات[5] حسب اصطلاحـــه

عليها مشفوعة ببعض الملاحظات التي توضح معالم منهجه في تناولها.

---

(1) دراسات في فقه اللغة: 174.

(2) ظاهرة الاشتقاق: 367.

(3) عن تراث العرب في الاشتقاق، ينظر: الاشتقاق لابن دريد، تحقيق عبد السلام محمد هارون 28 ــ 30.

(4) فصول في فقه العربية: 290، وينظر: مقدمة شرح الفصيح: 250/1.

(5) لقد استفدت من منهج أستاذي الدكتور عبد الكريم عوفي في شرح الفصيح، 251/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

1 ــ المجموعة الأولى:

وفيها يذكر المفسر الصيغة المشتقة دون ذكر مصطلح الاشتقاق، وهي طريقة معروفة ومشهورة لدى علماء الصرف، مما حمله على ذلك:

قال تعالى: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ}[1] والأمر من أمر يأمر[2].

ومنه قوله تعالى: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ}[3] والطوفان من قولك طاف يطوف فهو عام في كل شيء يطوف، إلا أن استعمال العرب له كثيرا في الماء والمطر الشديد قال ابن عباس وغيره الطوفان في هذه الآية هو المطر الشديد[4].

ــ كما أشار إلى ذلك في قوله تعالى: {إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ}[5] وقوله: "أمنة" مصدر من أمن يأمن أمنا وأمنة وأمانا والهاء فيه لتأنيث المصدر كما هي في المساءة والحماقة والمشقة[6].

وفي قوله تعالى: {بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ}[7] و "براءة" معناه تخلص وتبر من العهود التي بينكم وبين الكفار المبادئين بالنقض، تقول برأت من الشيء، أبرأ براءة فأنا منه بريء إذ أنزلته عن نفسك وقطعت سبب ما بينك وبينه[8].

وفيه: القرآن مصدر من قولك قرأ الرجل إذا تلا يقرأ قراءة وقرآنا[9].

ومنه أيضا قال تعالى: {أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ}[10].

والهيئة مصدرها الشيء يهيء هيئة[11].

---

(1) الأعراف: 54.

(2) الجواهر الحسان: 33/2.

(3) الأعراف: 133.

(4) الجواهر الحسان: 63/2.

(5)الأنفال: 11

(6) الجواهر الحسان: 114/2 ــ 115.

(7). التوبة: 1.

(8) الجواهر الحسان: 151/2.

(9) الجواهر الحسان: 29/1.

(10) آل عمران: 49.

(11) الجواهر الحسان: 322/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ـ المجموعة الثانية:

وفيها يستخدم المفسر مصطلح " الأخذ" ومن النصوص المحمولة على ذلك: في قوله تعالى: "ختم"[1] مأخوذ من الختم، وهو الطبع والخاتم الطابع[2].

ومنه قوله تعالى: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا}[3] قال المفسر: الربا هو الزيادة مأخوذ من ربا يربو إذا نما وزاد على ما كان عليه[4].

وفي قوله تعالى: {الدُّنْيَا} [5] مأخوذة من دنا يدنو[6].

وفيه أيضا: قال تعالى: {مُرْسَاهَا}[7] معناه مثبتها ومنتهاها، مأخوذ من أرس يرسي[8].

ومنه قوله تعالى: {شَاقُّوا}[9] معناه خالفوا ونبذوا وقطعوا وهو مأخوذ من الشق وهو القطع والفصل بين شيئين[10].

ومنه قوله تعالى: {كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ}[11]، و(الدأب) العادة في كلام العرب، وهو مأخوذ من دأب على العمل إذا لازمه[12].

ـ المجموعة الثالثة:

وفيها يصرح المفسر لفظا بمصطلح الاشتقاق ومما أورده على ذلك من نصوص:

قوله: (بسم الله) واسم أصله سمو بكسر السين أو سمو بضمها وهو عند البصريين

---

(1) من قوله تعالى: (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ) البقرة: 7.

(2) الجواهر الحسان: 47/1.

(3) البقرة: 275.

(4) الجواهر الحسان: 269/1.

(5) من قوله تعالى: (فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) البقرة: 85.

(6) الجواهر الحسان: 107/1.

(7) من قوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنْ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا) الأعراف: 187.

(8) الجواهر الحسان: 93/2.

(9) من قوله تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقَّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) الحشر: 04.

(10) الجواهر الحسان: 116/2.

(11) الأنفال: 52.

(12) ـ الجواهر الحسان: 137/2.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

مشتق من السمو، وهو العلو والارتفاع[1].

ومنه قوله تعالى: {الزُّورِ}[2] مشتق من الزور وهو الميل، ومنه في جانب فلان زور ويظهر الإشارة إلى زور أقوالهم في تحريم وتحليل ما كانوا قد شرعوا في الأنعام[3].

ومنه قوله تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ}[4] فالشهر مشتق من الاشتهار[5].

ـ المجموعة الرابعة:

وفيها يذكر المفسر سبب تسمية الأشياء، وهي إشارات واضحة إلى الاشتقاق ومما حمله على ذلك قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا }[6] فـ "زحفا" يراد به مقابلي الصفوف والأشخاص، أي يزحف بعضهم إلى بعض، وأصل الزحف الاندفاع على الألية، ثم سمي كل ماش إلى آخر في الحرب رويدا زاحفا، إذ في مشيته ما في مشي الزاحف[7].

وفيه أيضا قوله تعالى: {وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ}[8] و "البدن" جمع بدنة وهي ما أشعر من ناقة أو بقرة، وسميت بذلك لأنها تبدن أي تسمن[9]. ومن ذلك أيضا: {ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ} [10] فالقرية: المدينة، سميت بذلك لأنها تقرت اجتمعت، ومنه قريت الماء في الحوض، أي جمعته[11].

---

(1) الجواهر الحسان: 34/1.

(2) من قوله تعالى: (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنْ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ) الحج: 30.

(3) الجواهر الحسان: 121/3.

(4) البقرة: 185.

(5) الجواهر الحسان: 171/1.

(6) الأنفال: 15.

(7) الجواهر الحسان: 177/2.

(8) الحج: 36.

(9) الجواهر الحسان: 124/3.

(10) البقرة: 58.

(11) الجواهر الحسان: 88/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وفيه {وَالسَّحَابِ} [1] جمع سحاب، سمي بذلك لأنه ينسحب[2].

هذه بعض النصوص التي ارتأيت أن أقف عندها لأوضح المسلك اللغوي الذي نهجه الثعالبي في تناوله لظاهرة الاشتقاق وقد بدالي من خلاله ما يلي:

1 ــ أن الثعالبي تعرض لظاهرة الاشتقاق بمعناه العام، وهو ما عرف عند الأصمعي وابن دريد وذلك بأن يشير إلى اللفظ المشتق أو المأخوذ من كذا، وهو ما يعرف بالاشتقاق اللغوي[3].

2 ــ لم ينص المفسر في كثير من النصوص على أن اللفظ مشتق من كذا كما مر بنا وهذا النوع هو المعروف بالاشتقاق الكبير.

3 ــ تنوع المصطلح الذي يعبر به عن الاشتقاق، كقوله: مشتق، ومأخوذ وهو من كذا، أو سمي بكذا.

4 ــ عناية الثعالبي بظاهرة الاشتقاق تعكس لنا مدى معرفة المفسر بأنه وسيلة من وسائل تطوير اللغة وتنويع مفرداتها.

5 ــ توثيق المادة اللغوية بالشواهد.

(1) من قوله تعالى: (وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) البقرة: 164.

(2) الجواهر الحسان: 157/1.

(3) مقدمة الفصيح: 253/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ثانيا: دراسة المعجم

أ – المعجم المصطلح والفكرة.
ب – نشأة الفكرة المعجمية عند العرب وتطورها.
جـــ – دراسة المعجم

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

أ- المعجم المصطلح والفكرة:

1 ــ مفهوم المعجم لغة:

إذا ذهبنا إلى كتب التراء اللفظي في اللغة العربية لنستجلي المعنى المقصود بهذه المادة اللغوية (عجم) نجد لها شروحا تخالف الهدف المنشود من إنشاء المعجم.

ولعل من المفيد للقارئ والمتعلم، أن يكون على بينة من أن الهدف الأساسي من وضع المعاجم هو إزالة الغموض عن الألفاظ وكشف الإبهام عنها.

ومن هذه الشروح ما أورده الخليل بن أحمد (ت 175هـ) حيث قال:"العجم ضد العرب، ورجل أعجمي : ليس بعربي من قوم عجم، والأعجم: الذي لا يفصح، وامرأة عجماء: بينة العجمة... والأعجم: كل كلام ليس بعربي" [1].

وأما ابن فارس فقد أوضحه بقوله:" العجم: الرجل الذي لا يفصح ، وقولهم العجم الذين ليسوا من العرب كأنهم لم يفهموا عنهم"[2].

فتصريف مادة" عجم" موضوع في كلامهم للإبهام وعدم الإيضاح.

وأما إذا زيدت الهمزة فقيل (أعجم) دل ذلك على غرابة الإبهام والخفاء يقول ابن جني" ثم إنهم لما قالوا: أعجمت الكتاب إذا بينته وأوضحته، فهو إذا لسلب معنى الاستبهام لا إثباته" [3].

كما قالوا عجمت الكتاب أي أزلت عنه استعجامه[4] .

وإلى هذا أشار الخليل بن أحمد بقوله:" وتعجيم الكتاب: تنقيطه كي تستبين عجمته ويصح"[5].

فالمعنى الذي تؤديه كلامة" أعجم" هو إزالة الغموض الذي يكتنف اللفظة ومن هنا أطلق على نقط الحروف لفظ الإعجام، لأنه يزيل ما بها من إبهام وغموض ،ومن ذلك اشتقت لفظة" المعجم" التي تطلق على الكتاب الذي بجمع ألفاظ لغة ما مقرونة بالشرح والترتيب.

---

(1) العين (عجم)1 / 274

(2) المقاييس (عجم) 239/4

(3) الخصائص 76/3.

(4) المعجم العربي13/1.

(5) العين 1 / 274

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وكلمة " معجم" كما ذهب إليه المبرد مصدر بمنزلة الإعجام أي من شأن هذه الحروف أن تعجم وهو رأي اخذ به ابن جني واستحسنه[1] .

2 ــ المعجم إصطلاحا:

تعد صناعة المعاجم عبر التاريخ دليل يقظة وأمارة احترام الشعوب للغتها، وحفظها من الضياع، باعتبارها من أهم مقوماتها.

وإذا كانت الأمم والشعوب تتسابق وتتبارى في استعمال الحاسبات الإلكترونية في تخزين المعلومات فقد كان لمعاجم الأقدمين فضل السبق في هذا المجال، على قدر الإمكانيات المتاحة لهم آنذاك.

وللمعاجم تاريخ قديم عنى به اللغويون وفاء للغتهم، فحفل الدرس اللغوي بأعمال ودراسات قيمة في هذا المجال.

والمعجم كتاب يضم بين دفتين اكبر عدد ممكن من مفردات اللغة مصحوبة بشرح معناها، واشتقاقها، وطريقة نطقها، وشواهد تبيين مواضع استعمالها، ومرتبة ترتيبا خاصا على حسب حروف الهجاء أو الموضوعات[2]، مضافا إليها ما يناسبها من المعلومات التي تفيد القارئ للوصول إلى بغيته أو هو عبارة عن وعاء تحفظ فيه اللغة"[3].

مع ترتيب هذه الألفاظ حسب حروف المعجم، لذا قيل بأن المعجم :" ديوان لمفردات اللغة مرتب على حروف المعجم"[4].

لفظة "معجم" تجمع على معجمات باعتبارها جمع مؤنث سالم.

أما جمعها على "معاجم" فهي محل خلاف بين العلماء، فالأستاذ مصطفى جواد[5] لا يجيز هذا الجمع، وحجته في ذلك أن المعاجم" جمع "المعجم" وهو موضع العض.

واستشهد بقول الزمخشري:" وفلان صلب المعجم لمن إذا عجمته الأمور وجدته متينا"[6]، فالمعاجم عنده جمع المعجم. ولعل الدافع الذي أدى به إلى إنكاره لهذا الجمع،

---

(1) صناعة الإعراب 40/1.

(2) مقدمة الصحاح 38، وعلم اللغة العام 166.

(3) كلام العرب لحسن ظاظا 121.

(4) المعجم الوسيط (عجم) مجمع اللغة العربية القاهرة 586/2.

(5) مصطفى جواد وأداءه في علم الصرف 152.

(6) أساس البلاغة (عجم) للزمخشري 347/2.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

قول سيبويه بشأن الأسماء التي جاءت على (مفعل ومفعل):" فمجرى الكلام الأكثر أن يجمع بالواو والنون، والمؤنث بالتاء إلا انهم قالوا: منكر ومناكير، ومفطر ومفاطير، وموسر ومياسير"[1]

وعلى هذا القياس جمع مصطفى جواد كلمة معجم على "معاجيم".

إلا أن الواقع اللغوي يجيز جمعها على "معاجم" بدليل وجود ألفاظ في اللغة العربية من هذا النوع جمعت جمع تكسير مثل: مرسل ومراسل، ومسند ومساند[2]. هذا وقد أقر هذا الجمع مجمع اللغة العربية بالقاهرة وذكره في المعجم الوسيط من مادة"عجم"[3] .

3 ــ أول من استخدم مصطلح المعجم:

لا نعلم على وجه الدقة متى أطلقت كلمة المعجم بالمعنى المتعارف عليه اليوم ولا اسم من أطلقها أول مرة، ولا الكتاب الرائد الذي حمل هذه الكلمة عنوانا له، والسبب في ذلك يعود إلى ضياع كثير من تراثنا القديم. [4]

غير انه يبدو من خلال المصادر التي وصلتنا، أن رجال الحديث كانوا السابقين إلى استعمال هذه الكلمة بالمعنى الشائع بيننا اليوم، وأن الإمام التجاري (ت 256هـ) قد أورد في صحيحه (باب تسمية من سمي من اهل بدر في الجامع الذي وضعه أبو عبد الله على حروف المعجم) [5].

ويمكن ان نتتبع بدايات ظهور مصطلح المعجم في التراث العربي على النحو التالي: [6]

حيث نسب ابن النديم[7] لبزرج العروصي كتاب (معاني العروض على حروف المعجم). كما نسب ياقوت[1] لحبيش بن مرسي الطبي كتاب (الأغاني على حروف المعجم)، والذي ألفه للمتوكل (ت 247هـ).

---

(1) الكتاب 641/3.

(2) البحث اللغوي عند العرب 152.

(3) المعجم الوسيط (عجم) 586/2.

(4) المعجم العربي 13/1

(5) صحيح البخاري 203/5.

(6) ينظر حول هذه الفكرة : المعجم العربي 13/1-14.

(7) الفهرست 325.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

أي أن العبارة استخدمت في القرن الثالث.

ثم توالت المؤلفات التي حملت هذا المصطلح في عنوانها في القرن الرابع حيث ألف يعلى أحمد بن علي بن المثنى محدث الجزيرة (ت 307هـ) كتابا بعنوان (معجم الصحابة)، وأبو القاسم البغوي المعروف بابن بنت منيع (ت 315هـ) وقد سمي كتابيه اللذين ألفهما في أسماء الصحابة "المعجم الكبير" ، و"المعجم الصغير".

إلا ان هذه المؤلفات أتت عليها عوائد الزمن ولم تصل إلينا.

وكان قصدهم من ذلك الترتيب على الحروف لا غير، ولكن أهل اللغة طوروا استخدامها ممهدين لاستعمالها مصطلحات لمعجمات اللغة. (2)

هذا من جهة أما جهة إطلاق هذه الكلمة عند أهل اللغة فإن الباحثين لم يجدوا لذلك أثرا في المراجع القديمة، غير انه ليس بمستبعد أن أطلق عليها في الوقت نفسه، لاشتراكها مع الكتب السابقة في الترتيب على حروف المعجم، فالدلالة الملاحظة هنا في الاسم هي الترتيب لا الجمع. (3)

وعلى الرغم من ذلك فقد ذهب الدكتور إبراهيم السامرائي إلى "أنه لم يطلق على المعجم، اسم المعجم إلا في أواخر القرن الرابع الهجري، أما قبل ذلك فهو كتاب وأول معجم بهذا الاسم هو" معجم مقاييس اللغة"(4).

وبالعودة إلى كتاب "مقاييس اللغة" لابن فارس لم اجد شيئا مما ذكره السامرائي سوى ما ذكره في آخر الكتاب حيث قال:

" والحمد لله أولا وآخرا وباطنا وظاهرا والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله أجمعين الطيبين، قد وقعت الفراغة من كتابة كتاب مقاييس اللغة"(5).

هذا ولم ترد كلمة المعجم فيه، ولعل التسمية من إضافة محقق الكتاب المرحوم عبد السلام محمد هارون،إن لم يكن السامرائي اعتمد على نسخة خطية غير مطبوعة وردت فيها كلمة المعجم.

---

(1) معجم الأدباء 220/7.

(2) الدراسات اللغوية عند العرب 221.

(3) المعجم العربي 14/1.

(4) محاضرات في فقه اللغة 6.

(5) مقدمة مقاييس اللغة لابن فارس. 38/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

4 ــ المعجم والقاموس:

هناك اسم للمعجم هو القاموس اشتهر بعد إطلاق الفيروز ابادي له على معجمه. وقد شرح ابن دريد هذا المصطلح بقوله: "القمس: الغوص في الماء، ومن ذلك قاموس البحر"[1].

وأما ابن منظور فقد أوضحه بقوله: " قمس في الماء يقمس قموسا: انغط ثم ارتفع"[2]، وهو معنى بعيد عما ذكرناه من معنى (عجم) غير أن الفيروز أبادي (ت 817هـ) قد أطلق على المعجم مصطلح "القاموس" ويقصد به البحر العظيم، وقد صر ح بذلك في مقدمة كتابه:" وأسميته القاموس المحيط : لأنه البحر الأعظم"[3].

وكأني به أراد أن يجعل اسمه دالا على أنه محيط بلغة العرب إحاطة البحر بالمعمورة.

واستمر هذا المصطلح عنوانا لمعاجم في فترات لاحقة، حتى وقتنا الحاضر، كما أقر مجمع اللغة العربية بالقاهرة هذا الاستخدام، وذكره ضمن معاني كلمة "قمس" في معجمه المسمى" المعجم الوسيط" [4].

وبذلك أصبحت كلمة "القاموس " مرادفة في الاستعمال كلمة المعجم، فصار كل معجم قاموسا.

ب ــ نشأة الفكرة المعجمية عند العرب:

كان الدافع الأساسي الذي دفع اللغويين إلى وضع معجماتهم، هو الدافع نفسه الذي دفعهم إلى وضع كتبهم السابقة، وهو خدمة القرآن الكريم، وصون اللغة من الخطأ والضياع.

أي أن الفكرة المعجمية نشأت عند العرب نشأة قرآنية، من اجل بيان معانيه وشرح غريبة، ومعالجة ألفاظه وصونه من اللحن الذي بدأ يتفشى على ألسنة الناس بعد دخول الموالي الأعاجم في الدين الإسلامي، واتساع رقعة الدولة الإسلامية واختلاط

(1) جمهرة اللغة (قمس) 42/3.

(2) اللسان (قمس) 162/3.

(3) القاموس المحيط للفيروزبادي 3/1.

(4) المعجم الوسيط (قمس) 758/2.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الشعوب، وبدأ الناس يسألون أهل العلم عن معاني الألفاظ التي تغمض عليهم، خاصة إذا عرفنا أن الأسلوب القرآني لم يكن بمستوى العامة من الناس.

وممن هرع إليه هو (ابن العباس)، وقد حفظ لتاريخ لنا بعض هذه المواقف منها سؤالات نافع بن الأزرق لابن عباس عن دلالات مجموعة من الألفاظ القرآنية، وهل وردت على لسان العرب قبل نزول القرآن الكريم، فأجابه ابن عباس معتمدا على ما امتلكته من ثروة لغوية وعلم واسع بالعربية وأسرارها، حيث كان يشرح اللفظة ويستشهد عليها بالشعر العربي وفي ذلك [1] قول نافع : أخبرني عن قوله تعالى: **{ابتغوا إليه الوسيلة}** [2] قال: الوسيلة ك الحاجة قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم أما سمعت عنترة وهو يقول:

إن الرجال لهم إليك وسيلة ≅ إن يأخذوك تكحلي وتخضبي

قال اخبرني عن قوله تعالى: **{ شرعة ومنهاجا }** [3] قال: الشرعة: الدين، والمنهاج: الطريق.

قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم أما سمعت أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهو يقول:

لقد نطق المأمون بالصدق والهدى ≅ وبين للإسلام دينا ومنهاجا

فعمل ابن عباس هذا عمل معجمي بحت، ويرشدنا إلى أمور منها: [4]

- كونه نشاط كان العرب بأمس الحاجة إليه في وقت اشتد شغفهم إلى القرآن الكريم تفسيرا وتوضيحا.
- كونه قاعدة لعلوم مختلفة، ومنه التفسير اللغوي للقرآن الكريم.

(1) ينظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي 55/2، وقد طبعت هذه الأسئلة بكتاب مستقل تحقيق بنت الشاطئ وكذا تحقيق السامرائي ولم أقف عليهما.

(2) المائدة: 35.

(3) المائدة 48.

(4) محاضرات الدكتور صبيح التميمي، ألقيت على طلبة الدراسات العليا قسنطينة 1986.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

- كونه نشاطا شكل قاعدة ونواة للفكر المعجمي عند العرب ، لأنـــه بيـــان لمعنى اللفظة العربية مع توثيق ذلك بأحد المصادر اللغوية المعتد بهـــا في التوثيق اللغوي.

ـ الفكرة المعجمية عند العرب وتطورها:

أشرنا فيما سبق إلى ما اشتهر من سؤالات نافع بن الأزرق لابن عبـــاس عـــن دلالات جملة من الألفاظ القرآنية، وتفسير ابن عباس لها وتوثيقها بألفاظ مـــن الشـــعر العربي هي بمثابة النوات للعمل المعجمي عند العرب.

فهذا العمل يعد نواة وليس فكرة معجمية متكاملة وذلك لما ينقصه مـــن التنظـــيم والشمول والترتيب. (1)

وبفعل تقدم الزمن برزت دواع جديدة أدت بالعلماء إلى أن يوجهـــوا جهـــودهم صوب هذه اللغة وتراثها، وذلك بفعل انتشار الإسلام، ودخول شعوب أخـــرى لا عهـــد لهم بالعربية تحت لواء الدولة الإسلامية واحتياجها إلى معرفة العربية وتعلمها، زيـــادة على ذلك الخوف على لغة القرآن من اللحن الشيء الذي شمر له العلماء بحزم، فقاموا بزيارات ميدانية يجمعون الألفاظ ودلالاتها من ينابيعها الصافية، وبـــذلك أصـــبح لهـــم تراث ضخم يحتاج إلى تصنيف وتبويب وتنظيم حتى تسهل الاستفادة منه.

ومما يروي في هذا الصدد أن روايات أبو عمر وبن العلاء (ت 154هـــ) ملأت بيتا إلى السقف(2)، والكسائي (ت 189هـــ) الذي انفذ خمس عشرة قنينـــة حبـــر فـــي الكتابة

عن العرب سوى ما حفظ(3).

وكذلك الشان بالنسبة لأبي عمر والشيباني (ت 206هـــ) أفنى حبرا كثيرا فـــي كتابة سماعه عن العرب(4).

وتتجلى ثمار هذا العمل فيما ظهر من تآليف، وهي على نوعين:

---

(1) التفكير اللغوي 351.

(2) أنباه الرواة 127/4.

(3) نزهة الألباء 59.

(4) المرجع نفسه 78.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

أولهما: تأليف رسائل خاصة [1] تدور حول الألفاظ أو المعاني، كما هي الحال عند الأصمعي حيث ألف في هذا كتبا كثيرة [2]، منها كتاب "النخل" والكرم" وكتاب "الشاء"، وكتاب "الإبل"، وأسماء الوحوش، والنبات والشجر.

وأبو زيد الأنصاري[3] الذي ألف في: "اللبن" "والمطر".

فالذين ألفوا في هذه الرسائل هم أولئك الرواة الأوائل الذين ساحوا في الجزيرة العربية.

وثانيهما: تآليف ما لت إلى الحصر واستقصاء الألفاظ في كتاب واحد ومن ثم شرحها وتوثيق معانيها من فصيح كلام العرب وهي ما عرفت فيما بعد بالمعاجم من ذلك "العين " للخليل بن أحمد (ت 175هـ) و"الجيم" للشيباني (ت 206هـ) والجمهرة لابن دريد (ت321 هـ)

إلا انه ليس من الدقة اتباع أحمد أمين ، بأن الرسائل الصغيرة هي السابقة ثم ظهرت المعاجم المتكاملة [4].

إلا أنه لا يمكن الحكم بذلك على ما وصلنا من تراث، فلعل كتاب الخليل المتكامل هو اسبق زمنا من الرسائل الصغيرة، ومن باب الاحتياط أن نقول: بتزامنهما إلى أن يثبت غير ذلك[5].

وأما الذي يعنينا في هذا المقام هو المعاجم المتكاملة وهي على نوعين:

أولهما: معاجم المعاني: التي اتخذت من الموضوعات ترتيبا لها، وهي التي يمكن أن تعد كمرحلة للرسائل اللغوية الصغيرة وإذا كانت الرسائل اللغوية الصغيرة التي دارت موادها اللغوية حول مجال دلالي معين، فإن معاجم المعاني جمعت هذه الرسائل ذات الدلالات المختلفة في كتاب واحد، وقد جاءت هذه المعاجم تحت تسميات مختلفة[6].

---

(1) ينظر حول هذه الفكرة المعجم العربي 39/1 وما بعدها

(2) الفهرست 250-251.

(3) الفهرست 247.

(4) ضحى الإسلام 264/2.

(5) من حديث الأستاذ الدكتور عبد الكريم عوفي.

(6) المعجم العربي 206/1. والتفكير اللغوي، 576.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

- الصفات: كمعجم "الصفات" لأبي خيرة نهشل الأعرابي[1]، والصفات للنضر ابن شميل[2].
- كتب الغريب: ككتاب الغريب المصنف لأبي عبيد[3].
- الألفاظ: ككتاب الألفاظ لابن السكيت، وجواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر.

ثانيهما: معاجم الألفاظ ويقصد بها تلك المعاجم التي تعالج اللفظة وتضبطها وتبين أصلها ومشتقاتها، وتشرح مدلولها، وتتخذ لها نهجا خاصا في ترتيب الألفاظ[4].

ومنها "العين" [5] للخليل بن أحمد (ت 175هـ) "والجيم" [6] للشيباني (ت 206هـ) و"الصحاح"[7] للجواهري و "ومقاييس اللغة لابن فارس[8] و" والمخصص" لابن سيدة ... وغيرهم.

وتتجلى مظاهر تطور الفكرة المعجمية عند العرب في هذه المراحل التي تعاقبت في عصر إزدهار الحضارة العربية في القرون الأولى، عندما بدأت جماعة من اللغويين في وضع معاجم منظمة رتبت فيها المادة اللغوية وفق مناهج معينة تمثلت فيما بعد في شكل مدارس متميزة.

ونظرا لما لهذا العمل من أهمية في توجيه الدارس والقارئ إلى معرفة معنى الألفاظ التي يستغرق فهمها على الأسماع، وجدنا الإمام الثعالبي قد تفرد عن غيره من المفسرين حيث الحق تفسيره بمعجم شرح فيه ما ورد في تفسيره من الألفاظ الغريبة.

فهو بصنيعه هذا قد قدم للغة العربية خدمة جليلة، حيث حفظ مفرداتها وشرح معانيها، ولولا هذه الأعمال لضاعت الثروة اللغوية التي لا بد منها لكل دارس لغوي.

وإذا كان التكرار و التقليد سمة واضحة على المعاجم القديمة فإن ذلك لا يعد أمرا مشينا، لأن اللاحق لا بد أن يستفيد من السابق ويضيف إليه شيئا من عمله، وبذلك

---

(1) الفهرست : 234

(2) حققه رمضان عبد التواب القاهرة 1989، كما حققه محمد المختار العبيدي في تونس.

(3) البحث اللغوي عند العرب 157، والدراسات اللغوية عند العرب: 226، والمعاجم العربية، 18

(4) حققه عبد الله درويش ونشر بالعراق 1967.

(5) حقق الجزء الأول منه إبراهيم الأبياري القاهرة 1974، أما الجزء الثاني فقد حققه عبد العليم الصحاوي القاهر ة 1975، والجزء الثالث، حققه عبد الكريم الغرباوي القاهرة 1975.

(6) حققه مجموعة من الأساتذة مراجعة مصطفى حجازي.

(7) تحقيق أحمد بن الغفور.

(8) حققه عبد السلام محمد هارون.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

تكاملت عناصر هذا العمل تنظيما وإبداعا بهذا العمل العلمي المنظم، مما دفع بـــبعض المحدثين إلى القول: "لا تعرف أمة من الأمم في تاريخها القديم، قد تفننت في أشـــكال معاجمها وطرق تبويبها كما فعل العرب"[1].

ونظرا لما لبعض هذه المدارس من أثر على منهج الثعالبي ارتأيـــت تحديـــد معالم هذه المدرسة وهي منهج معجم الألفاظ وموقع عمل الثعـــالبي منهـــا وأخـــص بالذكر معجم الجيم للشيباني حيث اتسم نظامه بالتالي:

- قسم المؤلف كتابه على أبواب بعدد حروف العربية.
- ر تب الأبواب وفق الألفبائية المعروفة لدينا اليوم (أ،ب، ت،.....هـــ،ي).
- يحتوي كل باب على مجموعة من الألفاظ يبدأ أولها بحرف البـــاب دون ذكـــر الجذر الذي جاءت تحته هذه الألفاظ سواء أكانت اسما أم فعلا؟
- عدم مراعاة الحرف الثاني والثالث من الكلمة، أي أن الألفاظ تذكر هكـــذا دون ترتيب أو تنظيم ، وإليك بعض الأمثلة لتقف بنفسك على ما قلناه وما جاء في باب الألف قوله[2]:
- "المأقول، الأخيف، الأوق، الأزوحن الإربة، الأدم، انف"، وما جاء فـــي بـــاب الراء قوله[3]: " الغر، الغضباء، الغفر، الغريض، الغارب"[4].

وباتباع الشيباني في كتابه الجيم الترتب الألفبائي أساسا للتنظـــيم، يكـــون هـــو السباق إلى هذا اللون من الترتيب باعتباره أول معجم عرف في العربية بتنظيم الألفاظ حسب أوائلها معتمدا الترتيب الألفبائي للحروف.

كما يمكن أن يعد رائدا في بابه لأنه ألفه دون أن يطلع على كتاب العـــين الـــذي تأخر دخوله العراق حتى منتصف القرن الثالث الهجري[5]، أي بعد وفاة أبـــي عمـــر الشيباني وهو المعجم الذي استأنس به الثعالبي وأخذ بمنهجه ولعل السبب في ذلك يعود إلى سهولة البحث فيه عن معاني الألفاظ التي يستغلق فهمها على الباحث وإليك بيـــان

(1) البحث الغوي عند العرب 135.

(2) الجيم 53/1-55.

(3) الجيم: 1.3/2

(4) الجيم : 1/3.

(5) المزهر: 84/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

موجز عن هذا المعجم، والأسباب التي أدت إلى تأليفه، والمصادر اللغوية المعتمدة فيه، والطريقة المتبعة في ترتيب الألفاظ.

ـ سبب تأليفه:

بعد أن فرغ الإمام الثعالبي رحمه الله من تف سير كتاب الله العزيز، ارتـأى أن يتبع ذلك بمعجم يتناول فيه شرح الألفاظ الغريبة الواردة فيه، فقال: بعد أن حمـد الله وأثنى عليه وصلى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه :" أما بعـد، أيهـا الأخ أشرق الله قلبي وقلبك بأنوار اليقين، وجعلني وإياك من أوليائه المتقين، فإنه لما يسر الله علي إكمال هذا المختصر[1]، وفرغت من تصحيحه، وكثر الراغبون بحمد الله في تحصيله سألني بعض إخواني أن ألحق به شرح ما وقع فيه من الغريب ليـتم بـذلك مقصود الكتاب والله الموفق بفضله للصواب، فأجبتهم إلى ذلك وزدت فيه بيان ألفـاظ وقعت في غيره بكثرة في اللسان ودورانها ويفتقر الطالب إلى معرفتها وجلها مما وقع في الموطأ والبخاري، ومسلم، وغيرها من الكتب الستة[2].

ـ مصادره:

لقد أبان الثعالبي عن المصادر اللغوية التي استعان بها في شرح مـا ورد فـي كتاب الله من الغريب فقال: " واعتمدت في بيان ذلك على صحاح أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري المسمى بتاج اللغة وصحاح العربية، ومختصر العيني لأبي بكـر بن حسن الزبيري، وشرح الغربيين غريب القرآن وغريب الحديث لأبي عبيد أحمـد ابن محمد الهروي ومشارق الأنوار لأبي الفضل عياض اليحصبي وإن نقلت شيئا من غيرهم عزوته لمن عنه نقلت.

والله المسؤول أن يوفقنا وإياكم لمرضاته ويسكننا وإياكم فسيح جنانه"[3]

ـ ترتيبه للمادة اللغوية:

ارتضى الإمام الثعالبي طريقة في شرح الألفاظ الغريبة: تتمثـل فـي الترتيـب الهجـائي (الألفبـائي) والـذي تتلاحـق فيـه الحـروف علـى النحـو التـالي:

(1) يعني الجواهر الحسان في تفسير القرآن.

(2) المعجم : 5

(3) المعجم:5.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

(أ،ب،ت،ج،....هـ،و،ي..) وهو ترتيب مبني أصلا على الرسم والكتابة حيث قال: " ورتبته على حروف المعجم"[1]، واتسم منهجه بالتالي:

- قسم المؤلف كتابه على أبواب بعدد حروفه العربية.
- رتب الأبواب وفق الألفبائية المعروفة لدينا (أ،ب،ت، ...هـ،ي ، ء)
- يحتوي كل باب على فصل أو فصلين، وكل فصل على مجموعة من الألفاظ.
- يبدأ أولها بحرف ذلك الباب دون ذكر الجذر الذي جاءت تحته هذه الألفاظ سواء أكانت اسما أو فعلا.
- عدم مراعاة الحرف الثاني والثالث، من الكلمة أي أن الألفاظ فيه تذكر هكذا دون ترتيب ولا تنظيم، وهاهي مجموعة من الأمثلة الموضحة للمنهج الذي سار عليه المؤلف في معجمه.

باب الهمزة: [2] قال الثعالبي : قال الجوهري : الإرب: العضو، والإرش: دية الجراحات.

وفي باب الخاء: [3]

قال الثعالبي: قال عياضي: والخداج : النقصان

وخمدت النار: سكن لهيبها

وفي باب النون: [4]

قال الثعالبي: قال الجوهري و (ناء) ينوء نوءا: نهض يجهد ومشقة

قال الزبيدي: و(التنطع) في الكلام : التعمق والتفصح فيه.

وفي باب السين: [5]

قال الثعالبي:السند: ما قابلك من الجبل

والإسناد في الحديث: رفعه إلى قائله.

---

(1) المعجم الوسيط (قمس) 758/2.

(2) المعجم :7.

(3) المعجم:47.

(4) المعجم :109.

(5) المعجم:47.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وفي باب الياء: [1]

قال الثعالبي: قال الجوهري ارض(بباب) أي خراب.

واليد: الجاه.

ومن خلال قراءتي للمعجم لاحظت الآتي:

1 ــ عرضه للمادة اللغوية يتماشى والدرس اللغوي الحديث، إذا نــراه يــورد نصوصا مشفوعة بالشواهد ، الأمر الذي يقوي موقفه من القضايا التي يعرضها.

2 ــ وأما طبيعة الألفاظ من حيث دلالتها ،فإنها متنوعة بتنوع الأشياء التي تدل عليها .

كما أن المعجم تناول معظم القضايا اللغوية التي تمت دراستها في مباحث الرسالة والتي مثلت المستويات المختلفة من صوتية،وصرفية ونحوية ودلالية.

(1) المعجم:187.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الـــخاتـــمـــة

بعد وقفات بين يدي القضايا اللغوية والبلاغية فيما سقته آنفا حـــول "الجـــواهر الحسان" لعبد الرحمن الثعالبي، و قد اهتديت إلى جملة من النتائج المتواضعة التـــي لا أزعم فيها طول الباع، وحسبي أنني لامست أطرافها وقابلت ألفاظها وعالجت فصـــولها وأقسامها في أغلب جوانبها ومنها:

1. سعه معارفه اللغوية والبلاغية، وتنوع آثاره وشمولية معارفه ودقة تفاصيله فـــي مختلف فنون العربية، وقلة هناته فيما يكتب في جواهره.
2. وفيما يتعلق بالتفسير لديه نلاحظ جمعه بين المنقول والمعقول في التفسير اللغوي البلاغي، بل جمع بينهما في سلك واحد متماسك، فبين بالنص أنه لا انفصام بينهما، ولا خلاف بين ما يثبته الشرع، وما يقره العقل السليم.
3. لقد أثبت لنا الثعالبي من خلال تفسيره مدى ولوعه بالأحاديث النبوية الشريفة.
4. يتجلى لقارئ الجواهر الحسان روح صاحبه التي تنم عن الاختصـــار والإيجـــاز والإعجاز فيما يبدي من آراء وما يذيع من تفاسير.
5. أقام تفسيره للآيات في ضوء التحليل اللغوي للألفاظ، فيـــذكر أصـــول اشـــتقاقها وعرف استعمالها ودلالتها على المعاني في مواضعها من الجمل.
6. كانت الجهود اللغوية والبلاغية للرجل تتسم بالبساطة حينا وبالعمق حينا آخر في معالجته للقضايا اللغوية والبلاغية.
7. أما ألوان البديعي لا تستوقف الثعالبي إلا نادرا، وليس ذلك نابعا من قصور فـــي معرفة أبواب هذا العلم بقدر ما هي قناعة ذاتية بعدم أهمية مباحثه مقارنة بغيرها.

وليس الثعالبي بدعا في هذا التوجه بل هي وجهة البلاغيين المتأخير الذين يعتبرون البديع مجرد حلية وزينة لا تنقص بلاغة الكلام إن لم يتضمنها.

8. إبراز المنهج العلمي للثعالبي الذي تمثل في:

1 ــ يستعمل الثعالبي أبلغ العبارات والألفاظ بوصفها أدوات تفســـيرية لغويـــة وبلاغية.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

2 ــ بدليل تناوله قضايا لغوية وبلاغية متنوعة، شملت المستويات المختلفة للغة والبيان، وهي قضايا تبرز مدى سعة علمه.

3 ــ الاستعانة بمصادر الاحتجاج اللغوي، من قرآن وحديث، وشعر لتقوية آرائه والتأكيد على سلامة المادة العلمية التي يعرضها.

من الواضح أن استعمال المصطلح اللغوي والبلاغي على السواء ظل متداخلا في جواهره لما اعتمده من حقيقة ومجاز، فضلا عن ذلك استعمال المصطلح الذي يعد أسلوبا متقدما في فهم المسائل، ومظهرا من مظاهر الإدراك المنهجي لحقائق العلم وأصوله، وقد حاول المفسر تمثل هذه الحقيقة في مباحثه، فعالج النصوص القرآنية بمصطلحات عدة، وهي التي تميزت بالجانب اللغوي وبالمجال البلاغي في أمثلة كثيرة.

وختاما لما سقناه من النتائج بهذا الصدد، أود الإشارة إلى ما يتعلق بتلك القضايا اللغوية والبلاغية، فأراها تدور في محورين:

الأول: استخدامه لأبلغ العبارات وأوجز الأقوال فيما يتعلق بالاستشهاد من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وكلام العرب .

الثاني: تمييزه بين القضايا المختلفة النحوية والصرفية والدلالية والبلاغية لكونها أداة دالة على هذا التحليل والاستنتاج، فإن جهوده اللغوية والبلاغية جديرة بالدرس والتمحيص ومفيدة في البحث. آمل أن يضاف إلى هذا العمل ما من شانه خدمة اللغة العربية من بحوث جادة تنير درب البحث العلمي، وتكشف عن خباياه وتنزع الستار عن أسراره، إنه نعم المولى ونعم النصير.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الفهـارس العـامــة

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

فهرس الآيات

	رقم الآية	رقم الصفحة
الفاتحة		
(الحمد لله رب العالمين)	1	97
(الرحمن الرحيم)	2	163
(إياك نعبد وإياك نستعين)	5	19
(اهدنا الصراط المستقيم)	6	244
(صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)	7	83
سورة البقرة		
(فأخذتهم الصاعقة)	55	14
(وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات)	25	15
(وتكونوا شهداء على الناس)		
(إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه)	173	30-16
(وأتموا الحج والعمرة لله)	196	17
(للذين يؤلون من نسائهم)	226	17
(ثم توليتم إلا قليلا)	83	18
(الطلاق مرتان)	229	28
(فإن طلقها فلا تحل له حتى تنكح زوجا غيره)	230	28
(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى)	178	209
(يريد بكم الله اليسر ولا يريد بكم العسر)	185	117-36
(ثم أتموا الصيام إلى الليل)	187	37
(ألم)	1	58-43
(حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى)	238	44
(نأت بخير منها أو مثلها)	106	95-53

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

	رقم الآية	رقم الصفحة
(لله ما في السموات والأرض وإن تبدو ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير)	284	54
(ما ننسخ من آية أو ننسها)	106	55
(الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون)	3	
(ولكم في القصاص حياة)	179	77
(فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما أتيتم بالمعروف)	233	84
(فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها)	256	91
(لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم)	225	96
(فإذا قضيتم مناسككم)	200	96
(ذلك الكتاب لا ريب فيه)	2	97
(فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله)	79	98
(ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا)	224	
(ولا يضار كاتب ولا شهيد)	282	118
(وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة)	30	
(وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم)	14	131
(وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك)	285	123
(إنما يأمركم بالسوء والفحشاء)	169	123
(وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون)	117	124
(ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير)	106	
(والله بما تعملون خبير)	234	125
(شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس)	185	126
(إن الله على كل شيء قدير)	20	126
(ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا)	282	137
(ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون)	87	
(وإياي فارهبون)	40	
(قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم)	32	

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

	رقم الآية	رقم الصفحة
(تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض)	253	
(أولئك على هدى من ربهم)	5	158
(ولا تتبعوا خطوات الشيطان)	208	164
(ويسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام)	217	166
(ولأتم نعمتي عليكم)	150	170-169
(وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم)	150	
(إلا أن تقولوا قولا معروفا)	235	170
(يا أيها الناس أعبدوا ربكم)	21	172
(واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا)	48	175
(وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والأرض وكل له قانتون)	116	183
(يا بني إسرائيل أذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم)	40	116
(والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء)	228	186
(وبعولتهن أحق بردهن)	228	188
(إذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن)	232	188
(يمحق الله الربا)	275	188
(وإني فضلتكم على العالمين)	47	189
(قل من كان عدوا لجبريل)	97	195
(ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم)	7	
(فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا)	85	199
(أدخلوا هذه القرية)	58	199
(وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس)	13	219
(أنؤمن كما آمن السفهاء)	13	220
(والذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وأن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون)	146	220

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

	رقم الآية	رقم الصفحة
(الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)	275	221
(ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة)	74	
(مثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء صم بكم عمي فهم لا يعقلون)	171	225-222
(كالذي ينفق ما له رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا)	264	227
(ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فأتت أكلها ضعفين، فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير)	265	228
(يجعلون أصابعهم في آذانهم)	19	240
(ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء)	235	248
(أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم)	187	250
(نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم)	223	252
(وكنتم أمواتا فأحياكم)	28	257
(فهي كالحجارة أو أشد قسوة)	74	258
(ثم استوى إلى السماء)	29	258
(ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس)	199	259
(إن هم إلا يظنون)	78	263
(أدع لنا ربك يبين لنا ماهي)	68	265
(أنى يكون له الملك علينا)	274	271
(ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون)	179	275
(وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم)	216	275
(يا أيها الناس اعبدوا ربكم)	21	280-277

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

	رقم الآية	رقم الصفحة
(ربنا لا تؤاخذنا)	286	289-279
(قال إني أعلم ما لا تعلمون)	30	294
(لا علم لنا إلا ما علمتنا)	32	286
(وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون)	33	294
(وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى)	57	315
(ولن يتمنوه أبدا)	95	316
(وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أ، لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزوا منها من ثمرة قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأوتوا به متشابها ولهم فيه أزواجا مطهرة وهم فيها خالدون)	25	316
(وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)	143	326
(الشيطان يعدكم الفقر ويأمر بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم)	268	326
(وإذ قلنا للملائكة أسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين)	34	327
(وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين)	31	328
(ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم)	85	328

آل عمران

(ورضوان من الله)	15	15
(وما يعلم تأويله إلا الله)	7	21
(للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم)	173	77
(أولئك هم وقود النار)	10	91
(ولله على الناس حج البيت)	97	104
(إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير)	49	197-154

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

	رقم الآية	رقم الصفحة
(أفغير دين الله يبغون)	83	
(لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون)	92	161
(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير)	104	161
(ألا نعبد إلا الله)	64	173
(كنتم خير أمة أخرجت للناس)	110	182
(إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين)	33	188
(وإذا غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم)	121	
(تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل)	27	244
(أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم)	144	267
(كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم)	86	269
(قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر)	40	271
(ربنا لا تزغ قلوبنا)	8	279
(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون)	102	292
(ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم)	15	300
(فبشرهم بعذاب أليم)	21	319

سورة النساء

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها)	1	48
(ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا، ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا)	123،124	49
(فمن أسلم وجهه لله)	125	49،249
(فتيمموا صعيدا طيبا)	43	78

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

	رقم الآية	رقم الصفحة
(ولا يجدون عنها محيصا)	121	
(ومن لم يستطع منكم طولا)	25	92
(وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى)	3	138
(مثنى وثلاث ورباع)	3	186
(ولا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما، درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما)	95	139
(تساءلون به والأرحام)	4	166
(إنا أوحينا إليكم كما أوحينا إلى نوح)	163	229
(إن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء)	43	252
(وماذا عليهم لو آمنوا)	39	271
(فمن لم يجد فصيام شهرين)	92	297
المائدة		
(من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا)	32	29
(وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس)	45	29
(وأحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة)	96	30
(يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم)	105	52
(إن الله يحب المقسطين)	42	78،115
(ولا يجرمنكم شنآن قوم)	2	98
(وامسحوا برؤوسكم)	6	160،162
(وابتغوا إليه الوسيلة)	35	207
(شرعة ومنهاجا)	48	207
(أو تحرير رقبة)	89	239

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

	رقم الآية	رقم الصفحة
(قالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان)	64	238،251
(وكيف يحكمونك وعندهم التوراة)	43	269
(ماذا أجبتم)	109	271
(لولا ينهاهم الربانيون والأحبار)	63	273
(يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق واسمحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين)	6	292
(حرمت عليكم الميتة)	3	30
الأنعام		
(فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام)	135	312
(فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة)	54	297
(والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات)	39	297
(فلو شاء لهداكم أجمعين)	149	295
(وكيف أخاف ما أشركتم)	81	269
(ثم الذين كفروا بربهم يعدلون)	1	
(أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها)	122	226
(ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهركم ما نرى معكم شفعاءكم)	94	221،296
(الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون)	20	220
(وما لكم ألا تأكلون مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلى ما اضطررتم إليه)	119	174
(والذين كفروا بآياتنا صم وبكم في الظلمات)	39	170
(وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون)	105	
(أغير الله تدعون إن كنتم صادقين)	40	285

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

	رقم الآية	رقم الصفحة
(قد نعلم أنه ليحزنك الذي يقولون)	33	129
(وإن تعدل كل العدل)	70	84،99
(ولو ردوا لعادوا لما نهو عنه)	28	
(وذكر به أن تبسل بما كسبت)	70	84،99
(الذي آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم)	82	27

الأعراف

(ولا تكن من الغافلين)	205	69
(قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن)	33	70
(وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها)	137	71
(أدخلوا في أمم)	38	77
(وإخوانهم يمددنهم في الغي)	202	79
(ونزعنا ما في صدورهم من غل)	43	82
(ولباس التقوى ذلك خير)	26	82
(أو لتعودون في ملتنا)	88	86
(وهو الذي يرسل الرياح بشرا)	57	91
(قال اخرج مذءوما مدحورا)	18	95
(فوسوس لهما الشيطان)	20	95
(فلنقصن عليهم بعلم)	7	97
(إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام)	54	127
(ألا له الخلق والأمر)	54	124
(وذروا الذين يلحدون في أسمائه)	108	128
(ولا تبخسوا الناس أشياءهم)	85	155
(حقيق علي أن لا أقول على الله إلى الحق)	105	159
(وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلى أن تكونا ملكين)	20	166
(وهم يلعبون)	98	171
(تلك القرى نقص عليك من أنبائها)	101	171

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

(قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله)	188	174
(وما مسني السوء)	188	193
(فأرسلنا عليهم الطوفان)	132	197
(يسألونك عن الساعة إيان مرساها)	187	271
(أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون)	179	222،225
(فلما تغشاها حملت حملا خفيفا)	189	250
(وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا)	198	252
(وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بيتا وهم قائلون)	4	257
(لمن تبعكم منهم لأملأن جهنم منكم)	18	261
(فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا)	44	268
(رب اغفر لي)	151	299
(لن تراني ولكن أنظر الجبل)	143	315

الأنفال

(كدأب آل فرعون والذين من قبلهم)	52	97،198
(إذ يغشيكم النعاس أمنة منه)	11	123،197
(إني ممدكم بألف من الملائكة مردفين)	9	128
(يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا)	15	199

التوبة

(يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوانا)	21	38
(وما منعهم أن تقبل منهم نفقتهم إلا أنهم كفروا بالله)	54	38
(إنما الصدقات للفقراء)	60	81،157
(وجاء المعذرون من الأعراب)	90	117
(براءة من الله ورسوله)	1	123
(ومنهم من يقول إئذن لي ولا تفتني)	49	129
(والله ورسوله أحق أن يرضوه)	62	138
(فإذا انسلخ الأشهر الحرم)	5	245
(أن يعمروا مساجد الله)	17	249

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

	رقم الآية	رقم الصفحة
(كيف يكون للمشركين عهد عند الله)	7	270
(ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول)	13	273
(وإن أحد من المشركين استجارك فأجره)	6	291

يونس

(هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت)	30	14
(ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)	62	28
(الذين آمنوا وكانوا يتقون)	63	28
(قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم)	108	54
(واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين)	109	54
(فلولا كانت قرية آمنت)	98	71
(إن الذين يرجون لقاءنا)	7	84
(وتحيتهم فيها سلام)	10	84
(للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)	26	35،95
(ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول اللذين أشركوا مكانكم وشركاءكم)	28	153
(أسحر هذا)	77	265
(دعانا لجنبه)	10	157
(وأسروا الندامة)	54	186
(ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)	25	312

هود

(بئس الرفد المرفود)	99	89
(كما بعدت ثمود)	95	99
(فلا تكن في مرية منه إنه الحق من ربك)	17	107
(وبئس الورد المورود)	98	124
(لا عاصم اليوم من أمر الله)	43	125

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

	رقم الآية	رقم الصفحة
(وقال هذا يوم عصيب)	77	125
(فأوردهم النار بئس الورد المورود)	98	174
(مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان أفلا تذكرون)	24	226
(وإن كلا لما يوفينهم أعمالهم)	111	260
يوسف		
(فقال أحدهما إني أراني أعصر خمرا)	36	79،194
(أصب إليهن وأكن من الجاهلين)	33	84
(وجاءوا آباهم عشاء يبكون)	16	92
(قالوا نفقد صواع الملك)	72	132
(ثم استخرجها من وعاء أخيه)	76	132
(لمن جاء به حمل بعير)	72	132
(هل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة)	108	133
(فذلكن الذي لمتنني فيه)	43	150
(إنا أنزلناه قرآنا عربيا)	2	174
(وادكر بعد أمة)	45	182
(وأذكرني عند ربك)	42	183
(لقد آثرك الله علينا)	91	189
(واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا بها)	82	234
(وراودته التي هو في بيتها عن نفسه)	23	251
(يا أسفا على يوسف)	84	280
(يوسف أعرض عن هذا)	29	289
(قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف)	85	289
(فصبر جميل)	18	298

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

	رقم الآية	رقم الصفحة
الرعد		
(ولكل قوم هاد)	7	184،313
(الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب)	29	194
(أفلم ييأس الذين آمنوا)	31	194
إبراهيم		
(يتجرعه ولا يكاد يسيغه)	17	38
(تؤتي أكلها كل حين)	25	78
الحجر		
(ولقد آتينا سبعا من المثاني والقرآن العظيم)	87	35
(ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين)	24	39
(ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل)	3	54
(وإنها لسبيل مقيم)	76	133
(وما أهلكنا من قرية)	6	263
النحل		
(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما أنزل إليهم ولعلهم يتفكرون)	44	31
(وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)	64	31،33
(وما أمر الساعة إلا كلمح البصر)	77	71،223
(وترى الفلك مواخر فيه)	14	96
(هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك كذلك فعل الذين من قبلهم)	33	154
(وعلامات وبالنجم هم يهتدون)	16	164
(فأذاقها الله لباس الجوع والخوف)	112	245

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

	رقم الآية	رقم الصفحة
الإسراء		
(فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا)	5	123
(وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا)	23	185
(ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك)	29	251
(ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق)	31	279
الكهف		
(قالوا يا ذا القرنين إن ياجوج وماجوج مفسدون في الأرض)	94	110
(وثامنهم كلبهم)	22	
(لولا يأتين عليه بسلطان بين)	15	274
(فلعلك باخع نفسك)	6	
مريم		
(وما تتنزل إلا بأمر ربك)	62	16
(ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا)	66	16
(يكاد السموات يتفطرن منه وتشقق الأرض وتخر الجبال هدى)	91	49
(وكنت نسيا منسيا)	23	78
(وحنان من لدنا)	13	85
(فحملته فانتبذت به مكانا قصيا)	22	97
(كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا)	79	
(فجاءها المخاض إلى جذع النخلة)	23	155
(واشتعل الرأس شيبا)	5	244
(عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا)	48	276
(فإما ترين من البشر أحد)	26	293
(فلن أكلم اليوم إنسيا)	26	316

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

	رقم الآية	رقم الصفحة
طه		
(وعنت الوجوه)	111	39،81
(أعطى كل شيء خلقه ثم هدى)	50	70،184
(في جذوع النخل)	71	78
(ويذهبا بطريقتكما المثلى)	63	132
(قالوا إن هذا لساحران يريدان أن يخرجكم من أرضكم بسحرهما)	142	63
(إن الساعة آتية أكاد أخفيها)	15	186
(لا عوج به)	109	244
الأنبياء		
(اقترب للناس حسابهم)	1	69
(لا يحزنهم الفزع الأكبر)	101	130
(ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها)	6	138
(حتى إذا فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون)	96	151
(فإذا هي شاخصة)	97	151
(ونصرناه من القوم)	77	159
(لاهية قلوبهم وأسروا النجوى)	3	151،171
(وأدخلناهم في رحمتنا)	75	231
(إنا كنا فاعلين)	17	263
الحج		
(ومن يعظم شعائر الله)	36	28
(والبدن جعلناها لكم من شعائر الله)	26	28،199
(وتضع كل ذات حمل حملها)	2	91
(وترى الناس سكارى)	3	98
(فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور)	30	199
(وجاهدوا في الله حق جهاده)	78	15،298
(فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته)	52	

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

	رقم الآية	رقم الصفحة
المؤمنون		
(إذا هم يجأرون)	64	85
(وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون)	79	95،97
(فاتخذتموهم سخريا حتى أنساكم ذكري)	110	107
(هيهات هيهات لما توعدون)	36	153
النور		
(الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة)	2	53
(لمسكم فيما أفضتم فيه)	14	77
(كأنها كوكب دري)	35	113
(أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل له الله نورا فما له من نور)	40	114
(يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق)	25	183
(والذي تولى كبره منهم)	11	190
الفرقان		
(أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم كالأنعام بل هم أضل سبيلا)	44	222
(قال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا)	3	288
الشعراء		
(وأزلفنا ثم الآخرين)	64	91
(قال فرعون وما رب العالمين)	23	
(ربكم ورب آبائكم الأولين)	26	299

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

	رقم الآية	رقم الصفحة
النمل		
(سائغا للشاربين)	66	39
(طس تلك آيات القرآن والكتاب المبين)	1	58
(وقال الذي لديه علم من الكتاب أنا أتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك)	40	
	223	
(فلما رآها تهتز كأنها جان)	10	229
(فلبئس مثوى المتكبرين)	29	261
القصص		
(إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء)	56	312،184
العنكبوت		
(فآمن له لوط)	26	155
(وجعلنا من ذريته النبوة والكتاب)	27	164
(أم حسب الذين يعملون السيئات)	4	266
الروم		
(فأقم وجهك للدين حنيفا)	30	50
(وكان حقا علينا نصر المؤمنين)	47	283
لقمان		
(إن الشرك لظلم عظيم)	13	27
السجدة		
(ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم)	12	81
(ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم)	6	150
(تنزيل الكتاب لا ريب فيه)	2	170
	297	

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

	رقم الآية	رقم الصفحة
الأحزاب		
(إن الله وملائكته يصلون على النبي)	56	39
(هلم إلينا)	18	152
(ليعذب الله المنافقين والمنافقات)	73	157
سبأ		
(وقدور راسيات)	13	95
(يا جبال أوبي معه وألنا له الحديد)	10	194
(بل مكر الليل والنهار)	33	234
(وأنى لهم التناوش)	52	271
فاطر		
(لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب)	35	96
يس		
(قال يا قومي اتبعوا المرسلين)	20	69
(يا ليت قومي يعلمون)	26	69،70
(وفي الحياة الدنيا وفي الآخرة)	64	
(والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم)	39	175
(وكل في فلك يسبحون)	40	300
الصافات		
(أولئك لهم رزق معلوم)	41	127
(كأنهن بيض مكنون)	49	127
(وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون)	48،49	223
(طلعها كأنه رؤوس الشياطين)	65	229
(فاهدوهم إلى صراط الجحيم)	23	313

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

	رقم الآية	رقم الصفحة
ص		
(واذكر عبادنا إبراهيم واسحاق ويعوق أولى الأيدي والأبصار أنا أخلصناهم بخالصة ذكر الدار وانهم لمن المصطافين الأخيرا)	45،46،47	59
(إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب)	44	59
(جنات عدن متفتحة لهم الأبواب)	50	59
(يصلونها فبئس المهاد)	56	59
(جند ما هنالك مهزوم)	12	127
(وقليل ما هم)	24	282
(هذا فليذوقوه حميم وغساق)	57	194
(أأتخذناهم سخريا)	63	266
(إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارثت بالحجاب)	32	295
الزمر		
(فسعق من في السموات ومن في الأرض)	68	14
(خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها)	6	259
(وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها)	71	290
(وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها)	93	290
(كتابا متشابها)	23	319
غافر		
(إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون)	71	253
فصلت		
(فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات)	16	92

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

(وكنتم أياه تعبدون)	37	284
	رقم الآية	رقم الصفحة
(إنا علينا للهدى)	17	184
(اعملوا ما شئتم)	40	278

الشورى

(لا يذرؤكم فيه)	11	78
(ينظرون من طرف خفي)	45	160
(وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم)	52	148،313

الزخرف

(إنا وجدنا آباءنا على ملة)	22	182
(ليقض علينا ربك)	77	278
(وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون)	88	288

الجاثية

(وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)	13	285

الأحقاف

(فاصبر كما صبر أولي العزم من الرسل)	35	229

محمد

(فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب)	4	123
(ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم)	12	225
(فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم)	5،6	313

الفتح

(ووعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة)	29	77

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

(محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم)	29	171

	رقم الآية	رقم الصفحة
الحجرات		
(يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم)	11	85،95
(لا يلتكم من أعمالكم شيئا)	14	129
(ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا)	12	191
ق		
(ألقيا في جهنم كل كفار عنيد)	24	226
(والنخل باسقات لها طلع نضيد)	10	127
(وحب الحصيد)	9	167
(ومن الليل فسبحه وإدبار السجود)	40	191
الذاريات		
(وبشروه بغلام عليم)	28	126
(مسومة عند ربكم للمسرفين)	34	172
(ساحر أو مجنون)	39	257
(وقوم نوح)	46	257
(يسألونك أيان يوم الدين)	12	272
الطور		
(يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيه ولا تأثيما)	23	85،92
(في رق منشور)	2	99
(أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون)	15	282
النجم		
(الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم)	32	45
(الثالثة الأخرى)	20	92

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

(أزفة الآزفة)	57	86
(تلك إذن قسمة ضيزى)	22	97

القمر

(فهل من مدكر)	15	79
(وما أمرنا إلا واحدة كلمح البصر)	50	71
(كأنهم أعجاز نخل منقعر)	20	132
(مهطعين إلى الداعي يقول الكافرون هذا يوم عسير)	8	126

الرحمن

(وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان)	9	79،128
(كل من عليها فان)	26	158
(والحب ذو العصف والريحان)	12	176
(علمه البيان)	4	217

الواقعة

(ولدان مخلدون)	17	89
(فكانت هباء منبثا)	6	91
(فنزل من حميم)	93	240
(فلا أقسم بمواقع النجوم)	75	262
(فلولا إذا بلغت الحلقوم)	83	293

الحديد

(هو الأول والآخر والظاهر والباطن)	3	304

المجادلة

(كتب الله لأغلبن أنا ورسلي)	21	295
(ويقولون في أنفسهم)	8	

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

	رقم الآية	رقم الصفحة
الممتحنة		
(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة)	1	295
الحاقة		
(في عيشة راضية)	23	236
(وثمانية أيام حسوما)	7	257
المعارج		
(للكافرين ليس له دافع)	2	157
(تدعو من أدبر وتولى)	17	249
نوح		
(من ذنوبكم)	4	167
الجن		
(إلا بلاغ من الله ورسالاته ومن يعص الله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا)	23	174
المزمل		
(يا أيها المزمل)	1	172،279
(إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا)	5	70
القيامة		
(إنا علينا جمعه وقرآنه)	17	17
(فلا صدق ولا صلى)	31	262

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

(كلا إذا بلغت التراقي)	26	259
	رقم الآية	رقم الصفحة

الإنسان

(هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا)	1	268
(عين يشرب بها عباد الله)	6	162

النبأ

(وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا)	14	97
(عم يتساءلون)	1	119
(كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون)	4،5	294

النازعات

(والنازعات غرقا)	1	300

عبس

(فأنبتنا فيها حبا)	26	191

التكوير

(إنه لقول رسول كريم)	19	174
(وما هو على الغيب بظنين)	24	191

الانفطار

(وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله)	17،18،19	29

البروج

(قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود)	4،5	173
(في لوح محفوظ)	22	176

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

	رقم الآية	رقم الصفحة
الطارق		
(يوم تبلى السرائر)	9	14
(والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب)	1،2،3	27
(من ماء دافق)	6	127،237
(إن كل نفس لما عليها حافظ)	4	167
الفجر		
(وجاء ربك والملك صفا صفا)	22	299
(والفجر وليال عشر)	1،2	300
الليل		
(إنا علينا للهدى)	12	184،313
القدر		
(سلام هي حتى مطلع الفجر)	5	282
التكاثر		
(كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون)	3،4	294
(كلا لو تعلمون علم اليقين)	5	301
الهمز		
(ويل لكل همزة لمزة)	1	98

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

(أ)

1 ــ أحل لنا ميتتان ودمان، فأما الميتتان فالجرد والحوت، وأما الدمان فالطحال والكبد. ص: 35

2ــ إذا فرغ الله تعالى من القضاء بين خلقه أخرج كتبا من تحت العرش، إن رحمتي سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين، قال: فيحرج من النار مثلي أهل الجنة مكتوب بين أعينهم عتقاء الله. ص:

3ــ الأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه.

4 ــ أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق. ص:327

5 ــ إن أمته تشهد لكل نبي ناكره قومه. ص:326

6 ــ إن أهل الجنة إذا استقروا فيها، وحصل كل واحد منهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، قال اله لهم: أتريدون أن أعطي لكم أفضل من هذا ؟ قالوا:يا ربنا وأي شيء أفضل من هذا؟ فيقول الله سبحانه:أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم أبدا.ص:15

7 ــ إن ثياب الجنة تشقق عنها ثمر الجنة.ص:319،15

8 ــ إن ثواب الكافر على أفعاله البرة هو في الطعمة يطعمها.ص:38

9 ــ إن للملك لمة وللشيطان لمة.ص:37

10 ــ إنما الربا في النسيئة.ص:81

11 ــ إن المرأة خلقت من ضلع أعوج.ص:48

12 ــ ألا مشمرة للجنة فإن الجنة لا خطر لها، وهي ورب الكعبة نور تتلألأ، وريحان تهتز، وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكهة كثيرة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة في مقام أبده.ص: 321

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

13 ــ ألا إني قد أوتيت القرآن ومثله.ص:32

14 ــ أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة.

(ت)

15 ــ تخرج عنق من النار تكلم بلسان طلق، لها عينان تبصر بهما ولها لسان تكلم به، فتقول:إني أمرت لمن جعل مع الله إلها آخر، وبكل جبارعنيد، ولمن قتل نفسا بغير نفس فتنطلق بهم قبل سائر الناس لخمس مائة عام فتقذفهم في جهنم.ص:38

16 ــ تصافحوا يذهب الغل، وتهاد تحابوا وتذهب الشحناء.

(غ)

17 ــ الغل على باب الجنة كمبارك الإبل قد نزعه الله من قلوب المؤمنين.

(ف)

18 ــ فاتحة الكتاب هي السبع المثاني. ص:35

19 ــ فحاصوا حيصة حمر الوحش. ص:81

20 ــ فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل.

(ك)

21 ــ كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف قال الله إلا الصوم فهو لي وأنا أجزي به، إنما يدع شهوته وطعامه من أجلي.ص:37

(ل)

22 ــ لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه.ص:33

23 ــ لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح ،لا ينزع الشيطان في يده.ص:82

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

24 ــ لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله.ص:37

25 ــ لو نظرت إليها.ص:81

26 ــ ليس شيء يجزي مكان الطعام و الشراب غير اللبن.

(م)

27 ــ ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه.ص:320

28 ــ من فتح له باب من الخير فلينتهزه فإنه لا يدري متى يغلق عنه.

29 ــ من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار. ص:43

(هـ)

30 ــ هن عوان عندكم.ص:81

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

فهرس الأبيات الشعرية

1 ــ أمير المؤمنين على صـــــراط	إذا أعوج الموارد مستقيم	48
2 ــ وما كان من خير أتـــــوه فإنما	توارثه آباء آبائهم قبل	84
3 ــ هنالك لا أرجو حياة تسرنـــــي	سمير الليالي مبسلا بالجرائر	84
4 ــ إذا لسعته النمل لم يرج لسعــها	وحالفها في بيت نوب عوامل	84
5 ــ من كـــــل ما نـــــال الفتـــى	قد نلته إلا التحية	84
6 ــ صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه	فلما علاه قال للباطل أبعد	85
7 ــ أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنـــــا	حنانيك بعض الشر أهون من بعض	85
8 ــ يراوح من صلوات المليـــــــــ	ك طورا سجودا وطورا جؤورا	85
9 ــ وما ادري وسف أخال أدري	أقوم أل حصن أم نساء	85
10 ــ بان الشباب وآها الشيب قد أزفا	ولا أرى الشباب ذهب خلفا.	86
11 ــ ألا ليت الشباب جديد	وعمر تولى يا بثينة يعود	86
12 ــ تلك المكارم لا قبعان من لبن	شيبا بما معاذ أبولا	86
13 ــ وسخر من جن الملائكة تسعة	قياما لديه يعملون لا أجر	86
14 ــ ياويح أنصار النبي ورهطه	بعد المغيب في سواد الملحد	87

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

فهرس الأعلام مع ترجمة موجزة لبعضهم

1 ــ أبي بن كعب: قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم، توفي سنة 21هـــ، ينظــر: "الإصابة" 16/1، و"الطبقات الكبرى" 34./2

2 ــ أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله، إمام في الفقــه والحــديث، تــوفي ســنة 241هــ، ينظر: "وفيات الأعيان" 20/1، و"الفهرست" 299./1

3 ــ الأخفش: سعيد بن مسعده أبو الحسن الأخفش الأوسط أحذق أصــحاب ســيبويه توفي سنة 215هــ، ينظر: "طبقات النحويين واللغــويين" 74، و "أنبــاه الــرواة" 36./1

4 ــ الأزهري: محمد بن أحمد بن الأزهر أبو منصور المعروف بالأزهري، لغــوي، صاحب كتاب " تهذيب اللغة" توفي سنة 370هــ، ينظر: " بغية الوعاة" 19/1.

5 ــ الأصمعي: عبد الملك بن قريب أبو سعيد الباهلي، اللغوي، البصري، توفي ســنة 216هــ، ينظر: " طبقات النحويين واللغويين" 181. وتــأريخ الأدب لبروكلمــان 147/2

6 ــ ابن الأعرابي: أبو واقد الأعرابي الليثي، قيل: اسمه الحارث بن مالك، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر وعمر، توفي سنة 68هــ. ينظر: "تهذيب التهذيب" 370./13

7 ــ ابن جريح عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح، فقيه الحرم المكي، تــوفي ســنة 149هــ، ينظر: الطبقات الكبرى 491/5، والجرح والتعديل 356/2.

8 ــ الجوهري، اسماعيل بن حماد، أبو نصر الجوهري، إمام في اللغــة تــوفي ســنة 39هــ. ينظر: "معجم الأدباء" 269/2، و "النجوم الزاهرة" 207./4

9 ــ حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الخزرجي الأنصاري، شاعر مخضــرم لقــب بشاعر الرسول صلى الله عليه وسلم، توفي 54هــ: ينظــر: "الأغــاني" 134/4، و"الشعر والشعراء" 264/1.

10 ــ أبو حنيفة، النعمان بن ثابت الكوفي، إمام الحنفية توفي سنة 150هـــ. ينظــر: "سير أعلام النبلاء" 284/5، و "الوافي بالوفيات" 61/27.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

11 ــ أبو حيان: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، الغرناطي، نحوي مشهو رتوفي 745هـ، ينظر: "الدرر الكامنة" 302/4 وبقية الوعاة " 280/1.

12 ــ أبو حيوة: شريح بن يزيد الحضرمي، صاحب قراءة شاذة توفي سنة 203هـ، ينظر: "غاية النهاية" 325/1.

13 ــ الداني: عثمان بن سعيد أبو عمرو المقريء، المفسر المعروف بالداني توفي سنة 444هـ. ينظر: "بغية الملتمس" 399، و"غاية النهاية" 305./1

14 ــ الداودي: محمد بن علي بن أحمد بن شمس الداودي توفي سنة 945هـ. ينظر: "تأريخ بغداد" 428/9، و "بغية الوعاة" 36./2

15 ــ ابن درستويه عبد الله بن جعفر، نحوي لغوي توفي سنة 347هـ. ينظر: تاريخ بغداد 429/9، و "بغية الوعاة" 36/2.

16 ــ ابن دريد، محمد بن الحسن بن دريد، اللغوي الشافعي توفي سنة 321هـ. ينظر: "أنباه الرواة" 92/3، و"البداية والنهاية" 176/11.

17 ــ الرازي: محمد بن عمر بن الحسن، أبو عبد الله فخر الدين الرازي، إمام ومفسر توفي سنة 606هـ، ينظر: " طبقات الأدباء" 23/2، و "وفيات الأعيان" 474./3

18 ــ الزبيدي: محمد بن الحسن أبو بكر الزبيدي الإشبيلي لغوي وأديب، توفي سنة 379هـ، ينظر: "بغية الملتمس" 56، و "بغية الوعاة" 84/1.

19 ــ الزجاج إبراهيم بن السري الزجاج من كبار النحاة توفي 315هـ. ينظر: "طبقات النحويين واللغويين" 121 وتأريخ الأدب العربي بروكلمان 171/1.

20 ــ الزمخشري: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد أبو القاسم جار الله الزمخشري مفسر لغوي نحوي توفي 538هـ . ينظر: "لسان الميزان" 4/6، و "بغية الوعاة" 79/2.

21 ــ أبو زيد الأنصاري، سعيد بن أوس بن ثابت، لغوي أديب توفس سنة 215هـ. ينظر: "نزهة الألباء" 173، و"أنباه الرواة" 30./2

22 ــ السدي إسماعيل بن عبد الرحمن تابعي له كتاب في التفسير توفي سنة 128هـ ، ينظر: "النجوم الزاهرة" 308/1، و "الأعلام" 317/1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

23 ــ الشافعي محمن بن ادريس بن العباس، أحد الأئمة الأربعة توفي 204هـ، ينظر: تأريخ بغداد 56/2.

24 ــ الشعبي: عامر بن شرحبيل أبو عمرو تابعي حافظا توفي 103هـ ، ينظر: "وفيات الأعيان" 244/1.

25 ــ الضحاك: بن مزاحم أبو القاسم، تابعي مفسر، توفي 105هـ. ينظر: "ميزان الاعتدال" 471/1، و"غاية النهاية" 337/1.

26 ــ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري، كان إماما بارعا في فنون كثيرة: مفسرا، ومؤرخا ومحدثا ومجتهدا توفي سنة 310هـ، ينظر: "تاريخ بغداد" و "البداية والنهاية" 145/11.

27 ــ عاصم بن أبي النجود، أبو بكر الأسدي الكوفي، أحد القراء السبعة توفي سنة 127هـ. ينظر: "غاية النهاية" 346/1، و "ميزان الاعتدال" 5/2.

28 ــ أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي، تابعي، توفي 90 هـ، ينظر: "معرفة القراء الكبار" 49، و "غاية النهاية" 285/1.

29 ــ ابن عباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، صحابي مفسر توفي سنة 68هـ، ينظر: "الطبقات الكبرى" 365/2، و "صفوة الصفوة" 314/1.

30 ــ ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد، محدث مؤرخ، أديب توفي سنة 462هـ. ينظر: " الطبقات الكبرى" 153/3، و "غاية النهاية" 458/1.

32 ــ أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، محدث، لغوي، أديب، فقيه توفي 240هـ. ينظر: " طبقات النحويين واللغويين" 217، و"وفيات الأعيان" 418/1.

33 ــ أبو عبيدة معمر بن المثنى، من أعلام اللغة توفي 210 هـ. ينظر: " طبقات النحويين واللغويين" 192، و "نزهة الألباء" 84.

34 ــ ابن عطية عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، مفسر، فقيه، نحوي، لغوي توفي سنة 541هـ، ينظر:"نفح الطيب" 593/1، و "بغية الوعاة" 73/2.

35 ــ الفراء يحي بن زياد بن عبد الله المعروف بالفراء، إمام الكوفة في النحو توفي سنة 207هـ، ينظر: "بغية الوعاة" 333/2.

36 ــ قتادة بن دعامة التابعي الجليل، أحد أئمة الحروف والتفسير، حجة في الحديث توفي سنة 117هـ. ينظر: "غاية النهاية" 25/2، و "الجرح والتعديل" 133/2.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

37 ــ القشيري: عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري الشافعي، مفسر، أديب توفي سنة 514هـ ، ينظر: "مرآة الجنان" 210/3، و"البداية والنهاية" 187/12.

38 ــ ابن كثير، عبد الله بن كثير المكي، أحد القراء السبعة، وهو من التابعين، توفي سنة 120هـ، ينظر: "التيسير" 4، و "غاية النهاية" 443/1.

39 ــ الكسائي، علي بن حمزة الكسائي، أحد القراء السبعة وإمام الكوفيين في النحو، توفي سنة 189هـ، ينظر: "غاية النهاية" 535/1، و "تاريخ الأدب لبروكلمان" 197/2.

40 ــ مالك بن أنس بن ابي عامر، أحد أئمة المذاهب الفقهية توفي سنة 179هـ . ينظر: "وفيات الأعيان" 555/1، و "الفهرست" 198/1.

41 ــ مجاهد بن جبير إمام التفسير في عصره توفي سنة 103هـ، ينظر: "غاية النهاية" 412/2، و "طبقات المفسرين للداودي" 305./2

42 ــ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، من أئمة الحديث، توفي سنة 261هـ، ينظر: " تذكرة الحفاظ" 150/2، و "وفيات الأعيان" 91/2.

43 ــ مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، من أعلام المفسرين توفي سنة 150هـ. ينظر: " وفيات الأعيان" 112/2، و "طبقات المفسرين للداودي" 330/2.

44 ــ مكي بن أبي طالب أبو محمد القيسي، مقرىء عالم بالتفسير والعربية، توفي سنة 437هـ. ينظر: "نزهة الألباء" 421، و"بغية الوعاة" 298/2.

45 ــ المهدوي أحمد بن عمار أبو العباس المهدوي، كان نحويا مفسرا توفي سنة 440هـ. ينظر: "أنباه الرواة" 91/1، و "الأعلام" 184/1.

46 ــ نافع بن ابي نعيم أحد القراء السبعة وإمام أهل المدينة في القراءات، توفي سنة 169هـ، ينظر: "غاية النهاية" 330/2، و "شذرات الذهب" 270/1.

47 ــ نصر بن عاصم، من قدماء التابعين، كان فقيها عالما بالعربية توفي سنة 89 هـ.

ينظر: "طبقات النحويين واللغويين" 212، و "بغية الوعاة" 313/2.

48 ــ النضر بن شميل النحوي اللغوي، توفي سنة 203هـ ، ينظر: "مراتب النحويين" 66، و "بغية الوعاة" 316/2.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

49 ــ ابن هشام الأنصاري عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري، النحوي المشهور توفي سنة 761هـ. ينظر: " الدرر الكامنة " 308/2 ، و "النجوم الزاهرة" 336/10.

فهرس مصادر الدراسة

أولا: القرآن الكريم

ثانيا : المخططات.

ثالثا: المطبوعات.

رابعا: الدوريات والمنشورات.

ثانيا: المخـــــــطوطات:

1 ــ التحليل الصوتي للتغيرات الصرفية عند النحاة العرب حتى نهاة القرن الثالث الهجري:د/عبد الله يوخلخال، رسالة دكتوراه، مقدمة لكلية الآداب جامعة القاهرة، 1408هـ ــ 1988م.

2 ــ التفكير اللغوي عند العرب في العراق في القرنيين الثالث والرابع الهجريين: د/صبيح التميمي، رسالة دكتوراه، مقدمة لكلية اللغة العربية جامعة الأزهر 1983م.

3 ــ الدرس البلاغي عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري:د/رابح دوب رسالة دكتوراه مقدمة لمعهد الحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة الجزائر1994 م

4 ــ شرح الفصيح لبن هشام اللخمي تحقيق ودراسة: د عبد لكريم عوفي، رسالة دكتوراه، مقدمة لمعهد اللغة العربية، جامعة الجزائر، 1412هـ،1992م.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

5 ــ لهجة بريكة وصلتها بالعربية الفصحى"دراسة لغوية وصفية": عبد الكريم عوفي، رسالة ماجستير، مقدمة لمعهد الآداب واللغة العربية جامعة قسنطينة، الجزائر، 1986م.

6 ــ المجيد في إعراب القرآن المجيد، لإبراهيم بن محمد الصفاقسي، مكتبة الأسد دمشق، رقم 388.

7 ــ اللهجات العربية في معجم الجمهرة لابن دريد "دراسة لغوية:" السعيد بمخالفة، رسالة ماجستير، مقدمة لمعهد الحضارة الإسلامية ،قسنطينة الجزائر 1414هـ ــ 1994م.

8 ــ موازنة بين تفسيري المحرر الوجيز،لابن عطية وزاد الميسر في علم التفسير،لابن الجوزي: د/ منصور كافي: رسالة دكتوراه مقدمة لمعهد أصول الدين جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة ــ الجزائر.

ثالثا : المطبوعات:

(أ)

1 ــ الإبدال:ابن السكيت، تحقيق:د/حسين محمد شرف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية القاهرة(1978م)

2 ــ اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم:د/محمد إبراهيم شريف دار المعارف مصر(د.ت).

3 ــ إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: أحمد بن محمد البنا الدميطي، المطبعة الميمنية، مصر (د.ت).

4 ــ الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم دار التراث، القاهرة الطبعة الثالثة (1985م)

5 ــ أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي (أبو عمر وبن العلا، تأليف: د/ عبد الصابور شاهين، مكتبة الخانجي القاهرة ،الطبعة الأولى (1987م).

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

6 ــ أحكام القرآن:الجصاص، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحيـــاء التـــراث العربي بيروت(د.ت).
7 ــ أحكام القرآن: أبو بكر بن العربي، تحقيق:علي محمد البحاوي، مطبعـــة عيســـى البابي الحلبي القاهرة، الطبعة الأولى،(1985م)
8 ــ الإحكام في أصول الأحكام: الأمدي، طباعة، دار الكتب بيروت(1983م)
9 ــ إحياء النحو مصطفى إبـــراهيم، مطبعـــة لجنـــة التـــأليف والترجمـــة والنشـــر القاهرة،(1937م)
10 ــ أدلة الأحكام في عهد النبوة وعصر الخلفاء:
11 ــ أساس البلاغة: جار الله الزمخشري، تحقيق عبد الرحيم محمود، مطبعـــة أولاد أورثاند القاهرة(1953م)
12 ــ أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود شاكر،دار المـــدني جـــدة (1991م).
13 ــ الإصابة في تمييز الصحابة: العسقلاني، دار إحياء التراث العربـــي، بيـــروت (د.ت).
14 ــ الأصوات اللغوية:د/إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة السادســـة(1984م).
15 ــ الأضداد: الصغاني، تحقيق:د/ محمد عبد القادر أحمد مكتبة النهضة المصـــرية القاهرة(1989م).
16 ــ إعجاز القرآن والبلاغة العربية ،مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي بيروت(1974م)
17 ــ إعجاز القرآن:عبـــد الكـــريم الخطيب،الناشـــر دار الفكـــر العربـــي الطبعـــة الأولى(1964م).
18 ــ إعراب الحديث النبوي:
19 ــ الأعلام: الزركلي، الطبعة الثالثة، بيروت (1969م).

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

20 ــ إعراب القرآن، الزجاج:تحقيق ودراسة إبراهيم الأبياري الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة،(1964م.)
21 ــ أعراب القرآن: النحاس، تحقيق:د/زهير غازي، مطبعة العاني، بغداد (1979م).
22 ــ الاقتراح: جلال الدين السيوطي،تحقيق د/ أحمد قاسم، القاهرة(1976م).
23 ــ أمالي القالي:منشورات دار الكتاب العربي، بيروت (د.ت).
24 ــ إملاء ما من ب ه الرحمن:العكبري:تحقيق محمد البجاوي، مطبعة البابي الحلبي(1976م).
25 ــ أنباه الرواة على أنباه النحاة: الحسن بن يوسف القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة العامة للكتاب، الطبعة الثانية(1981م)
26 ــ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ابن هشام، تحقيق محي الدين عبد الحميد،مصر (1956م).

(ب)

27 ــ البحث اللغوي عند العرب:د/ أحمد مختار عمر، مطابع سجل العرب بالقاهرة (1971م)
28 ــ بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار: د/ عبد الفتاح لاشين دار الفكر العربي، بيروت (1987م).
29 ــ البحث النحوي عند الأصوليين: د/مصطفى جمال الدين، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراقية ،بغداد (1980م).
30 ــ البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى(1328هـ)
31 ــ البرهان في علوم القرآن: الزركشي، تحقيق: محمد أبى الفضل إبراهيم مطبعة عيسى البابي الحلبي الطبعة الثانية القاهرة (د ت).
32 ــ البديع:عبد الله بن المعتز تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي دار الجيل بيروت الطبعة الأولى(1994م).

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

33 ــ البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان:ابن مريم التلمساني، المطبعة الثعالبية (1908م).
34 ــ بيان تلبيس الجهمية: ابن تميمة، تحقيق محمد بن قاسم (د.ت).
35 ــ البيان في إعراب غريب القرآن: أبو بكر الانباري، تحقيق د/ طه عبد الحميد دار الكتاب العربي، القاهرة (1969م).
36 ــ البيان والتبيين:أبو عثمان الجاحظ، تحقيق د/ عبد السلام محمد هارون مكتبة الخانجي القاهرة(1975م).

(ت)

37 ــ تاج العروس: مرتضى الزبيدي، دار صادر بيروت(د.ت).
38 ــ تأويل مشكل القرآن:ابن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر، عيسى البابي الحلبي القاهرة(1954م).
39 ــ تاريخ الجزائر العام: عبد الرحمن الجيلالي، دار الثقافة، بيروت الطبعة الرابعة(1980م).
40 ــ تحرير التحبير :ابن أبي الأصبع، تحقيق د/ حفني شرف، المجلس الأعلى لشؤون الإسلامية.
41 ــ التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور /دار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،(1984م)
42 ــ التحفة المرضية في تاريخ الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية: محمد ميمون الجزائري تحقيق : د/ محمد بن عبد الكريم الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى(1972م).
43 ــ شرح التصريح على التوضيح:الأزهري مكتبة البابي الحلبي (د.ت).
44 ــ التصوير الفني في القرآن: السيد قطب، دار الشروق، القاهرة (1989م).
45 ــ التصوير اللغوي عند الأصوليين:د/السيد أحمد عبد الغفار،دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية، الطبعة الأولى(1981م).

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

46 ــ التطبيق النحوي:د/ عبده الراجحي، دار النهضة العربية بيروت (1979م).
47 ــ التطور اللغوي: مظاهره وعلله وقوانينه: د/رمضان عبد التواب ، الناشر مكتبة الخانجي القاهرة(1996م).
48 ــ التطور اللغوي التاريخي:د/ إبراهيم السامرائي، دار الأندلس بيروت الطبعة الثالثة (1983م).
49 ــ التطور النحوي للغة العربية: برجشتراسر، تصحيح د/ رمضان عبد التواب منشورات مكتبة الخانجي القاهرة(د.ت).
50 ــ تعريف الخلف برحال السلف: أبو القاسم محمد الحفناوي، دار موفم للنشر الجزائر(1991م).
51 ــ تفسير البغوي "المسمى معالم التنزيل" :تحقيق: عبد الرحمن خالد لعك ومروان سوار دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية(1987م).
52 ــ تفسير البيضاوي: طبعة دار صادر، بيروت(د.ت).
53 ــ تفسير ابن كثير دار الأندلس، بيروت(1966م)
54 ــ تفسير الطبري:" المسمى جامع البيان في تأويل القرآن " دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى(1992م).
55 ــ التفسير العلمي لحروف أوائل السور:" تحية عبد العزيز إسماعيل، مطابع الأهرام، القاهرة(1990م).
56 ــ التفسير الكبير: "أو مفاتيح الغيب": الرازي، دار الكتب طهران (د.ت).
57 ــ التلخيص: القزويني:تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، القاهرة الطبعة الثانية(1932م).
58 ــ تلخيص البيان عن مجازات القرآن: الشريف الرضى، دار مكتبة الحياة، بيروت(د.ت).
59 ــ التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي مطبعة الذهبي، مطبعة دار الكتب الحديثة القاهرة الطبعة الثانية(1976م).
60 ــ التمييز في علم التفسير للسيوطي:

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

61 ــ تهذيب اللغة:أبو منصور الأزهري، تحقيق مجموعة من الأساتذة، مراجعة محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة(د.ت).
62 ــ توشيح الديباج:
63 ــ التسيير في القراءات السبع: الداني ،تصحيح: أتوبروتزل، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثالثة(1985م).

(ج)

64 ــ جامع بيان العلم وفضله: ابن عبد البر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان(د.ت).
65 ــ جامع البيان عن تأويل أي القرآن:ابن جريرالطبري، تحقيق محمود شاكر وأحمد شاكر دار المعارف القاهرة، وطبعة دار الفكر بيروت (1984م).
66 ــ جامع لأحكام القرآن: القرطبي، الطبعة الثالثة، القاهرة(1967م).
67 ــ جماليات الأسلوب:د/فايز الداية،دار الفكر المعاصر بيروت،الطبعة الثانية (1990م).
68 ــ الجمهرة: محمد بن الحسن بن دريد، تصحيح: محمد السورتي، منشورات مكتبة المثنى بغداد (د.ت).
69 ــ الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن الثعالبي، تحقيق:د/ عمار الطالبي المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر(1985م)
70 ــ الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن الثعالبي، تحقيق مصطفى الغماري منشورات مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى بيروت(1996م).
71 ــ الجيم :أبو عمرو الشيباني، تحقيق:مجموعة من العلماء، مراجعة مصطفى حجازي الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى القاهرة(1983م).

(ح)

72 ــ حجة القراءات :أبو زرعة، تحقيق: سعد الأفغاني ،مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثالثة(1982م).

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

73 ــ حاشية الصبان على شرح الأشموني،عيسى البابي الحلبي، القاهرة (د.ت)
74 ــ الحيوان أبو عثمان الجاحظ، تحقيق :عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي الطبعة الثالثة القاهرة(1969م).

(خ)

75 ــ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب:عبد القادر عمر البغدادي، الطبعة الأولى بيروت(د.ت).
76 ــ الخصائص : ابو الفتح عثمان جني، تحقيق علي النجار، دار الكتاب العربي بيروت(د.ت).
76 ــ خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية:د/ عبد العظيم إبراهيم محمد الناشر مكتبة وهبة الطبعة الأولى القاهرة، (1992م).

(د)

78 ــ الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث: محمد حسين آل ياسين، منشورات دار مكتبة الحياة و، بيروت، الطبعة الأولى(1980م).
79 ــ دراسات في فقه اللغة:د/ صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت ، الطبعة التاسعة(1981م).
80 ــ دلائل الإعجاز:عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود شاكر مكتبة الخانجي القاهرة(1989م).
81 ــ دلالة الألفاظ:د/ إبراهيم انيس، مكتبة الأنجلو مصرية الطبعة الأولى(1958م).
82 ــ دفاع عن القرآن ضد النحويين والمستشرقين:د/أحمد مكي الأنصاري دار المعارف (1973م).
83 ــ دور الكلمة في اللغة :أولمان: ترجمة د/ كمال بشر القاهرة(1962م).
84 ــ ديوان الأعش ميمون بن قيس:شرح:د/ محمد محمد حسين، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت(1972م).

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

85 ــ ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب: تحقيق:د/نعمان أمين طه، دار المعارف بمصر،(د.ت)

86 ــ ديوان حسان بن ثابت: شرح وتقديم الأستاذ عبدو مهنة، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط2، (د.ت).

87 ــ ديوان دريد بن الصمة: دار صادر بيروت(د.ت).

88 ــ ديوان زهير بن أبي سلمى: دار صادر بيروت(1964م).

89 ــ ديوان الشنفرى: دار صادر بيروت (د.ت).

90 ــ ديوان النابغة الذبياني: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر(د.ت).

ــ ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق: الدكتور ناصر الدين الأسد، منشورات دار العروبة، القاهرة (د.ت).

(ر)

91 ــ الرسالة:الشافعي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار التراث، الطبعة الثانية القاهرة(1979م).

92 ــ رواية اللغة:د/ عبد الحميد الشلقاني، دار المعارف بمصر(1971م).

(س)

93 ــ سنن أبي داود: الطبعة الأولى الحلبي القاهرة(1952م).

94 ــ سنن الترميذي: محمد بن عيسى الترميذي، تحقيق محمد شاكر، القاهرة(1937م).

95 ــ سنن ابن ماجة: تحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة العلمية، الطبعة الأولى القاهرة(1313هـ).

96 ــ سنن الدار الدرقطني:تحقيق:السيد عبد الله هاشم يماني، دار المحاسن الطبعة الأولى، القاهرة(1966م).

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

(ش)

97 ــ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: محمد بن مخلوف دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت(د.ت).

98 ــ شذا العرف في فن الصرف: أحمد الحملاوي ،مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر الطبعة السادسة عشر(1965م).

99 ــ شرح الأشموني على حاشية الصبان: مطبعة البابي الحلبي، القاهرة(د.ت).

100 ــ شرح الأشموني على ألفية ابن مالك:نشر محي الدين عبد الحميد، مطبعة الحلبي القاهرة(1939م).

101 ــ شرح ابن عقيل:تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة السادسة(1974م).

102 ــ شرح جمل الزجاج: ابن عصفور، تحقيق صاحب أبو جناح، الموصل(1982م).

103 ــ شرح السنة للبغوي: إعداد علي محمد عوض وعادل أحمد عبد الجوهري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ، 1993.

104 ــ شرح شذرات الذهب في أخبار من ذهب :أبو الفلاح عبد الحي بن عبد الحنبلي، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة بيروت(د.ت).

105 ــ شرح شافية ابن الحاجب/ رضى الدين بن الحسن الأستراباذي، تحقيق محمد نور الحسن وآخرون، دار الكتب العلمية بيروت(1982م).

106 ــ شرح المفصل: ابن يعيش النحوي، تعليق شيخ الأزهر، إدارة الطباعة المنيرية مصر(د.ت).

(ص)

107 ــ الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: احمد بن فارس تحقيق:د/ مصطفى الشمويمي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت(1963م).

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

108 ــ الصحاح "تاج اللغة وصحاح العربية": إسماعيل بن حماد الجوهري:تحقيق:أحمد عبد الغفور عطار،دار العلم للملايين،بيروت الطبعة الثالثة(1984م).

109 ــ صحيح الترميذي:

110 ــ صحيح مسلم: مطبوعات محمد علي صبيح وأولاده، مصر(د.ت).

111 ــ سر صناعة الإعراب:أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون مطبعة مصطفى البابي الحلبي ،مصر الطبعة الأولى(1954م).

112 ــ الصورة البيانية وقيمتها البلاغية:د/عبد القادر الحسيني ،عالم الكتب بيروت، الطبعة الثانية (1985م).

113 ــ الصورة الفنية في المثل القرآني:

(ض)

114 ــ ضحى الإسلام:أحمد أمين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثالثة القاهرة(1956م).

115 ــ الضوء اللامع:السخاوي، منشورات مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر(د.ت).

(ط)

116 ــ الطبري النحوي الكوفي:

117 ــ الطبقات الكبرى: محمد بن سعد، طبع ليدن،(1325هـ).

118 ــ الطراز: يحي بن حمزة العلوي مطبعة المقتطف ،مصر(1924م).

(ظ)

119 ــ ظاهرة الاشتقاق في العربية :محمد دراز طنطاوي: مطبعة عابدين القاهرة،(1986م).

(ع)

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

120 ــ عبد الرحمن الثعالبي والتصوف:د/ عبد الرزاق قسوم:الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر(1978م).

121 ــ عروس الأفراح:

122 ــ عصور الاحتجاج في النحو العربي:

123 ــ علم أصول الفقه:د/عبد الوهاب خلاف ،دار القلم، (1988م).

124 ــ علم اللغة العام (قسم الأصوات):د/ كمال بشر، دار المعارف القاهرة،الطبعة الرابعة(1975م).

125 ــ علوم البلاغة: أحمد مصطفى المراغي (د.ت).

126 ــ العمدة: ابن رشيق: تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،دار الجيل، بيروت (د.ت).

127 ــ العين:للخليل بن احمد:تحقيق:د/عبد درويش مطبعة المعاني بغداد(1967).

128 ــ العين:للخليل بن احمد:تحقيق:مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية(1981م).

(غ)

129 ــ غاية النهاية في طبقات القراء: ابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت طبعة الثالثة(1983م).

(ف)

130 ــ فتح الباري على شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني، تحقيق محي الدين الخطيب ،طبعة بيروت(1390هـ).

131 ــ فتح القدير:الشوكاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت(د.ت).

132 ــ فصول في فقه العربية:د/رمضان عبد التواب،مكتبة الخانجي القاهرة، ودار الرفاعي الرياض ،الطبعة الثانية(1983م)

133 ــ فقه اللغة: د/ عبد الواحد وافي، دار النهضة مصر للطباعة والنشر القاهرة الطبعة السادسة(د.ت).

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

134 ــ فقه اللغة في الكتب العربية:د/عبده الراجحي،دار النهضة العربية، بيروت(1979م).
135 ــ فنون بلاغية: (البيان والبديع):د/أحمد مطلوب،دار البحوث العلمية الكويت(1975م).
136 ــ الفهرست: أبو إسحاق المعروف بابن النديم،تحقيق مصطفى الشويمي، الدار التونسية للنشر، والمؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر(1985م).
137 ــ في اللغات العربية:د/إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية(1965م).

(ق)

138 ــ القاموس المحيط:الفيروزبادي، مصطفى البابي الحلبي، مصر(1952م)
139 ــ قضية الإعجاز:
140 ــ قواعد الشعر:أبو العباس ثعلب، تحقيق:د/رمضان عبد التواب، دار المعارف القاهرة الطبعة الأولى(1966م).

(ك)

141 ــ كاد في الذكر الحكيم الموقع والدلالة:د/عبد الباري طه سعيد، مطبعة الأخوة الأشقاء القاهرة(1993م).
142 ــ الكافية في النحو: ابن الحاجب، شرح، رضى الدين الإستراباذي، دار الكتب العلمية، بيروت(د.ت).
143 ــ كتاب الأيمان: ابن تيمية المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثالثة(1401هـ).
144 ــ كتاب الصناعتين:أبو هلال السكري، تحقيق:علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم،المكتبة العصرية(بيروت1986م).
145 ــ الكتاب: أبو بشر عمر بن عثمان المعروف بسبويه، تحقيق،د/عبد السلام محمد هارون دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى(1991م).
146 ــ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمشخري ،دار المعرفة، بيروت، لبنان (د.ت).

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

(ل)

147 ــ لحــن العامة في ضوء الدراسات اللغوية المدنية :د/ عبد العزيز، مصـــــر، دار المعارف ،القاهرة الطبعة الثانية(1981م).

148 ــ لسان العرب: ابن منظور، تقديم:عبد الله العلايلي، تصنيف يوســف خيــاط، دراسات لسن العرب بيروت(د.ت).

149 ــ لهجة تميم وأثرها في اللغة العربية الموحدة:غالب فاضل المطلبي،منشــورات وزارة الثقافة والفنون العراقية(1978م).

150 ــ اللهجات العربية في معاني القرآن للفراء:د/صبحي عبد الحميد محمــد عبــد الكريم، دار الطباعة المحمدية القاهرة، الطبعة الأولى(1986م).

151 ــ اللهجات العربية في التراث:د/ أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للتراث تونس (1978م).

(م)

152 ــ المثل السائر:ابن الأثير، تحقيق أحمد الحوفي وبــدوي طبانــة، دار نهضــة مصر،(د.ت).

153 ــ مجاز القرآن أو عبيدة، تعليق: فؤاد سركين، مكتبة الخانجي، القاهرة (د.ت).

154 ــ مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي، ضبط شمس الــدين إبــراهيم،دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى (1977م).

155 ــ مجموعة أشعار العرب: تصحيح وترتيب وليم بن الورد ،طبع في لسبع مكتبة المثنى بعداد (1903م).

156 ــ مجموع الفتاوى:ابن تميمة، جمع وتحقيق:عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمــد، مكتبة ابن تميمة القاهرة (د.ت).

158 ــ محاضرات في فقه اللغة: الدكتور صبيح التميمي، جامعة الأمير عبد القــادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، 1986.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

159 ــ المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ــ أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد عبد القادر عطا دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى(1998م).
160 ــ المحرر في تفسير الكتاب العزيز:ابن عطية ،تحقيق: مجموعة من العلماء على نفقة أمير دولة قطر الطبعة الأولى(1977م).
161 ــ المحصول في علم أصول الفقه للرازي، تعليق محمد عبد القادر عطا، مكتبة عباس أحمد الباز، مكة المكرمة، ط1، 1999.
162 ــ المخصص:ابن سيدة، مطبعة بولاق (1318هـ).
163 ــ مدرسة الكوفة:د/ مهدي المخزومي بغداد(1955م).
164 ــ المدارس النحوية:د/شوقي ضيف: دار المعارف بمصر القاهرة(1968م).
165 ــ المذكر والمؤنث:ابن الأنباري، تحقيق: د/ طارق عبد العون الجنابي، مطبعة العاني بغداد الطبعة الأولى(1978م).
166 ــ المذكر والمؤنث: الفراء، تحقيق:د/ رمضان عبد التواب، مكتبة دار التراث القاهرة (1975م).
167 ــ المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون، منشورات المكتبة العصرية، بيروت (1987م).
168 ــ المستدرك على الصحيحين:أبو عبد الله الحاكم، نشر مكتبة المطبوعات الإسلامية.
169 ــ مسند الإمام أحمد: تحقق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة(1946م).
170 ــ المسودة في أصول الفقه/احمد بن محمد بن عبد الغني الحراني، تقديم محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الأولى، القاهرة (1986م).
171 ــ المشترك اللغوي:د/ توفيق محمد شاهين، مطبعة الدعوة الإسلامية القاهرة(1980م).

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

172 ــ المصباح في المعاني والبيان والبديع، بدر الدين بن مالك الشهير بابن النـــاظم تحقيق:د/ حني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب الجماميز القاهرة، الطبعة الأولى (1989م).
173 ــ المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري: عـــوض حمد القوزي منشورات المطبوعات الجامعية، الجزائر(1983م).
174 ــ معاني القرآن:للزجاج،تحقيق د/ عبد الجليـــل شـــلبي، منشـــورات المكتبـــة العصرية بيروت(د.ت).
175 ــ معاني القرآن: الأخفش، تحقيق:فائز فارس، الكويت(1979م).
176 ــ معاني القرآن :الفراء:تحقيق محمد علي النجار وآخرين، مصر(1972م).
177 ــ المعجم العربي نشأته وتطوره:د/حسين نصار، منشورات دار مصر للطباعة، الطبعة الثانية(1986م).
178 ــ معجم القراءات القرآنية:د/ عبد العال سالم مكرم، ود/ احمد مختـــار عمـــر، الكويت 1982م
179 ــ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد البـــاقي، دار الفكـــر بيروت الطبعة الأولى(1986م).
180 ــ معجم لغات القبائل والأمصـــار:د/ جميـــل ســـعيد، ود/داود لســـوم، بغـــداد (1978م).
181 ــ معجم المؤلفين:رضا كحالة، دمشق (1961م).
182 ــ المعجم الوسيط:مجمع اللغة العربية، القاهرة طبعة بالأوفيست (د.ت).
183 ــ معرفة علوم الحديث: الحاكم النيصبوري، عناية د/ معظم حســـين، المكتـــب التجاري للطباعة والتوزيع بيروت(د.ت).
184 ــ مغني اللبيب عن كتب والأعاريب: ابن هشام الأنصاري، تحقيـــق: مـــازن المبارك ،ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، القاهرة، الطبعة الثانية(1961م) .
185 ــ مفتاح الأصول في علم الأصول:

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

186 ــ مفتاح العلوم:أبو يعقوب السكاكي، تعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية الطبعة الثانية بيروت(1987م).
187 ــ المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، القاهرة(1961م)
188 ــ مقاييس اللغة:أحمد بن فارس، تحقيق:عبد السلام محمد هارون، منشورات دار الفكر (1979م).
189 ــ المقتضب: أبو العباس المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب بيروت(د.ت).
190 ــ مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث:ابن الصلاح:د/مصطفى ديب البغا دار الهدى، عين مليلة ــ الجزائر.
191 ــ مقدمة في أصول التفسير:ابن تميمة، تحقيق: عدنان زرزور، بيروت (1971م).
192 ــ من أسرار اللغة :د/إبراهيم أنيس ،منشورات مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة السادسة(1978م).
193 ــ مناهج البحث في اللغة:د/ تمام حسان، دار الثقافة للنشر والتوزيع الدار البيضاء، المغرب(1986م).
194 ــ مناهل العرفان في علوم القرآن: الزرقاني، دار إحياء الكتب العربية (د.ت).
195 ــ من بلاغة القرآن :أحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة(د.ت)
196 ــ منهج الصديق في تفسير فتح البيان:د/محمود محمد الحنطور الناشر مكتبة الآداب ،القاهرة(1998).
197 ــ الموافقات: الشاطبي، طبعة محمد علي صحيح القاهرة(د.ت).

(ن)

198 ــ النثر الفني في القرن الرابع :د/ زكي مبارك، دار الجيل، بيروت(د.ت).

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

199 ــ النحو وكتب التفسير:د/إبراهيم رفيدة، ليبيا،(1981م).
200 ــ نزهة الألباء في طبقات الأدباء:أبو البركات بن الأنباري، تحقيق: إبراهيم السامرائي بغداد (1959م).
201 ــ النسخ في القرآن الكريم:د/مصطفى زيد، الطبعة الأولى المدني القاهرة،(1963م).
202 ــ النشر في القراءات العشر:ابن الجزري ،تصحيح علي محمد الضباع،مصر(د.ت).
203 ــ نكت الانتصار في نظم القرآن:أبو بكر الباقلاني، تحقيق: محمد زغلول سلام، طبعة منشأة المعارف الإسكندرية(د.ت).
204 ــ النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن:أبو الحسن الرماني، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة(1968م).
205 ــ نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز:الفخر الرازي، تحقيق:محمد زغلول سلام ومصطفى هدارة الإسكندرية(1974م).
206 ــ نيل الابتهاج بتطريز الديباج: التنبكتي،أبو العباس أحمد بابا دار الكتب العلمية بيروت، لبنان دار الكتب العلمية بيروت،لبنان(د.ت).
207 ــ النهاية في غريب الحديث والأثر:ابن الأثير، تحقيق:د/ محمود محمد الطناحي،وطاهر أحمد الزاوي ،دار الفكر للطباعة ،بيروت الطبعة الثانية(1979م).

(هـ)

208 ــ هدية العرفين:أسماء المؤلفين وأثار المصنفين "إسماعيل باشا البغدادي طبعة بالأفيست، المكتبة الإسلامية لطهران الطبعة الثالثة(1967م).
209 ــ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع:جلال الدين السيوطي تصحيح محمد بدر الدين النعسائي دار المعرفة للطباعة وانشر بيروت(د.ت).

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

210 ــ الوساطة بين المتنبي وخصومه :عبد العزيز الجرجاني، تحقيق: محمد إبراهيم أبو الفضل منشورات المكتبة العصرية ،بيروت (د.ت).

رابعا: الدوريات والمنشورات:

01 ــ التطور اللغوي بين القوانين الصوتية والقياس،مجملة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية الجزء 33 مايو 1974م.

02 ــ مدخل إلى اللسان الحديث: الحاج صالح عبد الرحمن، اللسانيات مجلة في علم اللسان البشري، تصدرها جامعة الجزائر معهد العلوم اللسانية والصوتية ،المجلد الأول عدد 1971/2م

03 ــ مصطفى جواد وأراءه في علم الصرف:كلية الآداب الجامعة المستنصرية بغداد،1982م .

04 ــ من مباحث الهمزة في العربية،عبد الحليم النجار، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، المجلد21 الجزء 1 مايو 1959م.

05 ــ الهمزة :حسنين فؤاد، مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول القاهرة، المجلد 8،العدد1 مايو 1946م.

06 ــ وحي الأصوات اللغوية :إبراهيم أنيس،مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة الجزء1958/10م.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

المراجع باللغة الأجنبية:

- Traité de phonetique, Edition Librairie de La Grave Paris 1971, P185
- Traité de Philologie Arabe, Edition Librairie Catholique Birut
- L'Idgam est la contraction de deux, consonnes semblable en une, P.141

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

فهرس الموضوعات

	الصفحة
مدخل: حياته وآثاره	**9 ــ 12**
القسم النظري: الثعالبي في الجواهر الحسان	**13 ــ 99**
الفصل الأول: أدوات الثعالبي في الجواهر الحسان	***14 ــ 61***
أ ــ منهجه في التفسير	20
1 ــ بين التفسير والتأويل	21
2 ــ التفسير والتأويل في الاصطلاح	22
3 ــ أقسام التفسير	23
4 ــ الأخذ باللغة	24
ب ــ موقف الثعالبي من التفسير بالمأثور	26
1 ــ تفسير القرآن بالقرآن	26
2 ــ تفسير القرآن بالسنة	31
3 ــ تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين	41
جـ ــ موقف الثعالبي من التفسير بالرأي	46
د ــ موقف الثعالبي من النسخ	51
هـ ــ موقف الثعالبي من الحروف المقطعة في بداية بعض السور	55
الفصل الثاني: مصادر الثعالبي في الجواهر الحسان	**62 ــ 99**
أولا: مصادره من الكتب	63
ثانيا: مصادره من العلماء	72
ثالثا: التوثيق اللغوي	75
أ ــ التوثيق بالقرآن وقراءاته	76
ب ــ التوثيق بالحديث النبوي الشريف	80
جـ ــ التوثيق بالشاهد الشعري	83
د ــ التوثيق بأقوال العرب	88

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

رابعا: الضبط 90
خامسا: التفسير اللغوي 94
سادسا: وسائل تفسير الألفاظ 96

القسم التطبيقي: الدراسة اللغوية والبلاغية في الجواهر الحسان 100 ــ 306
1 ــ قضايا اللغة 101
الفصل الأول: قضايا الأصوات والتراكيب 101 ــ 178
أولا: قضايا الأصوات 102
أ ــ الإبدال 102
ب ــ الإدغام 116
ثانيا: القضايا الصرفية 122
أ ــ المصدر 122
ب ــ اسم الفاعل 125
جـ ــ اسم المفعول 127
د ــ فعل وأفعل 128
هـ ــ التذكير والتأنيث 131
ثالثا: القضايا النحوية 136
أ ــ قضية الإعراب والقراءات القرآنية 137
ــ الإعراب 137
ــ القراءات القرآنية 139
ب ــ رأيه في الحرف 148
جـ ــ آراؤه النحوية 150
د ــ أسماء الأفعال 151
هـ ــ التعدي واللزوم 154
و ــ معاني حروف الجر 156
1 ــ الاختصاص 156
2 ــ الاستعلاء 158

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

3 ــ الاستعانة 159
4 ــ التبعيض 161
5 ــ معاني تخصيصية 162
ز ــ موقفه من النحاة 166
حـــ ــ المصطلح النحوي 168
ــ المصطلحات المشتركة 169
ــ المصطلحات البصرية 173
ــ المصطلحات الكوفية 175

الفصل الثاني: قضايا الدلالة والمعجم ***179 ــ 215***
أولا: القضايا الدلالية 179
1 ــ المشترك اللفظي 181
2 ــ التضاد 185
3 ــ الترادف 187
4 ــ الفروق الدلالية 190
5 ــ ظواهر لغوية عامة 192
أ ــ اللهجات العربية 192
ب ــ الاشتقاق 195
ثانيا: دراسة المعجم 201
أ ــ المعجم، المصطلح والفكرة 202
ب ــ نشأة الفكرة المعجمية عند العرب وتطورها 207
جـــ ــ دراسة المعجم 212
2 ــ قضايا بلاغية **216**
الفصل الأول: ألوان البيان **217**
1 ــ التشبيه 218
2 ــ المجاز 231
أولا: المجاز العقلي 234

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ثانيا: المجاز اللغوي 237
أ ــ المجاز المرسل 237
ب ــ الاستعارة 242
ثالثا: الكناية 246
الفصل الثاني: ألوان المعاني والبديع ***255 ــ 306***
الخبر والإنشاء 255
أولا: الأساليب الخبرية 256
1 ــ العطف 256
2 ــ التوكيف 260
3 ــ النفي 261
ثانيا: الأساليب الإنشائية 264
1 ــ الاستفهام 264
2 ــ العرض والتحضيض 273
3 ــ التمني والترجي 274
4 ــ الأمر والنهي 278
5 ــ التقديم والتأخير 281
6 ــ الحذف 287
قيمة الكتاب **307 ــ 310**
موازنة بين الثعالبي وابن عطية **311 ــ 328**
الخاتمة **329 ــ 330**
الفهارس العامة **329**
فهرس الآيات القرآنية 330 ــ 354
فهرس الأحاديث النبوية الشريفة 355 ــ 357
فهرس الأبيات الشعرية 358
فهرس الأعلام 359 ــ 362
فهرس المصادر والمراجع 363 ــ 382
فهرس الموضوعات 383 ــ 386

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST